عبد الله بن سبأ

دِراسَةٌ وتحلِيل

تأليف

الشيخ علي آل محسن

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلونَ عَمَّا كَانوا يَعْمَلُونَ﴾

سورة البقرة: ١٣٤

صدق الله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريض

بعث إلينا سماحة الفاضل العلامة السيد عبد الستار الحسني دامت إفاضاته بهذه القصيدة الغرَّاء مؤرِّخاً فيها تاريخ صدور هذا الكتاب، فله منا جزيل الشكر وخالص الثناء على ما جاد وأجاد، وأسأل الله جلَّ شأنه أن يجعلني عند حسن ظنه، إنه قريب مجيب.

(من بحر الرمل)

بِيَراعِ الصِّدْقِ مشكوراً أبو	حسَنٍ[1] أحسَنَ ما قد كَتَبَا
إذ مضى مستقصِياً يكشفُ عنْ	شُبَهِ المُبْتَدِعِينَ الحُجُبَا
وَجَلاها حُجَجَاً بالِغَةً	قد أنارتْ بِسَناها الشُّهُبا
يَخْضَعُ الخصمُ إلى إلْزَامِها	ويرى المُنْصِفُ فيها العَجَبَا
كيف لا؟! والعَيْلَمُ الحَبْرُ لها	بِأفانِينِ الحِجَاجِ انتَدَبا
فَـ (عَلِيٌّ المحسنُ) النَّدْبُ الذي	سامِقُ الفَضْلِ إِلَيْهِ انتَسَبا

---

(١) كنية المؤلف.

بَحْرُ عِلْمٍ قد طَمَا آذِيُّهُ ... بِفُرَاتٍ مَدُّهُ ما نَضَبا[١]
يَنْهَلُ الوُرَّادُ مِنْ سَاحِلِهِ ... وتَرى الأَثباجُ مِنْه هُضُبا
حَوزَةُ الدِّينِ بِشَرْوَاهُ ازدَهَتْ ... وربوعُ المجدِ ماسَتْ طَرَبا
أَيُّ إِطرَاءٍ يَفِي قَدْرَ الذي ... قد تَنَاهى في المعالِي رُتَبا
وهْوَ مُسْتَغْنٍ عنِ المَدْحِ بِمَا ... وَاهِبُ الفَضْلِ لهُ قد وَهَبا
إنْ يَكُنْ مَدْحُ امْرِئٍ نافِلَةً ... فامتِداحُ (الشيخِ) حَقٌّ وَجَبا
كَمْ يَدٍ بيضاءَ قد أَسْدَى إلى ... شيعةِ الآلِ الكِرامِ النُّجَبَا
سَلَّ مِنهُ الشَّرْعُ سَيْفاً مِخْذَماً ... لِبَني حَرْبٍ فَذَاقُوا الحَرَبَا
وأَرَى أَنصَارَهُمْ مِنْ بَأْسِهِ ... مَا لَهُ في الدَّهْرِ قد ذَاعَ نَبَا
كيفَ يَهدِي اللهُ مَنْ ضَلَّ وَعَنْ ... (نَهْجِ) مولانا (عَلِيٍّ) نَكَبَا؟!
(خَفَضَ) البارِئُ قَوْماً عَدَلُوا ... عنْ بَنِي الهادِي وأَمُّوا الغُرَبَا
جَلَّ عَنْ أنْ (يَرْفَعَ) الذِّكْرَ لِمَنْ ... بُغْضَه للمُرْتَضى قد (نَصَبَا)
ذا مَنَارُ الخَلْقِ مصباحُ الدُّجَى ... شيخُنَا المُعْرِقُ أُمَّاً وأَبَا
قد أَبَانَ الحقَّ وَضَاحَ الصُّوَى ... أَبْلَجَ المَسْلَكِ وضَّاءَ الرُّبَى
ناقِضَاً ما نَسَجُوا مِنْ زُخْرُفٍ ... ودَعاوى نَمَّقُوها كَذِبا
وأساطيرَ بها قد مُلِئَتْ ... صُحُفٌ تُتْلى عليهم حُقُبا
ضاقَ ذَرْعُ الدهْرِ عنْ تَعْدادِها ... وبها (قد بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى)
قد حكاها خَلَفٌ عن سَلَفٍ ... يَطَّبِيْهم بُغْضُ (أصحابِ العَبا)
أَظْهَرَ المكنُونَ من أحوالِهم ... وأكاذِيْبُهُمْ عادَتْ هَبَا
طَوَّقَ الأعناقَ مُذْ في بَحْثِهِ ... آبَ كالعَنْقاءِ شَخْصُ (ابنِ سَبا)[٢]

---

(١) طما: أي ارتفع. والآذي هو الموج.

(٢) العنقاء هو طائر خرافي، والمعنى أن عبد الله بن سبأ صار مثل العنقاء ، أي صار أشبه بالخرافة من الحقيقة، بسبب كثرة ما حيك حوله من أساطير وقصص لا واقع لها.

والأُلَى يرْوُون ـ أَرِّخْ ـ باطِلاً   ذَهَبَتْ أَقْوالُهم أَيْدِي سَبَا

٤٣   ١١٠٧ ١٨٣ ٢٥ ٦٣

سنة ١٤٢١هـ

عبد الستار الحسني

مقدمة

لقد أخذت مسألة عبد الله بن سبأ بُعداً بين المذاهب الإسلامية أكثر من كونه رجلاً يهوديًّا كان له أثر في أحداث الفتنة التي وقعت في زمن عثمان بن عفان، بل صارت لهذا الرجل أهمية لم تنلها كثير من الشخصيات التي كان لها دور في التاريخ الإسلامي، فأُلِّفت فيه مؤلفات كتبها كتّاب ومؤلِّفون من الشيعة وأهل السنة بين نافٍ له ومُثبِت.

إن هذه الأهمية لعبد الله بن سبأ نشأت بسبب أن الأصابع أشارت إليه على أنه مُثير الفتنة في زمن عثمان والمحرِّك الأول للأحداث التي تمخَّض عنها قتل الخليفة، وما تلا ذلك من فِتَن وحروب راح ضحية فيها الآلاف من الصحابة والتابعين.

مضافاً إلى أن أعداء الشيعة ذهبوا إلى أن عبد الله بن سبأ اليهودي هو المؤسِّس الحقيقي لمذهب الشيعة، وباذر البذرة الأولى لمعتقداتهم، كمسألة الرجعة، والوصاية

لأمير المؤمنين عليه السلام وغيرهما.

فهل أن عبد الله بن سبأ حقيقة أو خرافة؟

وهل كان له دور في أحداث الفتنة؟

وهل هو حقاً مؤسِّس مذهب الشيعة الإمامية؟

وما هي علاقة مذهب الشيعة به؟

وهل هناك تشابه بين عقائد الشيعة وعقائد اليهود؟

هذا ما سيتّضح جليّاً إن شاء الله تعالى من خلال البحوث الآتية.

الفصل الأول

من هو عبد الله بن سبأ؟

الذي ورد في أكثر المصادر الشيعية والسنية أن اسمه هو: (عبد الله بن سبأ)، من غير زيادة على ذلك، تُبيِّن سلسلة آبائه وأجداده ومن ينتهي إليه نسبه.

ولا يُدرى هل (سبأ) اسم أبيه، أم أنه اسم دال على أنه ينتسب إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، الذي تنتسب إليه أكثر القبائل اليمانية.

نعم، ذكر البلاذري في أنساب الأشراف، والذهبي في المشتبه، والمقريزي في الخطط وغيرهم، أنه عبد الله بن وهب السبائي[1]، والظاهر أنه خلط بين عبد الله بن سبأ الذي نبحث فيه، وعبد الله بن وهب الراسبي السبائي رئيس الخوارج الذي قُتل في النهروان، نظراً للتشابه بينهما في الاسم والانتساب إلى سبأ، وسيأتي الكلام فيه.

وأما أمه فلم تُعرف من هي؟ ومن أي البلاد؟ وما اسمها؟ وما هي قبيلتها؟

وإنما قيل: إنها سوداء، لأن روايات سيف بن عمر كانت تصف عبد الله ابن

---

(١) أنساب الأشراف ٢/ ٣٨٣، عن عبد الله بن سبأ للعسكري ٢/ ٣٢١. وقال طه حسين في كتابه علي وبنوه، ص ٥١٩: وابن سبأ عند البلاذري ليس ابن السوداء، وإنما هو عبد الله ابن وهب الهمداني.

سبأ بأنه ابن السوداء.

ولم نجد في المصادر التاريخية والآثار المروية أية إشارة إلى أن عبد الله بن سبأ كانت له زوجة أو أبناء أو أخوة أو عمومة أو خؤولة أو ما يرتبط بأمثال ذلك.

اللهم إلا ما روي في اعتقادات الصدوق الدال على أن له عقباً.

فقد روى عن زرارة أنه قال: قلت للصادق عليه السلام: إن رجلاً من ولد عبد الله بن سبأ يقول بالتفويض. قال عليه السلام: وما التفويض؟ قلت: يقول: إن الله عز وجل خلق محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وعلياً عليه السلام، ثم فوّض الأمر إليهما، فخلقا ورزقا وأحييا وأماتا. فقال: كذب عدو الله، إذا رجعت إليه فاقرأ عليه الآية التي في سورة الرعد ﴿**أَمْ جَعَلُوا لله شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾. فانصرفت إلى الرجل فأخبرته بما قال الصادق عليه السلام، فكأنما ألقمته حجراً، أو قال: فكأنما خرس[(١)].

إلا أنها رواية مرسلة لا يصح التعويل عليها.

ويكاد يتفق من كتب عن عبد الله بن سبأ من المؤرخين أنه من اليمن من قبيلة سبأ، إلا أن ابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) يذكر أنه حميري[(٢)]، وأما البلاذري وسعد الأشعري فينسبانه إلى همدان[(٣)].

وروى سيف بن عمر كما في تاريخ الطبري أن ابن سبأ من يهود اليمن.

وقيل: إن البغدادي نصّ في كتابه (الفرق بين الفرق) على أنه من يهود الحيرة بالعراق[(٤)].

---

(١) الاعتقادات للصدوق، ط حجرية ص ٣٩.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ٩٠، ٢٧٤، ٥/ ٣٦، ٤٦.

(٣) أنساب الأشراف، ص ٣٧٢. المقالات والفرق، ص ٢٠.

(٤) عبد الله بن سبأ لسليمان العودة، ص ٣٩.

وهذا غير صحيح، فإن البغدادي قال: (وكان ابن السوداء في الأصل يهودياً من يهود الحيرة)، ويريد من ابن السوداء رجلاً آخر غير عبد الله بن سبأ كما يظهر من كلامه بعد ذلك، حيث قال: فلما خشي ـ يعني علياً عليه السلام ـ من قتله ـ يعني ابن السوداء ـ ومن قتل ابن سبأ الفتنة التي خافها ابن عباس، نفاهما إلى المدائن، فافتتن بهما الرعاع بعد قتل علي رضي الله عنه[(١)].

وهو يدل بوضوح على أن البغدادي يرى أن ابن السوداء اليهودي كان من أتباع عبد الله بن سبأ، وقد نفاهما علي عليه السلام معاً إلى المدائن.

وقال سليمان العودة في كتابه (عبد الله بن سبأ): أما ابن كثير فيرى أن ابن سبأ رومي الأصل، إذ يقول: وكان أصله رومياً، فأظهر الإسلام، وأحدث بِدَعاً قولية وفعلية، قبّحه الله[(٢)].

والمذكور في الطبعة التي بيدي هو: (وكان أصله ذمّياً، فأظهر الإسلام)[(٣)]، مع أن ابن كثير قد ذكر ذلك روايةً عن سيف بن عمر، فراجع.

والذي ظهر لنا أنه لم يدل دليل صحيح على أنه كان يهودياً، وكل ما قيل في ذلك مأخوذ من روايات سيف التي لا يصح التعويل عليها، وسيأتي بيان هذا الأمر في الفصول الآتية.

وصوَّر سيف بن عمر عبد الله بن سبأ في رواياته بأنه رجل يهودي أسود من أهل اليمن، أسلم في أواخر خلافة عثمان، وصار يطوف في البصرة والكوفة والحجاز والشام ومصر، يؤلّب الناس على عثمان، ويحرض على خلعه، ويظهر الطعن فيه وفي ولاته.

---

(١) الفرق بين الفرق، ص ٢٣٥.

(٢) عبد الله بن سبأ، ص ٤٠.

(٣) البداية والنهاية ٧/ ١٨١، وهي طبعة دار الكتب العلمية في بيروت سنة ١٤٠٥هـ، وكذا المذكور في طبعة مكتبة المعارف ببيروت.

واستطاع بمكائده أن يغرّر بالناس وأن يجمع الأعوان والأنصار، وأن يبثّ دعاته في الأمصار لإثارة الفتنة التي أدّت في النهاية إلى قتل عثمان.

ثم استطاع بخبثه أن يندس هو وأتباعه في أصحاب علي عليه السلام، ويتستّر بإظهار التشيع لعلي وأهل بيته، ليسلم من طائلة محاسبته هو وأتباعه على الضلوع في قتل عثمان.

وكان يُظهر الطعن في أبي بكر وعمر، ويجهر بالقول برجعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد الموت، وأن علياً وصِيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه دابة الأرض.

وروى جمع أنه غلا في علي عليه السلام، فزعم أنه إله، وأن فيه الجزء الإلهي، وأنه في السحاب، وأن الرعد صوته.

فاستتابه علي عليه السلام في جماعة من أصحابه، فلم يتوبوا فأحرقهم بالنار، وبذلك تكون صفحته قد طويت.

وقيل: إن ابن عباس أو غيره شفعوا في عبد الله بن سبأ، وقالوا: إنه تاب. فأطلقه علي عليه السلام، ونفاه إلى المدائن، فمكث فيها حتى قُتل أمير المؤمنين عليه السلام، فلما بلَغه ذلك قال: والله لو جئتمونا بدماغه في سبعين صرَّة ما صدّقنا بموته، إنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه.

ثم لا نجد في المصادر التاريخية وغيرها أي ذِكر له، فلم يُذكر من أخباره شيء، ولم يُسجَّل زمان أو مكان وفاته، أو شيء من ملابسات موته.

هذا هو عبد الله بن سبأ، وهذه هي قصته كما رويت في الآثار، وحكيت في الأقوال، وفيها كثير من التضارب والاختلاف والتشويش والزيادات التي أفرزتها الخلافات المذهبية والأهواء والعصبيات.

وقد نتج من كل ذلك اختلاف الباحثين في هذه الشخصية من جميع جوانبها، فمنهم من أصرّ على أنه رجل مختلق، اختلقه أعداء الشيعة ليكيدوهم به، ولينسبوا مذهبهم وجملة من عقائدهم إليه.

ومنهم من أصرّ في مقابل ذلك على أن ابن سبأ غيَّر وجه التاريخ الإسلامي بما قام به من دور كبير في أحداث الفتنة في زمن عثمان بن عفان.

وسنتحدث إن شاء الله تعالى في بعض فصول هذا الكتاب عن تضارب أقوال الباحثين واختلاف آراء العلماء في بيان هذه الشخصية، الذي يرجع في الأساس إلى المرويات المتضاربة والأخبار المختلفة التي تحدثت عنه.

ومع اختلاف الروايات وتضارب الآثار جاءت الأقوال المتباينة والآراء المختلفة فأضافت غموضاً إلى غموض، وضباباً فوق ضباب، فصارت مسألة عبد الله بن سبأ مسألة شائكة يصعب الخوض فيها والخروج منها بمحصّل تركن إليه النفوس.

الفصل الثاني

من هو ابن السوداء

ذكر سيف بن عمر في رواياته عبد الله بن سبأ باسمه هذا تارة، وتارة أخرى أسماه (ابن السوداء)، وتارة ثالثة أسماه (عبد الله بن السوداء)، وأخذ ذلك عنه من جاء بعده، فصار ابن سبأ يُعرف بهذه الأسماء الثلاثة.

فهل جاء (ابن السوداء) في الأحاديث مراداً به عبد الله بن سبأ أو لا؟

لبيان ذلك نقول: إن لفظ (ابن السوداء) قد تكرَّر في مصادر الحديث الشيعية والسنيّة في أحاديث كثيرة يُعيَّر به من كانت أمّه سوداء، وقد عُيِّر به بعض الصحابة وغيرهم، إلا أنا لم نقف على مورد واحد أُريد من (ابن السوداء) عبد الله بن سبأ، إلا ما جاء في تاريخ الطبري برواية سيف بن عمر.

أما في المصادر الشيعية : فقد أُطلق ابن السوداء على رجال مختلفين، منهم:

١ـ رجل من الصحابة عيَّره أبو ذر بأمّه: ويظهر من بعض الأخبار أنه بلال بن رباح كما سيأتي في المصادر السنّية، فقد أخرج الحسين بن سعيد الأهوازي في كتاب الزهد عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أن أبا ذر عيَّر رجلاً على عهد النبي صلى الله عليه وآله بأمّه،

فقال له: (يا ابن السوداء) وكانت أمّه سوداء. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: تعيّره بأمّه يا أبا ذر؟ قال: فلم يزل أبو ذر يمرّغ وجهه في التراب ورأسه، حتى رضي رسول الله صلى الله عليه وآله عنه[١].

٢ـ رجل اسمه ابن السوداء لا يُعرف: أورد النعماني في كتابه الغيبة عمن رأى المسيب بن نجبة، قال وقد جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام ومعه رجل يقال له ابن السوداء، فقال له: يا أمير المؤمنين إن هذا يكذب على الله وعلى رسوله ويستشهدك. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لقد أعرض وأطول، يقول ماذا؟ فقال: يذكر جيش الغضب. فقال: خلِّ سبيل الرجل، أولئك قوم يأتون في آخر الزمان قزع كقزع الخريف، والرجل والرجلان والثلاثة من كل قبيلة حتى يبلغ تسعة، أما والله إني لأعرف أميرهم واسمه. ثم نهض وهو يقول: باقرا باقرا باقرا. ثم قال: ذلك رجل من ذريتي يبقر الحديث بقراً[٢].

٣ـ عبد الله بن وهب الراسبي رأس الخوارج: فقد أخرج الشيخ المفيد في كتابه (الكافئة) ونقله عنه المجلسي في البحار بسنده عن أبي جعفر عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام لما دنا إلى الكوفة مقبلاً من البصرة خرج الناس مع قرظة بن كعب يتلقونه دون نهر النضر بن زياد، فدنوا منه يهنئونه بالفتح وإنه ليمسح العرق عن جبهته، فقال له قرظة بن كعب: الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي أعزَّ وليَّك وأذلَّ عدوّك، ونصرك على القوم الباغين الطاغين الظالمين. فقال له عبد الله بن وهب الراسبي: إي والله، إنهم الباغون الظالمون الكافرون المشركون. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ثكلتك أمّك، ما أقواك بالباطل وأجرأك على أن تقول ما لا تعلم، أبطلت يا ابن السوداء، ليس القوم كما تقول، لو كانوا مشركين سبينا وغنمنا أموالهم، وما ناكحناهم ولا وأرثناهم[٣].

---

(١) الزهد، ص ٦٠. بحار الأنوار ٢٢/ ٤١١، ٧٥/ ١٤٦. مستدرك الوسائل ٩/ ١١٢.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني، ص ٢١٢. بحار الأنوار ٥٢/ ٢٤٧.

(٣) الكافئة في إبطال توبة الخاطئة، ص ٣١. بحار الأنوار ٣٢/ ٣٥٣.

٤ـ أسامة بن زيد: عيَّره بابن السوداء عمرو بن عثمان بن عفان ، فيما أخرجه الشيخ الطوسي في أماليه بسنده عن شرقي بن القطامي عن أبيه، قال: خاصم عمرو بن عثمان بن عفان أسامة بن زيد إلى معاوية بن أبي سفيان مقدمه المدينة في حائط من حيطان المدينة، فارتفع الكلام بينهما حتى تلاحيا، فقال عمرو: تلاحيني وأنت مولاي؟ فقال أسامة: والله ما أنا بمولاك، ولا يسرّني أني في نسبك، مولاي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه. فقال: ألا تسمعون بما يستقبلني به هذا العبد؟ ثم التفت إليه عمرو فقال له: يا ابن السوداء ما أطغاك؟ فقال: أنت أطغى مني وألأم، تعيِّرني بأمي، وأمّي والله خير من أمّك، وهي أم أيمن مولاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه، بشّرها رسول الله في غير موطن بالجنة، وأبي خير من أبيك، زيد بن حارثة، صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وحبّه ومولاه، قُتل شهيداً بمؤتة على طاعة الله وطاعة رسوله، وقُبض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وأنا أمير على أبيك، وعلى مَن هو خير من أبيك، أبي بكر وعمر وأبي عبيدة، وسروات المهاجرين والأنصار، فأنّى تفاخرني يا ابن عثمان...[١]

٥ـ عمار بن ياسر: عيّره بابن السوداء عثمان بن عفان، فقد أورد القمي في تفسيره أن عثمان مرَّ بعمار بن ياسر وهو يحفر الخندق وقد ارتفع الغبارمن الحفرة، فوضع عثمان كمَّه على أنفه ومرَّ، فقال عمار:

لا يستوي مَنْ يعمرُ المساجدا فيها يصلي راكعاً وساجدا
كمَن يمرُّ بالغبارِ حايدا يُعرضُ عنه جاحداً معاندا

فالتفت إليه عثمان فقال: يا ابن السوداء إياي تعني... الحديث[٢].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) أمالي الشيخ الطوسي، ص ٢١٢.

(٢) تفسير القمي ٢/ ٣٢٢.

وأما في المصادر السنّيّة، فأُطلق ابن السوداء على جمع من الناس، منهم:

١ـ عمار بن ياسر: قال اليعقوبي في تاريخه: أقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتى توفي، وصلَّى عليه عمار بن ياسر وكان غائباً، فستر أمره، فلما انصرف رأى القبر، فقال: قبر مَن هذا؟ فقيل: قبر عبد الله بن مسعود. قال: فكيف دُفن قبل أن أعلم؟ فقالوا: ولي أمره عمار بن ياسر، وذكر أنه أوصى أن لا يخبر به. ولم يلبث إلا يسيراً حتى مات المقداد فصلَّى عليه عمار، وكان أوصى إليه ولم يؤذن عثمان به، فاشتد غضب عثمان على عمار، وقال: ويلي على ابن السوداء، أما لقد كنت به عليماً[1].

وفي العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، قال: لما التقى الناس بصفين نظر معاوية إلى هاشم بن عتبة الذي يقال له المرقال، لقول النبي ﷺ: ارقل يا ميمون. وكان أعور، والراية بيده... فقال معاوية لعمرو بن العاص: يا عمرو، هذا المرقال، والله لئن زحف بالراية زحفاً إنه ليوم أهل الشام الأطول، ولكني أرى ابن السوداء إلى جنبه ـ يعني عماراً ـ وفيه عجلة في الحرب وأرجو أن تقدمه إلى الهلكة... الخ[2].

٢ـ بلال بن رباح: عيّره بابن السوداء أبو ذر، فقد أخرج البيهقي في شعب الإيمان بسنده عن أبي أمامة قال: عيَّر أبو ذر بلالاً بأمه فقال: يا ابن السوداء. وإن بلالاً أتى رسول الله ﷺ فأخبره فغضب، فجاء أبو ذر ولم يشعر، فأعرض عنه النبي ﷺ، فقال: ما أعرضك عني إلا شيء بلغك يا رسول الله. قال: أنت الذي تعيّر بلالاً بأمه؟ قال النبي ﷺ: والذي أنزل الكتاب على محمد أو ما شاء الله أن يحلف، ما لأحد على أحد فضل إلا بعمل، إن أنتم إلا كطف الصاع[3].

٣ـ رجل في زمن أمير المؤمنين عليه السلام: فقد أخرج الدارقطني في الجزء ٢٣ من

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٦٠.

(٢) العقد الفريد ٥/ ٨٨.

(٣) شعب الإيمان ٤/ ٢٨٨.

حديث أبي الطاهر، قال: حدثنا محمد بن عبدوس، قال: حدثنا محمد بن عباد، قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا عبد الجبار بن العباس الهمداني عن سلمة بن كهيل عن حجية بن عدي الكندي، قال: رأيت علياً عليه السلام وهو على المنبر وهو يقول: مَن يعذرني في هذا الحَمِيْت[1] الأسود الذي يكذب على الله عز وجل وعلى رسوله صلى الله عليه وآله يعني ابن السوداء، لولا أن لا يزال تخرج عليَّ عصابة تنعى عليَّ دمه كما ادعيت عليَّ دماء أهل النهر لجعلت منهم ركاماً[2].

أقول: هذا الأثر لا يدل على أكثر من أن رجلاً أسود كان يكذب على الله عزَّ وجل وعلى رسوله صلى الله عليه وآله، وهو ابن السوداء، أما أن ابن السوداء هذا هو من يُسمّى بعبد الله بن سبأ أو غيره فلا دلالة في هذا الأثر عليه، فلا يمكن الجزم حينئذ بأن ابن السوداء هذا هو عبد الله بن سبأ أو غيره.

ثم إن هذا الأثر مروي عن حجية بن عدي الكندي، وحجية هذا مختلَف فيه، قد ضعّفه بعض رجال الجرح والتعديل عندهم.

قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: شيخ لا يحتج بحديثه، شبيه بالمجهول، شبيهاً بشريح بن النعمان الصائدي وهبيرة بن يريم[3].

وقال ابن سعد: كان معروفاً، وليس بذاك[4].

وضعّفه ابن الجوزي في (كتاب الضعفاء والمتروكين)[5].

٤ـ عبد الله بن حازم: قال ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد: قال عبد الله بن

---

(١) الحميت: هو الوعاء أو الزِّق الذي يوضع فيه السمن أوالعسل أوالزيت أو غيرها، والمراد هنا التشبيه به.

(٢) الجزء ٢٣ من حديث أبي الطاهر، ص ٥٢.

(٣) الجرح والتعديل ٣/ ٣١٤. وراجع تهذيب التهذيب ٢/ ١٩٠. تهذيب الكمال ٥/ ٤٨٥ تجد كلمة أبي حاتم فيه.

(٤) الطبقات الكبرى ٦/ ٢٢٥. ونقله عنه في تهذيب التهذيب ٢/ ١٩٠.

(٥) كتاب الضعفاء والمتروكين ١/ ١٩٤.

عامر بن كريز لعبد الله بن حازم: يا بن عَجْلَى. قال: ذاك اسمها. قال: يا بن السوداء. قال: ذاك لونها. قال: يابن الأمة. قال: كل أنثى أمة، فاقصد بذَرْعك لا يرجع سَهمك عليك، إن الإماء قد ولدتك[1].

٥ـ عبد الله بن سبأ: ذكره الطبري في تاريخه، وكل رواياته مروية بسنده عن شعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر. وهما ضعيفان، وسيأتي بيان حالهما إن شاء الله تعالى.

الخلاصة:

مما تقدم يتضح أنّا لم نجد في الآثار والأخبار ما يدل على أن (ابن السوداء) كان يُعيَّر به عبد الله بن سبأ، لا في أحاديث الشيعة، ولا في أحاديث أهل السنة، اللهم إلا ما رواه الطبري عن سيف بن عمر دون غيره مما دلّ على أن ابن السوداء هو ابن سبأ، وهي أخبار لا يعوّل عليها بحال لضعف سندها جداً، وسيأتي مزيد بيان في ذلك.

---

(١) العقد الفريد ٤/ ٣١.

الفصل الثالث

سبأ والسبائيّون

ورد ذِكر السبائية والسبائيين في بعض المصادر التاريخية وغيرها، فهل المراد بهاتين اللفظتين الإشارة إلى أتباع عبد الله بن سبأ؟ أو أن المراد بهما شيء آخر؟

بنو سبأ:

بنو سبأ هم المنتسبون إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح.

أخرج أحمد في المسند وفي فضائل الصحابة، والحاكم في المستدرك، والطبراني في معجمه الكبير وغيرهم، بأسانيدهم عن عبد الرحمن بن وعلة قال: سمعت ابن عباس يقول: إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن سبأ ما هو؟ أرجل أم امرأة أم أرض؟ فقال: لا، بل هو رجل، وَلَد عشرة، فسكن اليمن منهم ستة، وبالشام منهم أربعة، فأما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير عرباً (خير) كلها، وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان[1].

---

(١) مسند أحمد ١/ ٣١٦. المستدرك ٢/ ٤٢٣ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. المعجم الكبير للطبراني ١٢/ ٢٤٠. فضائل الصحابة ٢/ ٨٦٥. تفسير ابن كثير ٣/ ٥٣١.

وأخرج أبو داود والترمذي في السنن، والحاكم في المستدرك، والهيثمي في مجمع الزوائد وغيرهم، عن فروة بن مسيك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ في حديث ـ قال: يا رسول الله أرأيت سبأ وادٍ هو أو جبل أو ما هو؟ قال ﷺ: لا، بل هو رجل من العرب، وُلد له عشرة، فتيامن ستة وتشاءم أربعة، تيامن الأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار الذين يقال لهم بجيلة وخثعم، وتشاءم لخم وجذام وعاملة وغسان[١].

وقال ابن كثير: قال علماء النسب منهم محمد بن إسحاق[٢]: اسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وإنما سُمّي سبأ لأنه أول من سبأ في العرب[٣]، وكان يقال له الرائش لأنه أول من غنم في الغزو فأعطى قومه، فسُمّي الرائش، والعرب تسمّي المال ريشاً ورياشاً، وذكروا أنه بشَّر برسول الله ﷺ في زمانه المتقدم وقال في هذا شعراً:

سيملكُ بعدَنا مِلكٌ عظيمٌ ... نبيٌّ لا يُرخصُ في الحرامِ
ويملكُ بعدَه منهم ملوكٌ ... يدينوهُ القيادَ بكلِّ دامي
ويملكُ بعدَهم منا ملوكٌ ... يصيرُ الملكُ فينا باقتسامِ
ويملكُ بعدَ قحطانٍ نبيٌّ ... تقيٌّ مخبتٌ خيرُ الأنامِ
يُسمَّى أحمداً يا ليتَ أني ... أُعمَّرُ بعدَ مبعثِه بعامِ
فأعضدُه وأحبوهُ بنصري ... بكلِّ مُدجَّج وبكلِّ رامِ
متى يَظهرْ فكونوا ناصريهِ ... ومَن يلقاهُ يُبلغْه سَلامي

---

(١) سنن أبي داود ٤/ ٣٤. سنن الترمذي ٥/ ٣٦١ قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. المستدرك على الصحيحين ٢/ ٤٢٤. المعجم الكبير للطبراني ١٨/ ٣٢٤. تفسير ابن كثير ٣/ ٥٣١ وقال: وهذا أيضا إسناد حسن. وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢/ ٧٥٤: حسن صحيح.

(٢) السيرة النبوية ١/ ٤٣.

(٣) لعله مهموز (سبى): أي أنه أول من سبى النساء في الحرب، أو من سبأ الخمر: أي اشتراها ليشربها.

ذكر ذلك الهمداني في كتاب الإكليل[١].

وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي: سبأ... والمراد بها القبيلة التي هي من أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود[٢].

والأكثر لم يذكروا أن قحطانَ ابنُ هود، وذكره الخطيب في تاريخ بغداد قولاً مشعراً بتمريضه[٣]، والذي ذكروه أن قحطانَ ابنُ عابر[٤].

وذكر الخطيب في ترجمة الحسن بن هانئ (أبي نواس) أنه ينتسب إلى قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح[٥].

ويقال في النسبة إليه: للمفرد المذكر سَبَائي بالمد، وسَبَئِي من غير مد.

وفي النسبة إليه للأنثى والجماعة يقال: سَبَائِية بالمد. كما يقال أيضاً: وسَبَئِيّة. والمد أفصح وأشهر، وغير المد عربي فصيح[٦].

السبائيون:

وأما السبئيون فهم المنتسبون إلى سبأ المذكور، وقد ذكر العلماء كثيراً من هؤلاء، منهم:

١ـ **أبيض بن حمال السبائي**: أبيض بن حمال بن مرثد بن ذي لُحيان بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك المأربي السبائي، روى حديثه أبو داود والترمذي والنسائي في

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٥٣١. وقريب منه في البداية والنهاية ٢/ ١٤٧.

(٢) تحفة الأحوذي ٩/ ٦٤.

(٣) تاريخ بغداد ٧/ ١٠٩.

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ١٠٩، ١٣/ ٤٧٧. الطبقات لابن خياط، ص ١٣٢، ١٤٥، ١٨٢. الطبقات الكبرى ١/ ٤٣. الإكمال لابن ماكولا ١/ ٢٨٧، ٢/ ١٥٥، ٣/ ٢١٠، ٧/ ٥٧، ١٨٤. تاريخ الطبري ١/ ١٤٣، ٢٦٩.

(٥) تاريخ بغداد ٧/ ٤٣٦.

(٦) راجع تاج العروس ١/ ٢٦٥.

السنن الكبرى وابن ماجة وابن حبان في صحيحه، ذكروا أنه استقطع النبي ﷺ لما وفد عليه الملح الذي بمأرب، فأقطعه إياه ثم استعاده منه[١].

٢ـ سعد السبائي: قال ابن حجر في الإصابة: سعد السبائي ذكره الواقدي فيمن أسلم في عهد النبي ﷺ من أهل سبأ[٢].

٣ـ صالح بن خيوان: قال ابن حجر في الإصابة: صالح بن خيوان... السبائي... تابعي معروف، أرسل حديثاً فذكره علي بن سعيد وابن أبي علي في الصحابة، وأورد من طريق بكر بن سوادة عن صالح بن خيوان أن رجلاً سجد إلى جنب النبي ﷺ على عمامته، فحسر النبي ﷺ عن جبهته[٣].

٤ـ عمارة بن شبيب: قال ابن حجر في الإصابة: عمارة بن شبيب السبائي... مختلف في صحبته، وقيل: عمار. وقال ابن السكن: له صحبة... وبيَّن البخاري علَّته في تاريخه وذكره في الصحابة[٤]، وقال ابن حبان: من قال: (إن له صحبة) فقد وهم[٥].

٥ـ هبيرة بن أسعد السبائي: قال ابن حجر في الإصابة: هبيرة بن أسعد بن كهلان السبائي، له إدراك، وشهد فتح مصر، ذكره ابن يونس وقال: إن في برقة بقية

---

(١) راجع الإصابة ١/ ١٧٦. روى استقطاعه للملح من النبي ﷺ الترمذي في سننه ٣/ ٦٦٤. وأبو داود في سننه ٣/ ١٧٤. وابن ماجة في سننه ٢/ ٨٢٧. والدارمي في السنن ٢/ ٧١٩. والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ٤/ ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٥٩. والطبراني في المعجم الكبير ١/ ٢٧٨. والهيثمي في موارد الظمآن ١/ ٤٨٩، ٢/ ٧١٤. والبيهقي في السنن الكبرى ٦/ ١٤٩. وابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ٤٧٦. وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٢/ ٦٤.

(٢) الإصابة ٣/ ٢١١ ت ٣٦٩٠.

(٣) الإصابة ٣/ ٣٧٥ ت ٤١٥٤. والحديث المذكور أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢/ ١٠٥. له حديث في سنن أبي داود ١/ ١٣٠، ومسند أحمد ٤/ ٥٦، وصحيح ابن حبان ٤/ ٥١٥، والمعجم الأوسط للطبراني ٦/ ٢١٥، وكتاب المراسيل لأبي داود، ص ١١٧.

(٤) راجع التاريخ الكبير للبخاري ٦/ ٤٩٥.

(٥) الإصابة ٤/ ٤٧٩ ت ٥٧٤٣. له حديث في سنن الترمذي ٥/ ٥٤٤. السنن الكبرى للنسائي ٦/ ١٤٩. الترغيب والترهيب ١/ ١٩٢.

من ولده[١].

٦ـ عبد الله بن هبيرة السبائي: قال ابن سعد في الطبقات: له أحاديث وتوفي في خلافة يزيد بن عبد الملك[٢].

وقال الذهبي في الكاشف: ثقة ، توفي سنة ١٢٦ م ٤ (أي أخرج له مسلم والأربعة)[٣].

٧ـ عبد الرحمن بن وعلة السبائي: قال السيوطي في إسعاف المبطأ: عبد الرحمن بن وعلة السبائي المصري، [روى] عن ابن عمر وابن عباس، روى عنه زيد بن أسلم ويحيى الأنصاري وآخرون، وثّقه النسائي وابن معين والعجلي[٤].

وقال الذهبي: وثقه ابن معين والنسائي م ٤[٥].

٨ـ حنش السبائي: قال الذهبي في الكاشف: حنش السبائي الصنعاني الدمشقي (م ٤)، نزل إفريقيا، [روى] عن علي وابن عباس، وعنه قيس بن الحجاج وبكر بن سوادة، وثقه أبو زرعة وغيره، توفي سنة مائة[٦].

وغير هؤلاء كثير نُسبوا إلى سبأ، وسُمّي الواحد منهم بالسبائي، وهو لا يعني

---

(١) الإصابة ٦/ ٤٤٥ ت ٩٠٥٣.

(٢) الطبقات الكبرى ٧/ ٥١٢. له أحاديث في صحيح مسلم ١/ ٥٦٨. مسند أحمد ١/ ٧٧، ٣١٦، ٦/ ٣٩٦. صحيح ابن حبان ٢/ ٥٠٩، ٤/ ٣٣٣، ٥/ ٣٨. المستدرك على الصحيحين ٢/ ٤٢٣. مسند أبي يعلى ١٣/ ١٦٤. مسند أبي عوانة ١/ ٣٥٩. شرح معاني الآثار ٤/ ٧٥.

(٣) الكاشف ٢/ ١٣٤.

(٤) إسعاف المبطأ، ص ١٩. له أحاديث راجع صحيح مسلم ١/ ٢٧٧، ٢٧٨، ٣/ ١٢٠٦. صحيح ابن حبان ٤/ ١٠٣. سنن الترمذي ٤/ ٢٢١.سنن أبي داود ٤/ ٦٦. سنن ابن ماجة ٢/ ١١٩٣. السنن الكبرى للبيهقي ٦/ ١١، ١٢. مسند أحمد ١/ ٢٤٤، ٢٧٩، ٢٨٠، ٣١٦، ٣٤٣. المستدرك على الصحيحين ٢/ ٤٢٣. المعجم الكبير للطبراني ١٢/ ٢٣٤.

(٥) الكاشف ٢/ ١٨٤.

(٦) الكاشف ١/ ٢١٧.

أكثر من تلك النسبة، فلا يراد به ذم أو تضعيف أو نسبة إلى عبد الله بن سبأ.

السبائية:

لم نجد في المصادر التاريخية القديمة المتداولة التي سبقت تاريخ الطبري ذكراً للسبائية الذين يراد بهم أتباع عبد الله بن سبأ، مع أن الطبري في تاريخه أكثر من ذكرهم في رواياته عن سيف بن عمر وأبي مخنف.

وهذه الروايات أوضحت ما كان لهم من نفوذ وخطر عظيمين في أواخر زمن عثمان وزمن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إلى أن آلت الأمور إلى معاوية بن أبي سفيان، فلم يعد لهم بعد ذلك ذكر ولا أثر.

وبسبب انحصار تلك الروايات التي أخرجها الطبري في تاريخه فيما رواه سيف بن عمر وأبو مخنف لوط بن يحيى[1]، وهما ضعيفان عند رجال الجرح والتعديل من أهل السنة[2]، فإنه لا يمكن أن نثبت وجود هذه الطائفة في تلك الفترة.

---

(١) راجع روايات سيف في تاريخ الطبري ٢/ ٧٠٢، ٣/ ٤، ٩، ٤٣، ٥٩. وروايات أبي مخنف في ٣/ ٤٤٣، ٤٧٦.

(٢) أما سيف فسيأتي بيان تضعيفه مفصلاً، وأما أبو مخنف فقال فيه يحيى بن معين: ليس بثقة. وقال أبو حاتم: متروك الحديث. وقال الدارقطني: أخباري ضعيف. قال الذهبي: توفي سنة سبع وخمسين ومائة، وهو من بابة سيف بن عمر التميمي صاحب الردة. (سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٠٢). ذكره ابن الجوزي في كتاب الضعفاء والمتروكين ١/ ٢٨ وقال: لوط بن يحيى أبو مخنف، قال يحيى: ليس بثقة. وقال مرة: ليس بشيء. وقال أبو حاتم الرازي: متروك الحديث. وقال الدارقطني: ضعيف.

وذكره ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٧/ ٢٤١ وقال: وهذا الذي قاله ابن معين يوافقه عليه الأئمة... فإني لا أعلم له من الأحاديث المسندة ما أذكره، وإنما له من الأخبار المكروه الذي لا أستحب ذكره.

وقال ابن حجر في لسان الميزان ٤/ ٤٩٢: أبو مخنف أخباري تالف لا يوثق به، تركه أبو حاتم وغيره... وقال أبو عبيد الآجري: سألت أبا حاتم عنه فنفض يده، وقال: أحد يسأل عن هذا؟ وذكره العقيلي في الضعفاء. راجع الجرح والتعديل ٧/ ١٨٢. وذكره النجاشي في رجاله، ص ٢٢٤ وقال: (وكان يسكن إلى ما يرويه). وهي عبارة لا تدل على التوثيق، بل أقصى ما تدل هو أن النجاشي لم يجد فيما رواه بأساً.

وأما ما جاء في البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٥٧٣ هـ) غير مسند فلا يُعتد به، لأن الظاهر أنه مأخوذ من تاريخ الطبري.

وأما كتاب زياد بن أبيه إلى معاوية الذي ذكره الطبري في تاريخه، وذكر فيه السبائية، حيث كتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من زياد بن أبي سفيان، أما بعد: فإن الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء، فكاد له عدوّه، وكفاه مؤونة من بغى عليه، إن طواغيت من هذه الترابية السبئية رأسهم حجر بن عدي خالفوا أمير المؤمنين، وفارقوا جماعة المسلمين، ونصبوا لنا الحرب، فأظهرنا الله عليهم، وأمكننا منهم...[(١)].

فهي رواية مرسلة، ويغلب على الظن أنها مروية عن أبي مخنف، بقرينة أن الروايات السابقة عليها كلها مروية عن أبي مخنف، وعليه فلا يمكن الاعتماد عليها.

ولعل زياد بن أبيه كان يريد بالسبائية حُجْر بن عدي الكندي[(٢)] وثلاثة عشر رجلاً كانوا على رأيه، حملهم زياد إلى الشام، فقُتلوا في مرج عذراء بأمر من معاوية، وفيهم الكندي والنخعي والبجلي والهمداني[(٣)] المنتسبون إلى سبأ المذكور.

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٨.

(٢) قال ابن حجر في الإصابة ٢/ ٣٢: حُجْر... بن عدي بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين الكندي، المعروف بحجر ابن الأدبر حُجْر الخير، وذكر ابن سعد ومصعب الزبيري فيما رواه الحاكم عنه أنه وفد على النبي ﷺ هو وأخوه هانئ بن عدي، وأن حجر بن عدي شهد القادسية، وأنه شهد بعد ذلك الجمل وصفين، وصحب علياً فكان من شيعته، وقُتل بمرج عذراء بأمر معاوية، وكان حجر هو الذي افتتحها، فقُدِّر أن قُتل بها... وذكره يعقوب بن سفيان في أمراء علي يوم صفين. قلت: لقد مرَّ آنفاً أن كندة إحدى قبائل سبأ.

(٣) لمعرفة أسمائهم راجع تاريخ دمشق ٨/ ٢١. تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٤١. تاريخ الطبري ٤/ ٢٠٢، ٢٠٧. البداية والنهاية ٨/ ٥٤. تاريخ ابن خلدون ٣/ ١٢.

ومن المحتمل قويّاً أن أعداء أمير المؤمنين عليه السلام كانوا آنذاك يعيّرون شيعته بالسبائية، بسبب أن كثيراً من الموالين له عليه السلام كانوا ينتسبون إلى سبأ، منهم:

١ـ عمار بن ياسر:

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الوذيم (وقيل: بين قيس والوذيم حصين بن الوذيم) بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنس (وعنس هو زيد) بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وبنو مالك بن أدد من مذحج[1].

٢ـ عدي بن حاتم الطائي:

هو عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم بن أبي أخزم بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيّئ بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الطائي[2].

قال ابن حجر في الإصابة: أسلم سنة تسع، وقيل: سنة عشر. وكان نصرانياً قبل ذلك، وثبت على إسلامه في الردة، وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر، وشهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة، وشهد صفين مع علي، ومات بعد الستين وقد أسن. قال خليفة: بلغ عشرين ومائة سنة. وقال أبو حاتم السجستاني: بلغ مائة وثمانين[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ٤٠٦. وراجع تهذيب الكمال ٢١/ ٢١٨. الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٤٦. الإصابة ٤/ ٤٨٣ ت ٥٧٢٠. الاستيعاب ٣/ ١١٣٥ ت ١٨٦٣. تهذيب التهذيب ٧/ ٣٥٧. تاريخ الإسلام ٣/ ٥٦٩.

(٢) تهذيب الكمال ١٩/ ٥٢٥. راجع جمهرة أنساب العرب، ص ٤٠٢، ٤٠٤. تاريخ بغداد ١/ ١٨٩. الاستيعاب ٣/ ١٠٥٧ ت ١٧٨١. أسد الغابة ٤/ ٧ ت ٣٦١٠.

(٣) الإصابة ٤/ ٣٨٨ ت ٥٤٩١.

٣ـ مالك الأشتر النخَعي[١]:

قال ابن سعد في الطبقات: الأشتر واسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن مالك بن النَخَع من مَذْحَج، روى عن خالد بن الوليد أنه كان يضرب الناس على الصلاة بعد العصر، وكان الأشتر من أصحاب علي بن أبي طالب، وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها، وولاه علي عليه السلام مصر، فخرج إليها، فلما كان بالعريش شرب شربة عسل فمات[٢].

٤ـ كميل بن زياد النخَعي:

قال ابن سعد في الطبقات: كميل بن زياد بن نهيك بن هشيم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صهبان بن سعد بن مالك بن النخع من مذحج، روى عن عثمان وعلي وعبد الله، وشهد مع علي صفين، وكان شريفاً مطاعاً في قومه، فلما قدم الحجاج بن يوسف الكوفة دعا به فقتله[٣].

وغير هؤلاء كثير، منهم: سهل وعثمان ابنا حنيف، فإنهما من الأوس التي تنتهي إلى سبأ.

ومنهم: سليمان بن صرد وعمرو بن الحمق الخزاعيان، وخزاعة من سبأ كما مرَّ.

واحتمل بعض الباحثين أن تكون (السبائية) عقيدة سياسية تزعمها حجر بن عدي وجماعته الذين كان أكثرهم يمانيين سبائيين، فالسبائية على هذا هي آراء اليمانيين الذين والوا عليًّا عليه السلام في الكوفة وكانوا أغلب سكانها[٤].

---

(١) قال في الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢/ ٣٥١: النخَعي بفتح النون والخاء بعدها عين مهملة: نسبة إلى النخَع قبيلة كبيرة من مذحج.

(٢) الطبقات الكبرى ٦/ ٢١٣. راجع الإصابة ٦/ ٢١٢. تهذيب التهذيب ١٠/ ١٠. الطبقات لخليفة بن خياط ١/ ١٤٨.

(٣) الطبقات الكبرى ٦/ ١٧٩. راجع تاريخ بغداد ١٢/ ٧٠. الطبقات لخليفة بن خياط ١/ ١٤٨.

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع ١/ ٩٢.

وحاصل البحث أن لفظ (السبائي) قد تكرر كثيراً في كتب الرجال والحديث، يُوصف به من كان نسبه ينتهي إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، الذي هو أبو القبائل اليمانية، ومنهم من صحب النبي ﷺ وروى عنه، ولا يراد منه النسبة إلى عبد الله بن سبأ، ولا الإشارة إلى أن الموصوف به واحد من أتباعه.

وأما لفظ (السبائية) الذي يراد به أتباع عبد الله بن سبأ فلم يرد في المصادر التاريخية والحديثية، إلا ما جاء في تاريخ الطبري في روايات سيف بن عمر وأبي مخنف لوط بن يحيى، وكلاهما قد عُلم حاله فيما تقدم.

الفصل الرابع

عبد الله بن سبأ
في مصادر أهل السنة

عندما ننظر في المصادر الحديثية والتاريخية عند أهل السنة، نجد أن الأخبار والآثار التي جاء فيها ذكر عبد الله بن سبأ تنقسم إلى قسمين:

١ـ ما روي من طريق سيف بن عمر التميمي (ت ١٨٠ هـ).

٢ـ وما روي من طريق غيره.

أما روايات سيف بن عمر فقد ذكرت أحوال عبد الله بن سبأ بشيء من التفصيل، فذكرت أنه يهودي من يهود اليمن، أسلم في زمن عثمان بن عفان، وأظهر الغلو في علي بن أبي طالب عليه السلام، وجهر بتفضيله على من عداه من الخلفاء السابقين له، وصار يؤلّب الناس على عثمان، فذهب إلى البصرة والكوفة والشام ومصر وغيرها من البلدان، وأظهر الطعن فيه، والتحريض على خلعه أو قتله.

وكثر أتباعه في الحجاز والعراق ومصر وغيرها، واستطاع أن يستقطب إلى جانبه بعض كبار الصحابة كعمار بن ياسر، ويؤثر على أبي ذر الذي صار بتحريضه

ينتقد عثمان وعماله وبالأخص معاوية بن أبي سفيان.

وهكذا صار هو وأتباعه يبثّون دسائسهم ويؤلبون العامة والغوغاء على عثمان، إلى أن استطاعوا بمكائدهم تلك من تحقيق بعض غاياتهم وقتل عثمان محصوراً في داره.

وبعد أن صارت الأمور إلى علي بن أبي طالب عليه السلام اندس هو وأتباعه في أتباع علي عليه السلام، وأظهر الغلو في علي بن أبي طالب والقول بالرجعة، وأن علياً وصي رسول الله عليه السلام، وأنه دابة الأرض، فوجدت تلك الآراء قبولاً عند شيعة علي عليه السلام، فتابعوه فيها وأخذوها منه.

ولا بأس أن ننقل للقارئ الكريم بعض مروياته.

فقد أخرج الطبري في تاريخه بسنده عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي قال: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمّه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذّب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله عز وجل ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى. قال: فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة، فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء. ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وآله، ووثب على وصي رسول الله صلى الله عليه وآله، وتناول أمر الأمة. ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله صلى الله عليه وآله، فانهضوا في هذا الأمر فحرّكوه، وابدؤوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر. فبثَّ دعاته، وكاتب من كان استفسد من الأمصار، وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم، حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسرّون غير ما يبدون، فيقول أهل كل مصر: إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء. إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا: إنا لفي عافية مما فيه الناس...[(١)].

إلا أن أخبار سيف هذه لا يمكن التعويل عليها بحال من الأحوال في إثبات شيء أو نفيه، بسبب اتفاق حفاظ الحديث وعلماء الجرح والتعديل على تضعيفه.

وإليك بعض ما قالوه فيه:

قال يحيى بن معين: ضعيف الحديث. وقال: فلس خير منه[(٢)].

وقال ابن حبان: اتُّهم بالزندقة. وقال: يروي الموضوعات عن الأَثبات[(٣)].

وقال أبو حاتم الرازي[(٤)] والدارقطني[(٥)]: متروك الحديث.

وقال أبو داود: ليس بشيء[(٦)].

وقال ابن عدي: عامة حديثه منكَر[(٧)].

وقال الحاكم: اتُّهم بالزندقة، وهو في الرواية ساقط[(٨)].

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٣٧٩.

(٢) تهذيب التهذيب ٤/ ٢٥٩. ميزان الاعتدال ٣/ ٣٥٣. تهذيب الكمال ١٢/ ٣٢٦.

(٣) تهذيب التهذيب ٤/ ٢٦٠. تهذيب الكمال ١٢/ ٣٢٦.

(٤) تهذيب التهذيب ٤/ ٢٥٩. ميزان الاعتدال ٣/ ٣٥٣.الجرح والتعديل ٤/ ٢٧٨.

(٥) تهذيب التهذيب ٤/ ٢٦٠. وعدَّه الدارقطني في الضعفاء في كتابه الضعفاء والمتروكون، ص ٢٤٣.

(٦) ميزان الاعتدال ٣/ ٣٥٣. تهذيب الكمال ١٢/ ٣٢٦.

(٧) ميزان الاعتدال ٣/ ٣٥٣. تهذيب الكمال ١٢/ ٣٢٦.

(٨) تهذيب التهذيب ٤/ ٢٦٠.

وقال النسائي: ضعيف[(١)].

وقال ابن حجر: ضعيف الحديث[(٢)].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وأما ما روي من الأحاديث التي جاء فيها ذِكر عبد الله بن سبأ من غير طريق سيف بن عمر، فهي أحاديث مختلفة نسوقها إليك ونعقِّب على ما فيها سنداً ومتناً.

منها: ما أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده عن الشعبي قال: أول من كذب عبد الله بن سبأ[(٣)].

وهذا الأثر بعد الغض عن سنده هو أثر عن الشعبي وهو غير حجّة، لأنه لا يعبّر إلا عن رأيه المجرد، ولا يحكي عن الواقع والحقيقة.

مضافاً إلى أن عبد الله بن سبأ إذا كان كاذباً فإنه ليس أول كاذب في الإسلام على الله سبحانه وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، كيف وقد كثُرت الكذَّابة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى صعد المنبر قائلاً: من كذب عليَّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار[(٤)].

---

(١) المصدر السابق ٤/ ٢٦٠.

(٢) تقريب التهذيب، ص ٢٦٢.

(٣) تاريخ دمشق ٢٩/ ٧.

(٤) صحيح البخاري ١/ ٦١، ٣٨٥. صحيح مسلم ١/ ١٠. سنن الترمذي ٥/ ٣٥، ٣٦، ٦٣٤ وصحَّحه. سنن أبي داود ٣/ ٣١٩. سنن ابن ماجة ١/ ١٣ ـ ١٤. مسند أحمد ١/ ٩٨، ٣٨٣، ٣٢٣، ٤٢٠، ٥٢٦، ٥٨٨، ٢/ ٥٤٢، ٦٨٢، ٣/ ١٢١، ١٣٩، ١٤٣، ٢١٥، ٢٤٩، ٢٥٧، ٢٧٣، ٣٧٢، ٥١٦، ٤/ ١٢٤، ١٩٤، ٢٤٦، ٥/ ٣٤٤. سنن الدارمي ١/ ٨١ ـ ٨٢، ١٥٣. المستدرك ١/ ٧٧، ٣/ ٢٦٢، ٢٨٠. صحيح ابن حبان ١/ ٢١٤، ٣/ ٣٢٩، ١٢/ ٢٥٢. السنن الكبرى للبيهقي ٣/ ٢٧٥، ٤/ ٧٢، ١٠/ ٢٢١. الأحاديث المختارة ١/ ٥١٦، ٥١٧، ٢/ ٢٥، ٣/ ٣٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٢٢، ٨/ ١٠٣. السنن الكبرى للنسائي ٣/ ٤٥٧ ـ ٤٥٩. مجمع الزوائد ١/ ١٤٢ ـ ١٤٨، ١٥١، ١٥٢، ٥/ ٧٠، ١٤٢، ٧/ ٢٤٦، ١٠/ ٣٨٠. المصنف لابن أبي شيبة ٥/ ٢٩٦ ـ ٢٩٨، ٦/ ١٨٦. وعدّه السيوطي من الأحاديث المتواترة =

وأخرج أحمد بن حنبل عن أسماء بنت يزيد أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا أيها الناس ما يحملكم على أن تتابعوا في الكذب كما يتتابع الفراش في النار؟[(١)]

ثم إن الأحاديث الصحيحة دلّت على أن مسيلمة والعنسي وسجاح كانوا من الكذابين، وكانوا أسبق زماناً من ابن سبأ.

فقد أخرج أحمد في المسند، والحاكم في المستدرك، وابن حبان في صحيحه، والهيثمي في مجمع الزوائد، والطبراني في الكبير، وغيرهم بأسانيدهم عن أبي بكرة قال: أكثر الناس في شأن مسيلمة قبل أن يقول رسول الله ﷺ فيه شيئاً، فقام رسول الله ﷺ خطيباً، فقال: أما بعد، ففي شأن هذا الرجل الذي قد أكثرتم فيه، وإنه كذّاب من ثلاثين كذاباً يخرجون بين يدي الساعة...[(٢)].

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وأبو يعلى في المسند، وغيرهما عن ابن الزبير قوله: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً، منهم العنسي ومسيلمة والمختار[(٣)].

= في قطف الأزهار المتناثرة، ص ٢٣. والكتاني في نظم المتناثر، ص ٣٥. والزبيدي في لقط اللآلئ المتناثرة، ص ٢٦١. وقال الكتاني في نظم المتناثر، ص ٣٨: وممن نصَّ على تواتره أيضاً: ابن الصلاح والنووي والعراقي وغيرهم.

(١) مسند أحمد ٦/ ٤٧٧. المعجم الكبير للطبراني ٢٤/ ١٦٥، ١٦٦. مجمع الزوائد ١/ ١٤٢. قال الهيثمي: رواه أحمد، وفيه شهر بن حوشب، وهو مختلف فيه. قلت: هو من رجال صحيح مسلم (راجع رجال صحيح مسلم ١/ ٣١٢)، ووثقه أحمد وابن معين ويعقوب بن شيبة وغيرهم (راجع تهذيب التهذيب ٤/ ٣٢٥).

(٢) مسند أحمد ٥/ ٥٢، ٥٧. مجمع الزوائد ٧/ ٣٣٢. قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، وأحد أسانيد أحمد والطبراني رجاله رجال الصحيح. صحيح ابن حبان ١٥/ ٢٩. المستدرك ٤/ ٥٤١ قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. المصنف لعبد الرزاق ١٠/ ٣٣٠.

(٣) المصنف ٦/ ١٩٢. مسند أبي يعلى ١٢/ ١٩٧ ط أخرى ٦/ ٤٥. قال ابن حجر في فتح الباري ٦/ ٦١٧: وروى أبو يعلى بإسناد حسن عن عبد الله بن الزبير تسمية بعض الكذابين المذكورين بلفظ: (لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً، منهم مسيلمة والعنسي والمختار).

وأخرج ابن ماجة في سننه، وأحمد في مسنده، وابن أبي شيبة في مصنّفه، وابن حبان في صحيحه بأسانيدهم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت في يدي سوارين من ذهب، فنفختهما فطارا، فأوّلتهما الكذّابَين: مسيلمة والعنسي[١].

وعلى كل حال فهذا الأثر المروي عن الشعبي لا يثبت أكثر من كون عبد الله بن سبأ كذاباً، ولعل كذبه بسبب ادّعائه الألوهية لأمير المؤمنين عليه السلام كما سيأتي في حديثي أبان بن عثمان وأبي حمزة الثمالي المرويين في رجال الكشي، فإن ادّعاء الألوهية لأمير المؤمنين عليه السلام من أفحش أنواع الكذب وأقبحه.

ومنها: ما أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، قال: حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء، حدثنا محمد بن الحسن الأسدي، حدثنا هارون بن صالح الهمداني، عن الحارث بن عبد الرحمن، عن أبي الجلاس قال: سمعت علياً يقول لعبد الله السبائي: ويلك، والله ما أفضى إليَّ بشيء كتمه أحداً من الناس، ولقد سمعته يقول: (إن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً)، وإنك لأحدهم[٢].

قلت: هذه الرواية ضعيفة السند:

فمن رواتها محمد بن الحسن الأسدي المعروف بالتل، ضعّفه غير واحد.

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب: قال الدوري عن ابن معين: شيخ. وقال مرة: قد أدركته وليس بشيء. وقال أبو حاتم: شيخ... وقال يعقوب بن سفيان: محمد بن الحسن الهمداني ومحمد بن الحسن الأسدي ضعيفان. وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه... وذكر الذهبي في الميزان محمد بن الحسن الأسدي وقال: قال ابن معين: ليس بشيء... وقد قال الحاكم في الكنى: أبو يحيى محمد بن الحسن الكوفي الأسدي... ليس بالقوي عندهم. وقال الساجي: ضعيف[٣].

---

(١) سنن ابن ماجة ٢/ ١٢٩٣. مسند أحمد ٢/ ٣٣٨، ٣٤٤. صحيح ابن حبان ١٥/ ٣٠. المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ١٧٥. صحّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٢/ ٣٤٥.

(٢) مسند أبي يعلى ١/ ٣٤٩. مجمع الزوائد ٧/ ٣٣٣. كتاب السنة لابن أبي عاصم ٢/ ٤٧٦.

(٣) تهذيب التهذيب ٩/ ١٠٢. تهذيب الكمال ٢٥/ ٧٩.

ومن رواتها الحارث بن عبد الرحمن:

قال ابن حجر: إن مالك بن أنس روى حديثاً عنه ولم يسمِّه، وقال: قال ابن المديني: أرى مالكاً سمعه من الحارث ولم يسمِّه، وما رأيت في كتب مالك عنه شيئاً، قلت: وهذه عادة مالك فيمن لا يعتمد عليه لا يسميه(١).

قال أبو حاتم: يروي عنه الدراوردي أحاديث منكرة، ليس بالقوي(٢).

ومن رواتها: أبو الجلاس: وهو غير معروف إلا بهذا الحديث، وهو غير أبي الجلاس الشامي عقبة بن يسار.

قال ابن حجر في التقريب: أبو الجلاس الكوفي مجهول(٣).

وفي تهذيب الكمال وتهذيبه: أبو الجلاس الكوفي غير منسوب، عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ، قال: (إن بين يدي الساعة ثلاثين) الحديث. وعنه أبو هند الحارث بن عبد الرحمن الهمداني(٤).

وقد أخرج هذا الحديث ابن أبي عاصم في كتاب السنة، وعلَّق الألباني عليه بقوله: إسناده ضعيف، أبو الجلاس كوفي مجهول كما في التقريب، وهارون بن صالح مجهول أيضاً، وفي التقريب: مستور(٥).

فالنتيجة: أن هذه الرواية ضعيفة السند، لا يصح الاحتجاج بها.

هذا مضافاً إلى أنه من القريب جداً أن يكون عبد الله السبائي هو عبد الله بن وهب الراسبي السبائي، لا عبد الله بن سبأ الذي نتحدث عنه.

ومع التسليم بصحة هذا الأثر فهو ـ كالأثر المتقدم ـ لا يثبت لابن سبأ أكثر من

---

(١) تهذيب التهذيب ٢/ ١٢٨.

(٢) الجرح والتعديل ٣/ ٧٩.

(٣) تقريب التهذيب، ص ٦٣٠.

(٤) تهذيب الكمال ٣٣/ ٢١٣. تهذيب التهذيب ١٢/ ٦٦.

(٥) كتاب السنة، ص ٤٦٢.

كونه كذاباً.

هذا مع أن ابن عساكر أخرجه في تاريخ دمشق في ترجمة عبد الله بن سبأ، وفيها: (سمعتُ عليّاً يقول لعبد الله الشيباني)، ولم يُذكَر عبد الله بن سبأ، ولا ندري هل (الشيباني) مصحّف (السبائي) كما يناسبه إيراد هذه الرواية في ترجمة عبد الله بن سبأ، أو أن الكلمة صحيحة لا تصحيف فيها، فلا علاقة لها حينئذ بابن سبأ؟

ومنها: ما أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده عن عمار الدهني، قال: سمعت أبا الطفيل يقول: رأيتُ المسيّب بن نجبة أتى به مُلَبِّبَه ـ يعني ابن السوداء ـ وعلي على المنبر، فقال علي: ما شأنه؟ فقال: يكذب على الله وعلى رسوله[1].

وهذه الرواية بعد الغض عن سندها لا دلالة فيها على أن ابن السوداء المذكور فيها هو عبد الله بن سبأ، لما مرَّ من أن ابن السوداء كان يُنبَز به من كانت أمّه سوداء، وقد نُبِز به جماعة من الصحابة والتابعين، فابن السوداء في الخبر غير معلوم، ولعله عبد الله بن وهب الراسبي، فإنه كان يعيَّر بهذا كما مرَّ في الفصل الثاني.

ثم إن قوله: (يعني ابن السوداء) ليس من كلام أبي الطفيل، بل هي زيادة أو اجتهاد من الرواة، ونظائره كثيرة في الأحاديث، وهو الحديث الذي اصطلح عليه المحدِّثون بـ (الحديث المدرج)[2]، وإلا فكلام أبي الطفيل لا دلالة فيه على أن الضمائر تعود على عبد الله بن سبأ.

ومع التسليم بأن ابن السوداء في الخبر هو عبد الله بن سبأ المبحوث عنه فإن دلالته أيضاً لا تعدو كونه أحد الكذابين.

ومنها: ما أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده عن زيد بن وهب، عن علي قال: ما لي ومال هذا الحميت الأسود؟[3]

---

(١) تاريخ دمشق ٢٩/ ٧.

(٢) راجع الحديث المدرج في مقباس الهداية ١/ ٢١٩.

(٣) تاريخ دمشق ٢٩/ ٧.

وهذه الرواية بعد الغض عن سندها لا تدل على أن المراد بالحميت الأسود هو عبد الله بن سبأ أو غيره، فهي مجملة غير واضحة الدلالة كما لا يخفى، فلا يمكن الاحتجاج بها على شيء.

وما قالوه من أن أمير المؤمنين عليه السلام يريد به عبد الله بن سبأ غير معلوم. ومع التسليم به فأقصى دلالة لهذا الأثر هي أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يعبِّر عن استيائه من عبد الله بن سبأ لسبب ما، ولعله كان لكذبه ليلتئم هذا الأثر مع ما سبقه.

ومنها: ما أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، قال: أخبرنا أبو محمد بن طاوس، وأبو يعلى حمزة بن الحسن بن المفرج، قالا: أنا أبو القاسم بن أبي العلاء،أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا خيثمة بن سليمان، نا أحمد بن زهير بن حرب، نا عمرو بن مروزق، أنا شعبة، عن سلمة بن كهيل، عن زيد بن وهب قال: قال علي بن أبي طالب: ما لي ولهذا الحميت الأسود؟ يعني عبد الله بن سبأ وكان يقع في أبي بكر وعمر[١].

وهذه الرواية حالها كحال سابقتها، وهي ظاهرة في أن قوله: (يعني عبد الله بن سبأ وكان يقع في أبي بكر وعمر) زيادة من الرواة، بقرينة أنها رويت كما مرّ خالية من هذه الزيادة.

مع أنه يحتمل أن يكون المراد بعبد الله بن سبأ في تلك الزيادة هو عبد الله بن وهب الراسبي السبائي، فإنه أيضاً يقال له: عبد الله السبائي، كما سيأتي في الحديث حول عبد الله بن وهب الراسبي.

ولو أبيت إلا القول بدلالتها على أن المراد هو عبد الله بن سبأ المبحوث عنه، فهي لا تدل على أكثر من أنه كان يقع في أبي بكر وعمر.

هذا مع أن في سند هذه الرواية رجلاً مختلَفاً فيه، فإن من رجال سندها: عمرو بن مرزوق، وهو وإن وثّقه بعضهم، إلا أن الذهبي روى في سير أعلام النبلاء عن

---

(١) تاريخ دمشق ٢٩/ ٩.

القواريري، أن يحيى بن معين كان لا يرضى عمرو بن مرزوق في الحديث.

وعن علي بن المديني أنه قال: تركوا حديث الفَهْدَين والعَمْرين. يريد فهد بن عوف، وفهد بن حيّان، وعمرو بن حكام، وعمرو بن مرزوق[١].

ومنها: ما أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، قال: وأخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الحسن بن إبراهيم الداراني، أنا سهل بن بشر، أنا أبو الحسن علي بن منير بن أحمد بن منير الخلال، قالا: أنا القاضي أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله الذهلي، نا أبو أحمد بن عبدوس، نا محمد بن عباد، نا سفيان، نا عبد الجبار بن العباس الهمداني، عن سلمة بن كهيل، عن حجية بن عدي الكندي، قال: رأيت عليّاً كرم الله وجهه وهو على المنبر، وهو يقول: من يعذرني من هذا الحميت الأسود الذي يكذب على الله ورسوله؟ ـ يعني ابن السوداء ـ لولا أن لا يزال يخرج عليَّ عصابة ينعى عليَّ دمه كما ادّعيت عليَّ دماء أهل النهر لجعلت منهم ركاماً[٢].

وهذه الرواية حالها كحال ما سبقها، فلا دلالة فيها على أن المراد بالحميت الأسود هو عبد الله بن سبأ. وقوله: يعني ابن السوداء، هو أيضاً زيادة من الرواة كما هو الظاهر وكما مرّ.

ووصفه بابن السوداء ـ كما قلنا فيما تقدم ـ لا يدل على خصوص عبد الله بن سبأ، فإن من كان يُعيَّر بذلك كثير كما مرّ، فلعله شخص آخر غيره.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

هذا ما عثرنا عليه من الروايات التي ورد فيها ذكر عبد الله بن سبأ في مصادر أهل السنة، وثمة أخبار أخر سنذكرها في الفصل الثامن، في حديثنا حول نفي ابن سبأ

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤١٨.

(٢) تاريخ دمشق ٢٩/ ٨.

إلى المدائن إن شاء الله تعالى.

وهذه الآثار مع ضعف أسانيدها إما غير واضحة الدلالة على أن المراد بها عبد الله بن سبأ المبحوث عنه، وإما أنها دالة على كونه كذاباً يكذب على الله وعلى رسوله.

أما أنه كان يهودياً فأسلم، أو كان له ضلع في أحداث الفتنة الواقعة في زمن عثمان، أو أنه كان يجهر بالرجعة أو بالوصاية أو بغيرهما، فلا أثر فيها لشيء من ذلك إلا في روايات سيف بن عمر المتقدمة.

مع أن كل تلك الروايات لم تروَ من طرق الشيعة الإمامية، بل رُويت من طريق غيرهم، فمع صحة سندها عندهم فهي حجة على مَن يرى حجيتها لا على غيرهم، فلا تصلح للاحتجاج بها على الشيعة الإمامية، وهذا واضح معلوم.

الفصل الخامس

ابن سبأ في المصادر الشيعية

إن الأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في المصادر الشيعية يمكن تصنيفها إلى طائفتين:

الطائفة الأولى: الأحاديث التي دلَّت على وجود رجل اسمه عبد الله بن سبأ كان معاصراً لأمير المؤمنين عليه السلام:

منها: ما رواه الشيخ في التهذيب، والصدوق في الفقيه والعلل والخصال، بأسانيد تنتهي إلى الحسن بن راشد عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه، أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إذا فرغ أحدكم من الصلاة فليرفع يديه إلى السماء، ولينصب في الدعاء. فقال ابن سبأ: يا أمير المؤمنين أليس الله في كل مكان؟ قال: بلى. قال: فلِمَ يرفع يديه إلى السماء؟ فقال: أوَما تقرأ ﴿**وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾؟ فمن أين يُطلب الرزق إلا من موضعه؟ وموضع الرزق وما وعد الله السماء[1].

---

(١) تهذيب الأحكام ٢/ ٣٢٢. من لا يحضره الفقيه ١/ ٢٢٩. علل الشرائع ٢/ ٣٤٤. الخصال، ص ٦٢٨. وسائل الشيعة ٤/ ١٠٥٧.

إلا أن هذه الرواية ضعيفة السند بالحسن بن راشد، فإنه لم يثبت توثيقه في كتب الرجال[١]، فالرواية ساقطة، فلا يحتج بها على وجود عبد الله بن سبأ.

هذا مع أن ابن سبأ يمكن أن يكون المراد به هنا هو عبد الله بن وهب الراسبي السبائي، وسيأتي في البحوث الآتية مزيد بيان في ذلك.

والطائفة الثانية: دلَّت على أنه ادَّعى الألوهية لأمير المؤمنين عليه السلام، فأحرقه أمير المؤمنين عليه السلام بالنار، وهي مجموعة من الروايات:

منها: ما رواه الكشي في رجاله بسنده عن أبي جعفر عليه السلام أن عبد الله بن سبأ كان يدَّعي النبوة، ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله (تعالى عن ذلك)، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فدعاه وسأله، فأقرَّ بذلك وقال: نعم، أنت هو، وقد كان أُلقي في روعي أنك أنت الله وأني نبي. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك قد سخر منك الشيطان، فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب. فأبى فحبسه، واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب، فأحرقه بالنار، وقال: إن الشيطان استهواه، فكان يأتيه ويلقي في روعه ذلك[٢].

وهذه الرواية ضعيفة بمحمد بن عثمان العبدي وبسنان والد عبد الله بن سنان، فإنهما لم يثبت توثيقهما.

ومنها: ما رواه الكشي أيضاً بسنده عن عبد الله قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنَّا أهل بيت صدّيقون، لا نخلو من كذّاب يكذب علينا، ويُسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصدق الناس لهجة، وأصدق البريّة كلها، وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله بعد رسول الله، وكان الذي

---

(١) هو مولى بني العباس، وكان وزيراً للمهدي العباسي وموسى وهارون، قال ابن الغضائري: ضعيف في روايته (راجع معجم رجال الحديث ٤/ ٣٣٢).

(٢) اختيار معرفة الرجال، ص ١٠٦.

يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه، ويفتري على الله الكذب عبد الله بن سبأ[١].

وهذه الرواية أيضاً ضعيفة السند، فإن في طريقها محمد بن خالد الطيالسي، وهو لم يرد له توثيق في كتب الرجال.

ومنها: ما رواه الكشي أيضاً بسنده عن هشام بن سالم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول وهو يحدِّث أصحابه بحديث عبد الله بن سبأ وما ادّعى من الربوبية في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقال: إنه لما ادّعى ذلك فيه استتابه أمير المؤمنين عليه السلام، فأبى أن يتوب فأحرقه بالنار.

ومنها: ما رواه الكشي أيضاً في كتابه المذكور بسنده عن أبان بن عثمان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لعن الله عبد الله بن سبأ، إنه ادّعى الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام، وكان والله أمير المؤمنين عليه السلام عبداً لله طائعاً، الويل لمن كذب علينا، وإن قوماً يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، نبرأ إلى الله منهم، نبرأ إلى الله منهم.

ومنها: ما رواه أيضاً بسنده عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: لعن الله من كذب علينا، إني ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادّعى أمراً عظيماً، ما له لعنه الله؟! كان علي عليه السلام والله عبداً لله صالحاً، أخو رسول الله، ما نال الكرامة من الله إلا بطاعته لله ولرسوله، وما نال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكرامة من الله إلا بطاعته.

وهذه الروايات الثلاث صحيحة السند، وهي دالَّة بوضوح على أن رجلاً اسمه عبد الله بن سبأ، قد غلا في أمير المؤمنين عليه السلام، فادّعى ألوهيته، فاستتابه أمير المؤمنين عليه السلام، فلما لم يتب أحرقه بالنار وانتهى أمره.

ويمكن أن نستظهر من هذه الروايات أن ابن سبأ هذا لم يكن يهودياً ولم يكن له

---

(١) اختيار معرفة الرجال، ص ١٠٨، ٣٠٥.

أي دور في الفتنة، وإلا لأشار الإمامان عليهما السلام إلى شيء من ذلك، ولا سيما أنهما عليهما السلام كانا في مقام ذمّه والقدح فيه.

ومنها: ما رواه المجلسي في البحار والنوري في مستدرك الوسائل وغيرهما عن الشيخ الجليل الحسين بن عبد الوهاب المعاصر للمفيد رحمه الله في كتاب عيون المعجزات، نقلاً من كتاب الأنوار تأليف أبي علي الحسن بن همام: بسنده عن عمار الساباطي، قال: قدم أمير المؤمنين عليه السلام المدائن، فنزل بإيوان كسرى، وكان معه دلف بن مجير منجم كسرى، فلما زال الزوال قال لدلف: قم معي.

إلى أن قال: ثم نظر إلى جمجمة نخرة، فقال لبعض أصحابه: خذ هذه الجمجمة. وكانت مطروحة، وجاء إلى الإيوان وجلس فيه، ودعا بطست وصب فيه ماء، وقال له: دع هذه الجمجمة في الطست. ثم قال عليه السلام : أقسمت عليك يا جمجمة، أخبريني من أنا؟ ومن أنت؟ فنطقت الجمجمة بلسان فصيح، وقالت: أما أنت فأمير المؤمنين وسيد الوصيين، وأما أنا فعبد الله وابن أمة الله كسرى أنوشيروان. فانصرف القوم الذين كانوا معه من أهل ساباط إلى أهاليهم، وأخبروهم بما كان وبما سمعوه من الجمجمة، فاضطربوا واختلفوا في معنى أمير المؤمنين عليه السلام، وحضروه وقال بعضهم فيه مثل ما قال النصارى في المسيح، ومثل ما قال عبد الله بن سبأ وأصحابه [فقال له أصحابه]: فإن تركتهم على هذا كفر الناس. فلما سمع ذلك منهم قال لهم: ما تحبون أن أصنع بهم؟ قال: تحرقهم بالنار كما أحرقت عبد الله بن سبأ وأصحابه. فأحضرهم وقال: ما حملكم على ما قلتم؟ قالوا: سمعنا كلام الجمجمة النخرة، ومخاطبتها إياك، ولا يجوز ذلك إلا لله تعالى، فمن ذلك قلنا ما قلنا. فقال عليه السلام : ارجعوا إلى كلامكم وتوبوا إلى الله. فقالوا: ما كنا نرجع عن قولنا، فاصنع بنا ما أنت صانع. فأمر أن تضرم لهم النار فحرقهم، فلما احترقوا قال: اسحقوهم واذروهم في الريح. فسحقوهم وذروهم في الريح، فلما كان اليوم الثالث من إحراقهم، دخل إليه أهل الساباط وقالوا: الله الله في

دين محمد صلى الله عليه وآله، إن الذين أحرقتهم بالنار قد رجعوا إلى منازلهم أحسن ما كانوا. فقال عليه السلام: أليس قد أحرقتموهم بالنار، وسحقتموهم وذريتموهم في الريح؟ قالوا: بلى. قال: أحرقتهم أنا، والله أحياهم. فانصرف أهل ساباط متحيِّرين[1].

وهذه الرواية مع الغض عن متنها هي ضعيفة السند، بموسى بن عطية وحسان بن أحمد الأزرق ، فهما مجهولان لم يُذكرا في كتب الرجال، وبالعباس بن الفضل، فإنه لم يوثَّق في كتب الرجال، هذا مضافاً إلى أن عمار الساباطي لم يروها عن الإمام المعصوم، فهي رواية موقوفة، من كلام عمار نفسه، فلا تصلح للاحتجاج بها.

ونفس هذه الرواية رواها الشيخ شاذان بن جبرئيل القمي في كتاب الفضائل، ومحمد بن جرير الشيعي في نوادر المعجزات[2] عن أبي الأحوص، بما يقرب من الرواية المذكورة، وفيها ذكر عبد الله بن سبأ، إلا أن الرواية كسابقتها ضعيفة السند، فلا تصلح للاحتجاج بها.

ومع التسليم بهما فأكثر ما تثبتانه هو أن عبد الله بن سبأ كان قد غلا في أمير المؤمنين عليه السلام، فأحرق بالنار، وسيأتي إن شاء الله تعالى ما ينفع في هذا المقام.

وبالجملة فأكثر الروايات التي ذكرت ابن سبأ وردت بأسانيد غير نقية، فلا يمكن الاعتماد عليها في إثبات هذا الرجل.

والصحيح من تلك الروايات منحصر بثلاث روايات مروية في رجال الكشي، وهي تثبت وجود عبد الله بن سبأ، وأنه ادّعى الألوهية في أمير المؤمنين عليه السلام، فأحرقه عليه السلام بالنار، ولا تثبت أكثر من ذلك.

والذي يظهر من ابن حجر في فتح الباري أن الثابت بالروايات الصحيحة أن علياً عليه السلام أحرق جماعة ادّعوا فيه الألوهية، ومسألة السبائية يمكن أن يكون

---

(١) عيون المعجزات، ص ١٠. مستدرك الوسائل ١٨/ ١٦٩. بحار الأنوار ٤١/ ٢١٣.

(٢) الفضائل، ص ٦٤ ط حجرية، وطبعة أخرى ص ٧٠. نوادر المعجزات، ص ٢١.

أصلها ذلك.

قال في فتح الباري: زعم أبو المظفر الإسفرايني في الملل والنحل أن الذين أحرقهم علي طائفة من الروافض ادَّعوا فيه الإلهية، وهم السبائية، وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ يهودياً، ثم أظهر الإسلام وابتدع هذه المقالة. وهذا يمكن أن يكون أصله ما رويناه في الجزء الثالث من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي: إن هنا قوماً على باب المسجد يدَّعون أنك ربّهم. فدعاهم فقال لهم: ويلكم ما تقولون؟ قالوا: أنت ربّنا وخالقنا ورازقنا. فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم، آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعتُ الله أثابني إن شاء، وإن عصيتُه خشيتُ أن يعذّبني، فاتّقوا الله وارجعوا. فأبوا، فلما كان الغد غدوا عليه، فجاء قنبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام. فقال: أدخلهم. فقالوا كذلك، فلما كان الثالث قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنَّكم بأخبث قتلة. فأبوا إلا ذلك، فقال: يا قنبر ائتني بفعلة معهم مرورهم، فخدَّ لهم أخدوداً بين باب المسجد والقصر. وقال: احفروا فأبعدوا في الأرض. وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود، وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا. فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم فيها، حتى إذا احترقوا قال:

إني إذا رأيتُ أمراً منكَرا أوقدتُ ناري ودعوتُ قنبرا

وهذا سند حسن[1].

والذي يظهر من كلام ابن حجر أنه لم يعثر في الأخبار الصحيحة على ما يدل على ادّعاء عبد الله بن سبأ وأتباعه الألوهية في أمير المؤمنين عليه السلام، فاحتمل أن يكون هؤلاء الذين ادّعوا الألوهية في أمير المؤمنين عليه السلام هم أصل ما قيل في ابن سبأ والسبائية، والله العالم.

---

(١) فتح الباري ١٢/ ٢٢٧.

الفصل السادس

هل ابن سبأ هو
عبد الله بن وهب الراسبي؟

ورد في بعض المصادر الحديثية والتاريخية ذِكر عبد الله بن وهب الراسبي السبائي، الذي كان من رؤوس الخوارج الذين حاربوا علياً عليه السلام في النهروان ، وكان مِن جملة مَن قُتل في تلك الواقعة.

وقد جزم بعض المؤرخين بأن عبد الله بن وهب هذا هو عبد الله بن سبأ الذي نتحدث عنه، وقد صرّح بذلك الأشعري في المقالات والفرق، حيث قال: السبائية أصحاب عبد الله بن سبأ، وهو عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني[1].

وقال البلاذري في أنساب الأشراف: وأما حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي وحبة بن جوين البجلي ثم العرني وعبد الله بن وهب الهمداني وهو ابن سبأ، فإنهم أتوا علياً فسألوه عن أبي بكر وعمر[2].

فهل عبد الله بن وهب الراسبي السبائي هو عبد الله بن سبأ الذي هو موضوع

(١) المقالات والفرق، ص ٢٠.

(٢) أنساب الأشراف ٢/ ٣٨٣.

حديثنا؟ أم أنه رجل آخر؟

لبيان حقيقة الأمر نقول:

إن أوجه التشابه التي ذكروها للرجلين أوقعت بعض المؤرخين في توهّم الاتحاد بينهما، فكلاهما اسمه (عبد الله)، وكلاهما كان من اليمن، وكلاهما كان مع أمير المؤمنين عليه السلام، وكلاهما يسمّى ابن السوداء كما مرَّ، وأيضاً هذا سبائي، وذاك ابن سبأ.

ثم إن بعض الروايات أيضاً أوهمت هذا الاتحاد، فقد أخرج الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد بسنده عن الشعبي، قال: أخبرني زحر بن قيس الجعفي قال: بعثني علي على أربعمائة من أهل العراق، وأمرنا أن ننزل المدائن رابطة، قال: فوالله إنا لجلوس عند غروب الشمس على الطريق إذ جاءنا رجل قد أعرق دابته، قال: فقلنا: من أين أقبلت؟ فقال: من الكوفة. فقلنا: متى خرجت؟ قال: اليوم. قلنا: فما الخبر؟ قال: خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة صلاة الفجر فابتدره ابن بجدة وابن ملجم، فضربه أحدهما ضربة، إن الرجل ليعيش مما هو أشد منها، ويموت مما هو أهون منها. قال: ثم ذهب، فقال عبد الله بن وهب السبائي ورفع يده إلى السماء: الله أكبر، الله أكبر. قال: قلت له: ما شأنك؟ قال: لو أخبَرَنا هذا أنه نظر إلى دماغه قد خرج، عرفت أن أمير المؤمنين لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه. قال: فوالله ما مكثنا إلا تلك الليلة حتى جاءنا كتاب الحسن بن علي: من عبد الله حسن أمير المؤمنين إلى زحر بن قيس، أما بعد فخذ البيعة على مَن قِبَلك. قال: فقلنا: أين ما قلت؟ قال: ما كنت أراه يموت[1].

وهذه المقولة من عبد الله بن وهب السبائي قريبة مما نقلوه عن عبد الله بن سبأ، حيث قال: إن جئتمونا بدماغه في سبعين صُرَّة لم نصدِّق بموته، لا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها.

كل ذلك أوهم الاتحاد بين هذين الرجلين.

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٤٨٧.

ونحن إذا صحَّحنا الأحاديث الدالة على أن عبد الله بن سبأ قد أحرقه أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة، فنحن في غنى عن بيان بطلان هذا الاتحاد المزعوم، إلا أنا مع ذلك عندما نقارن بين ما قيل في بيان شخصية كلا الرجلين، نرى أن صفات أحدهما لا تنطبق على الآخر وإن كانت ثمة أوجه تشابه بينهما، إلا أن أوجُه الافتراق بينهما كثيرة، ولا يمكن معها القول بالاتحاد بينهما.

فمن أوجه الاختلاف بينهما:

١ـ أن عبد الله بن سبأ لم يوصف بزهد ولا عبادة، وأما عبد الله بن وهب فقد ذكروا عنه أنه كان صاحب نسك وعبادة حتى إنه كان يسمَّى (ذا الثفنات).

قال ابن حجر في الإصابة: وكان عجباً في كثرة العبادة حتى لُقّب ذا الثفنات، كان لكثرة سجوده صار في يديه وركبتيه كثفنات البعير[١].

وحكى ابن كثير في البداية والنهاية عن الهيثم بن عدي في كتابه الخوارج قوله: وكان عبد الله بن وهب الراسبي قد قحلت مواضع السجود منه من شدة اجتهاده وكثرة سجوده، وكان يقال له: ذوالثفنات[٢].

٢ـ أن عبد الله بن سبأ قيل عنه: (إنه يهودي أسلم في زمن عثمان) كما مرَّ في رواية الطبري وغيره، بينما كان عبد الله بن وهب ممن شارك في الفتوحات في خلافة عمر بن الخطاب.

قال ابن حجر في الإصابة في ترجمته: وشهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص، وذكر الطبري في التاريخ أن سعداً أرسله مع المضارب العجلي وجماعة، وأمَّر عليهم ضرار بن الخطاب بأمر عمر إلى أناس اجتمعوا من الذين يقاتلونهم[٣].

---

(١) الإصابة ٥/ ٧٨.

(٢) البداية والنهاية ٧/ ٣٠٠.

(٣) الإصابة ٥/ ٧٨.

٣ـ أن عبد الله بن سبأ كان يغالي في أمير المؤمنين عليه السلام فيؤلّهه، أو ـ على رواية سيف ـ كان يفضّله على من سبقه من الخلفاء، وكان يقول: إنه وصي رسول الله، وإنه دابة الأرض... وأما عبد الله بن وهب الراسبي فكان يكفّر أمير المؤمنين عليه السلام، وكان لا يسمّيه إلا (الجاحد)[1]، وما أبعد ما بين هذين المعتقدين.

٤ـ أن عبد الله بن وهب كان من رؤوس الخوارج، وأما عبد الله بن سبأ فلم يكن خارجياً، فضلاً عن أن يكون رأساً فيهم.

٥ـ أن عبد الله بن سبأ إما أحرقه أمير المؤمنين عليه السلام بالنار، وإما نفاه إلى المدائن وبقي فيها إلى أن بلغه مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يُنقل غير ذلك حتى بخبر ضعيف، وأما عبد الله بن وهب فقد أطبق كل من ذكر واقعة النهروان على أنه قُتل فيها.

قال ابن حجر في لسان الميزان: عبد الله بن راسب من رؤوس الحرورية، ذكره بعضهم في كتب الضعفاء، وهو في كتاب أبي إسحاق الجوزجاني من أقران عبد الله بن الكوا، وقد أدرك الجاهلية. انتهى. وهذا الرجل إنما اسمه عبد الله بن وهب الراسبي من بني راسب قبيلة معروفة، وهو كان أمير الخوارج بالنهروان لما قاتلهم علي رضي الله تعالى عنه، وقُتل في المعركة، ولا أعلم له رواية[2].

وقال في الإصابة: وقُتل الراسبي المذكور مع مَن قُتل بالنهروان، وقصته في ذلك مشهورة[3].

وقال ابن كثير في البداية والنهاية في سياق ما وقع في النهروان: وكانوا في أربعة آلاف، فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي، فزحفوا إلى علي، فقدَّم علي بين يديه الخيل، وقدَّم منهم الرماة، وصف الرجَّالة وراء الخيالة، وقال

---

(١) البداية والنهاية ٧/ ٣٠٠.

(٢) لسان الميزان ٣/ ٢٨٤.

(٣) الإصابة ٥/ ٧٨.

لأصحابه: كفُّوا عنهم حتى يبدؤوكم، وأقبلت الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله، الرواح الرواح إلى الجنة. فحملوا على الخيالة الذين قدَّمهم علي ففرَّقوهم، حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة، وأخرى إلى الميسرة، فاستقبلتهم الرماة بالنبل، فرموا وجوههم، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فأناموا الخوارج، فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول، وقُتل أمراؤهم عبد الله بن وهب وحرقوص بن زهير وشريح بن أوفى وعبد الله بن سخبرة السلمي قبحهم الله[1].

من ذلك كله نخلص إلى أن عبد الله بن وهب الراسبي السبائي لم يكن عبد الله بن سبأ، ولا ينبغي أن يُتوهَّم أنه هو.

وأما ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد فمضافاً إلى ضعف سنده عندنا، لكونه لم يُروَ من طريق الشيعة الإمامية، واشتماله على رجال لم يثبت توثيقهم، فإنه ضعيف السند أيضاً عندهم، لأن في سنده مجالد بن سعيد وزياداً البكائي[2]، وهما قد ضعّفهما غير واحد منهم.

وعلى هذا فتكون الرواية ساقطة، لا يمكن الاحتجاج بها.

---

(١) البداية والنهاية ٧/ ٢٩٩.

(٢) أما مجالد بن سعيد فقد ضعّفه ابن حبان في المجروحين ٣/ ١٠، وقال: كان رديء الحفظ، يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل، لا يجوز الاحتجاج به.

قلت: ضعّفه يحيى بن معين، والسعدي، ويحيى بن سعيد القطان، والنسائي. راجع ما قالوه فيه في الكامل في ضعفاء الرجال ٨/ ١٦٨، كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي، ص ٢٣٦، الضعفاء الصغير للبخاري، ص ١١٦، كتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ١/ ٣٥، تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٦.

وأما زياد البكائي فضعّفه يحيى بن معين في غير ما ينقله عن مغازي ابن إسحاق. كما ضعّفه أيضاً ابن المديني والنسائي وصالح بن محمد وابن سعد (راجع تهذيب الكمال ٩/ ٤٨٧ ـ ٤٨٩، وتهذيب التهذيب ٣/ ٣٢٣). وقال أبو حاتم كما في الجرح والتعديل ٣/ ٥٣٨: يكتب حديثه، ولا يحتج به. وفي سير أعلام النبلاء ٩/ ٦: قال ابن المديني: لا أروي عنه شيئاً. وقال صالح جزرة: هو نفسه ضعيف الحديث... وقال النسائي: ليس بالقوي... وقال أبو حاتم: لا يحتج به. وقال الترمذي: كثير المناكير... إلى آخر ما ذكروه عنه.

هذا مضافاً إلى أن هذه الرواية لو صحّت فيمكن أن يكون عبد الله بن وهب هذا رجلاً له هذا الاسم منسوباً إلى سبأ، وذلك لأن عبد الله بن سبأ إن كان حياً في ذلك الوقت فهو في المدائن كما مرّ، ولم يكن في هؤلاء الأربعمائة الذين بعثهم أمير المؤمنين عليه السلام رابطة.

والظاهر أن هذا الرجل هو وهب بن عبد الله السوائي[1]، فحُرّف إلى عبد الله بن وهب السبائي، وما أقرب التشابه بين الاسمين.

ووهب بن عبد الله السوائي هو أبو جحيفة السوائي، كان من أصحاب علي عليه السلام، وهو من صغار صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان مراهقاً عند موته صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: شهد مع علي النهروان، وورد المدائن في صحبته[2].

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: وكان صاحب شرطة علي رضي الله عنه. قال: وقيل: إن علي بن أبي طالب كان إذا خطب يقوم أبو جحيفة تحت منبره[3].

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: وكان علي قد جعله على بيت المال بالكوفة، وشهد معه مشاهده كلها[4].

---

(١) له ترجمة في تاريخ بغداد ١/ ١٩٩. التاريخ الكبير ٨/ ١٦٢. الجرح والتعديل ٩/ ٢٢. تكملة الإكمال ٣/ ٣٥٩. سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٠٢. الثقات لابن حبان ٣/ ٤٢٨. التعديل والتجريح للباجي ٣/ ١١٩٢. الكاشف للذهبي ٣/ ٢٣٣. تقريب التهذيب ١/ ٥٨٥. تهذيب التهذيب ٨/ ١٥١، ١١/ ١٤٥. تهذيب الكمال ٢٢/ ٤٤٧، ٣١/ ١٣٢. رجال صحيح البخاري ٢/ ٧٥٩. رجال صحيح مسلم ٢/ ٣٠٥. الاستيعاب ٤/ ١٥٦١. معجم الصحابة ٣/ ١٧٩.

(٢) تاريخ بغداد ١/ ١٩٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٠٢.

(٤) الاستيعاب ٤/ ١٥٦١.

ويقرب هذا الاحتمال أن مجالد بن سعيد راوي الخبر وصفه ابن حبان كما مرّ بأنه رديء الحفظ ويقلب الأسانيد، فلعل ذكر (السبائي) كان من سوء الحفظ، وتقديم (عبد الله) على (وهب) كان من تقليب الأسانيد، والله العالم.

وعلى كل حال فلا يظهر من الخبر أن هذا الرجل كان على عقيدة ابن سبأ اليهودي التي ذكروها، فإنه إنما استبعد موت أمير المؤمنين عليه السلام لا أكثر من ذلك، فلما علم بعد ذلك صدق الخبر لم ينكره، كما يظهر من قوله بعد ذلك: (ما كنتُ أراه يموت)، وهذا يحصل للناس كثيراً، فإنهم يستبعدون وقوع بعض الحوادث عندما يسمعونها فجأة، ثم لما يتبيّن لهم صدقها يسلّمون بها، وأهل السنة رووا صدور مثل ذلك من عمر بن الخطاب بل من كثير من الصحابة لما بلغهم موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة ـ في حديث ـ قالت: فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنَّه الله، فليقطعنَّ أيدي رجال وأرجلهم...[1].

وأخرج ابن حبان في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك أنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام عمر بن الخطاب في الناس خطيباً، فقال: لا أسمعن أحداً يقول: (إن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد مات)، إن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يمت، ولكن أرسل إليه ربّه كما أرسل إلى موسى، فلبث عن قومه أربعين ليلة[2].

قال الزهري: وأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قال في خطبته: إني لأرجو أن يقطع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات[2].

وأخرج ابن ماجة في سننه بسنده عن عائشة في حديث قالت: وعمر في ناحية المسجد يقول: والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يموت حتى يقطع أيدي أناس من

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ١١٢٨ ح ٣٦٦٧. السنن الكبرى للبيهقي ٨/ ١٤٢.

(٢) صحيح ابن حبان ١٤/ ٥٨٨.

المنافقين كثير وأرجلهم[١].

وأخرج أحمد في المسند بسنده عن عائشة ـ في حديث ـ قالت: فجاء عمر والمغيرة بن شعبة، فاستأذنا فأذنتُ لهما، وجذبتُ إليَّ الحجاب، فنظر عمر إليه فقال: واغشياه، ما أشد غشي رسول الله ﷺ! ثم قاما فلما دنَوَا من الباب قال المغيرة: يا عمر مات رسول الله ﷺ. قال: كذبت، بل أنت رجل تحوسك فتنة، إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله عز وجل المنافقين. قالت: ثم جاء أبو بكر، فرفعتُ الحجاب فنظر إليه، فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، مات رسول الله ﷺ... فخرج إلى المسجد وعمر يخطب الناس، ويتكلَّم ويقول: إن رسول الله لا يموت حتى يفني الله المنافقين. فتكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله عز وجل يقول ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾. الحديث[٢].

وفي خبر آخر: فحنى عليه يقبله ويبكي ويقول: ليس ما يقوله ابن الخطاب شيئاً، توفي رسول الله والذي نفسي بيده.

وفي خبر ثالث: وقام عمر بن الخطاب يخطب الناس ويتوعَّد مَن قال: (مات) بالقتل والقطع، ويقول: إن رسول الله ﷺ في غشية، لو قد قام قتل وقطع[٣].

وأخرج ابن سعد في الطبقات بسنده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: اقتحم الناس على النبي ﷺ في بيت عائشة ينظرون إليه، فقالوا: كيف يموت وهو شهيد علينا، ونحن شهداء على الناس، فيموت ولم يظهر على الناس؟! لا والله ما مات، ولكنه رُفع كما رُفع عيسى بن مريم ﷺ، وليرجعن. وتوعدوا مَن قال

(١) سنن ابن ماجة ١/ ٥٢٠.

(٢) مسند أحمد ٦/ ٢١٩. مجمع الزوائد ٩/ ٣٢. مسند إسحاق بن راهويه ٣/ ٩٩١. الطبقات الكبرى ٢/ ٢٦٧. البداية والنهاية ٥/ ٢١٢.

(٣) البداية والنهاية ٥/ ٢١٣.

إنه مات، ونادوا في حجرة عائشة وعلى الباب: لا تدفنوه، فإن رسول الله ﷺ لم يمت[١].

وهذا الحديث ظاهر في أن كثيراً من صحابة النبي ﷺ كانوا قد أنكروا موته لما بلغهم الخبر.

قال ابن حجر في فتح الباري في شرحه لحديث البخاري المتقدم: وفي الحديث قوة جأش أبي بكر وكثرة علمه، وقد وافقه على ذلك العباس كما ذكرنا، والمغيرة كما رواه ابن سعد، وابن أم مكتوم كما في المغازي... عن عروة قال: إنه كان يتلو قوله تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ والناس لا يلتفتون إليه، وكان أكثر الصحابة على خلاف ذلك، فيؤخذ منه أن الأقل عدداً في الاجتهاد قد يصيب، ويخطئ الأكثر، فلا يتعين الترجيح بالأكثر، ولا سيما إن ظهر أن بعضهم قلّد بعضاً[٢].

والحاصل أن استبعاد عبد الله بن وهب السبائي أو وهب بن عبد الله السوائي لموت أمير المؤمنين عليه السلام أمر مألوف، ولا سيما أن المخبر لم يخبر بموته عليه السلام، وإنما أخبر بأنه ضُرب بالسيف.

وهذا بخلاف ما صدر من عمر بن الخطاب وغيره، فإنهم قد بلغهم موت النبي ﷺ، ورأوه مسجّى على فراشه، وكان ﷺ قبل ذلك يشكو العلة، وأخبرهم بدنو أجله، وأوصاهم بوصاياه... ومع كل ذلك أنكروا موته، وقالوا ما قالوا.

وكيف كان فإن رواية الخطيب بعد الغض عن ضعف سندها لا تنبئ عن أن قائلها كان يعتقد في أمير المؤمنين عليه السلام عقيدة عبد الله بن سبأ التي ذكروها، وهو واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان.

فتحصل من كل ما تقدم أن عبد الله بن وهب الراسبي ليس هو عبد الله بن

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/ ٢٧١.

(٢) فتح الباري ٨/ ١٢٠.

سبأ، لأن مجموع ما ذكروه عن الرجلين يدل دلالة واضحة على أنهما شخصان متغايران لا شخص واحد.

الفصل السابع

هل ابن سبأ هو
الصحابي عمار بن ياسر؟

ذهب بعض الباحثين إلى أن عبد الله بن سبأ هو الصحابي عمار بن ياسر رضوان الله عليه.

ما هو وجه هذه الدعوى؟ وما مدى صحّتها؟

ذهب الدكتور علي الوردي إلى هذا الرأي، واستدلَّ عليه ببعض الأدلة، وهي:

١ـ كان ابن سبأ يُعرَف بابن السوداء، وقد رأينا كيف كان عمار يكنّى بابن السوداء أيضاً...

٢ـ وكان من أب يمان، ومعنى هذا أنه كان من أبناء سبأ، فكل يمان يصح أن يقال عنه: (إنه ابن سبأ). فأهل اليمن كلهم ينتسبون إلى سبأ بن يشجب بن قحطان، وفي القرآن قال الهدهد لسليمان إنه جاءه من سبأ، وقصد بذلك اليمن (النمل: ٢٢) (سبأ: ١٤).

٣ـ وعمار فوق ذلك كله كان شديد الحب لعلي بن أبي طالب (ع) يدعو له

ويحرّض الناس على بيعته في كل سبيل.

٤ـ وقد ذهب عمار في أيام عثمان إلى مصر، وأخذ يحرّض الناس ثمة، فضجَّ الوالي منه وهمَّ بالبطش به...، وهذا الخبر يشابه ما نُسب إلى ابن السوداء من أنه استقر في مصر واتخذ الفسطاط مركزاً لدعوته، وشرع يراسل أنصاره منها.

٥ـ وينسب إلى ابن سبأ قوله: إن عثمان أخذ الخلافة بغير حق، وأن صاحبها الشرعي هو علي بن أبي طالب، والواقع أن هذا هو كلام عمار بن ياسر بالذات، فقد سُمع ذات يوم يصيح في المسجد ـ إثر بيعة عثمان ـ : يا معشر قريش، أما إذا حرفتم هذا الأمر عن بيت نبيكم ههنا مرة، وههنا مرة، فما أنا بآمن عليكم من أن ينزعه الله، فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله، ووضعتموه في غير أهله.

٦ـ ويُعزى إلى ابن سبأ أنه هو الذي عرقل مساعي الصلح بين علي وعائشة إبان معركة البصرة، فلولاه لتم الصلح بينهما حسب ما يقوله الرواة، ومن يدرس تفاصيل واقعة معركة البصرة يجد عماراً يقوم بدور فعال فيها، فهو الذي ذهب مع الحسن ومالك الأشتر إلى الكوفة يحرّض الناس على الانتماء إلى جيش علي، وكان وقوف عمار بجانب علي أثناء المعركة سبباً من أسباب ندم الزبير وخروجه منها.

٧ـ وقالوا عن ابن سبأ: إنه هو الذي حرّك أبا ذر في دعوته الاشتراكية، ولو درسنا صلة عمار بأبي ذر لوجدناها وثيقة جداً، فكلاهما من مدرسة واحدة، وهي مدرسة علي بن أبي طالب، وكان هؤلاء الثلاثة يجتمعون ويتشاورون ويتعاونون معاً...

نستخلص من هذا أن ابن سبأ لم يكن سوى عمار بن ياسر، فلقد كانت قريش تعتبر عماراً رأس الثورة على عثمان، ولكنها لم تشأ ـ في أول الأمر ـ أن تصرّح باسمه، فرمزت عنه بابن سبأ أو ابن السوداء، وتناقل الرواة هذا الأمر غافلين وهم لا يعرفون ماذا يجري وراء الستار[1].

(١) وعاظ السلاطين، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٨ (عن الصلة بين التصوف والتشيع ١/ ٣٦).

وأيَّد هذا الرأي الدكتور كامل مصطفى الشيبي في كتابه (الصلة بين التصوف والتشيّع)، ودعم تلك الأدلة، فقال:

وهذه الأدلة مقنعة ومنطقية، ولكنها في حاجة إلى نصوص تسند تسمية عمار بن ياسر بابن السوداء وابن سبأ، فأما كون عمار بن ياسر ابن السوداء فقد ورد في نص رواه علي بن إبراهيم صاحب التفسير الشيعي القديم لمناسبة الآية ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا**﴾[1]، نزلت في عثكن بن معاوية يوم الخندق، وذلك أنه مرَّ بعمار يحفر الخندق وقد ارتفع الغبار من الحفر، فوضع عثكن كمَّه على أنفه ومرَّ، فقال عمار:

لا يستوي مَنْ يبتني المساجدا	يظلُّ فيها راكعاً وساجدا
ومَن يمرُّ بالغبارِ حايدا	يُعرضُ عنه جاحداً معاندا

فالتفت إليه عثكن فقال: يا ابن السوداء إياي تعني؟ ثم أتى رسول الله، فقال له: لم ندخل معك لسبّ أعراضنا. فقال له الرسول: قد أقلتك إسلامك، فاذهب. فأنزل الله عز وجل ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا**﴾[2].

وأما كونه ابن سبأ فقد ورد في نسب عمار في طبقات ابن سعد، فقال: هو عمار بن ياسر بن مالك بن عوف بن حارثة بن عامر بن يام بن عنس، وهو زيد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن غريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[3].

إلى أن قال: وأما كونه عبد الله فكل المسلمين كذلك، وهو لقب عام لهم جميعاً، وكانت كل الكتب التي تصدر عن الخلفاء والأمراء والتي تَرِد إليهم تبدأ بعبارة: (من عبد الله فلان) أو (إلى عبد الله فلان)، وقد سمَّى علي نفسه في السقيفة

(١) سورة الحجرات، الآية ١٧.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ٢/ ٣٢٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ١٨٦.

بعبد الله[١]، وسمَّى المنصور نفسه بذلك، وكذلك محمد بن عبد الله بن الحسن[٢]، وعبد الملك بن مروان[٣]. فالتسمية لعمار بهذا الاسم كتسميته بابن السوداء، قُصِد بها التلميح، فكأن قائلهم يقول: فلان أو الرجل المتفق عليه، وذلك أمر تقتضيه سرّيّة التلميح.

ثم قال: يضاف إلى هذه الأدلة كلها دليل لم يلتفت إليه الدكتور الوردي، وذلك أن الطبري في تطرقه إلى حرب الجمل قد عرض لأنصار علي فيها، فكان إذا عددهم وذكر اسم عمار في جملتهم أغفل ذكر ابن السوداء، وإذا ذكر ابن السوداء تحامى ذكر اسم عمار، مما يرجّح أن الرجلين شخص واحد[٤].

وقال في موضع آخر: والسبئية على هذا الأساس فرقة قادها عمار الذي أطلقت عليه قريش ذلك اللقب الرمزي، وأضافت إلى آرائه في علي مبالغات وأضاليل لتضيف إلى أفكار عمار ما يخرج بها عن المعقول، ويسلبها قوة الإقناع، ويقنّعها بقناع الشك والبطلان، فينصرف الناس عنه وعن آرائه وعن مبدئه في أحقية علي وفضله على سائر المسلمين من معاصريه زمن عثمان[٥].

ويظهر من الدكتور علي النشار الميل إلى هذا القول أيضاً، حيث قال: من المحتمل أن تكون شخصية عبد الله بن سبأ شخصية موضوعة، أو أنها رمزت إلى شخصية ابن ياسر، ومن المحتمل أن يكون عبد الله بن سبأ هو مجرد تغليف لاسم عمار بن ياسر...

وقال: أو بمعنى أدق إني أقول: إنه من المرجَّح أن يكون عبد الله بن سبأ هو

---

(١) الإمامة والسياسة، ص ١٢.

(٢) تاريخ الطبري ٩/ ٢١٠.

(٣) العقد الفريد ٥/ ٢٦١.

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع ١/ ٣٧.

(٥) المصدر السابق ١/ ٨٩.

عمار بن ياسر، والمرجح أن النواصب حمّلوا كذباً عمار بن ياسر كل تلك الآراء التي لم يعرفها قط، ولم يقل بها قطعاً[(١)].

قلت: لقد رأينا بعض أجلاء الأعلام في حوزة النجف الأشرف يتبنّى هذا الرأي، ويبيّن السر في الإشارة إلى عمار بن ياسر بعبد الله بن سبأ بدلاً من ذكره باسمه.

وأفاد في وجه ذلك أن عمار بن ياسر كانت له فضائل كثيرة ومناقب عديدة، وقد رُويت أحاديث كثيرة في مدحه والثناء عليه.

منها قول النبي ﷺ: إن عماراً مُلِئَ إيماناً إلى مشاشه[(٢)].

وقوله ﷺ: ثلاثة تشتاق إليهم الجنة علي وعمار وسلمان[(٣)].

وقوله ﷺ: عمار تقتله الفئة الباغية[(٤)].

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٢/ ٢٧. (عن عبد الله بن سبأ للعودة، ص ٨٣).

(٢) سنن النسائي بشرح السيوطي ٨/ ٤٨٥. سنن ابن ماجة ١/ ٥٢. صحيح ابن حبان ١٥/ ٥٥٢. المستدرك على الصحيحين ٣/ ٣٩٢ وصحّحه ووافقه الذهبي. مجمع الزوائد ٩/ ٢٩٥ وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. السنن الكبرى للنسائي ٥/ ٧٤، ٦/ ٥٣٢. المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ٣٨٨، ٣٨٩. حلية الأولياء ١/ ١٣٩، ١٤٠. فضائل الصحابة لأحمد ٢/ ٨٥٨. فضائل الصحابة للنسائي ١/ ٥٠. در السحابة، ص ٣٦٢ وصحّحه. قال ابن حجر في فتح الباري ٧/ ٧٣: إسناده صحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح سنن النسائي ٣/ ١٠٣٠، وصحيح سنن ابن ماجة ١/ ٣٠، وسلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٨٠٧.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٦٦٧ وحسَّنه. المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٣٧ وصحَّحه ووافقه الذهبي. المعجم الكبير للطبراني ٦/ ٢١٥. مجمع الزوائد ٩/ ١١٧ ـ ١١٨، ٣٠٧، ٣٣٠ قال الهيثمي: رواه البزار وإسناده حسن. وروى عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: ثلاثة تشتاق إليهم الحور العين: علي وعمار وسلمان... رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أبي ربيعة الأيادي، وقد حسَّن الترمذي حديثه. حلية الأولياء ١/ ١٩٠. الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ١٠٠. مشكاة المصابيح ٣/ ١٧٥٦.

(٤) صحيح البخاري ١/ ١٥٧، ٢/ ٨٧٠، صحيح مسلم ٤/ ٢٢٣٦. سنن الترمذي ٥/ ٦٦٩ وصحَّحه. صحيح ابن حبان ١٥/ ٥٥٣. المستدرك على الصحيحين ٢/ ١٤٨ قال الحاكم: هذا حديث له طرق بأسانيد صحيحة أخرجا بعضها. ٢/ ١٤٩، ١٥٥، ٣/ ٣٨٥ ـ ٣٨٧، ٣٩١، ٣٩٧. مسند أحمد ٢/ ١٦١، ١٦٤، ٢٠٦، ٣/ ٥، ٢٢، ٢٨، ٩٠، ٤/ ١٩٧، ١٩٩، ٥/ ٢١٤، ٣٠٦، ٦/ ٢٨٩، ٣٠٠، ٣١١، ٣١٥. =

مضافاً إلى أنه كان من السابقين إلى الإسلام الذي عُذِّبوا في سبيل الله، وهو ابن ياسر وسُمية أول شهيدين في الإسلام.

إلى غير ذلك من الفضائل الكثيرة التي بوّأت عماراً مكانة سامية عند المسلمين، وجعلته في مأمن من التطاول عليه بقدح أو ذم.

إلا أن عماراً كانت له مواقف لا تُحمَد عند القوم مع عثمان بن عفان، فكان من المناوئين له المحرّضين عليه.

وفي مقابل ذلك كان من حواريي أمير المؤمنين عليه السلام الذين كانوا يجهرون بفضائله عليه السلام، ويبذلون له كل عون ونصرة.

كل هذه الأمور جعلت من دوَّن الأحداث التاريخية بعد ذلك يقع بين محذور ذِكر ما فعله عمار في تلك الفترة مع التصريح باسمه المستلزم للطعن فيه، ومحذور التغافل عن دور عمار في تلك الأحداث تجنباً للقدح فيه، وهذا يستلزم إغفال عامل أساس في تسلسل الأحداث التاريخية في تلك الفترة.

لذلك عمدوا إلى الإشارة إلى عمار بعبد الله بن سبأ، لئلا تبقى فجوة في الأحداث لم تُدوَّن، وليتجنّبوا محذور الطعن في صحابي جليل من السابقين إلى

= مجمع الزوائد ٧/ ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٤، ٩/ ٣٩٥ ـ ٣٩٨. إتحاف الخيرة المهرة ٩/ ٣٨٩ ـ ٣٩٢. مختصر إتحاف السادة المهرة ٩/ ٢٧١ ـ ٢٧٤. السنن الكبرى للبيهقي ٨/ ١٨٩. السنن الكبرى للنسائي ٥/ ٧٥، ١٥٥ ـ ١٥٧. المصنف لابن أبي شيبة ٥٤٧، ٥٤٨٥٥١. معجم الطبراني الصغير ١/ ١٨٧، والأوسط ٦/ ٢٤٩، ٧/ ٢٩١، ٨/ ٤٤، والكبير ١/ ٣٢٠، ٤/ ٨٥، ١٦٨، ٥/ ٢٢١، ٢٦٦، ١٩/ ١٧٠، ١٧١، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٩٦، ٢٣/ ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٩. مسند الطيالسي، ص ٨٤، ٩٠، ٢٢٣، ٢٨٨، ٢٩٣. مسند أبي يعلى ٣/ ١٨٩، ٢٠٩، ٧/ ١٩٥، ١١/ ٤٠٣، ١٢/ ٤٢٤، ٤٥٥، ١٣/ ١٢٣، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٥٣. الطبقات الكبرى ٣/ ٢٥١ ـ ٢٥٣، ٢٥٩. المطالب العالية ٤/ ٣٠٤ ـ ٣٠٩. وعدَّه من الحديث المتواتر: السيوطي في قطف الأزهار المتناثرة، ص ٢٨٣، والخصائص الكبرى ٢/ ١٤٠، وابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة عمار ٣/ ١١٤٠، وابن حجر في الإصابة ٤/ ٤٧٤، والذهبي في سير أعلام النبلاء ١/ ٤٢١. والكتاني في نظم المتناثر، ص ٢٠٨، والزبيدي في لقط اللآلئ المتناثرة، ص ٢٢٢.

الإسلام.

أقول: هذا الرأي لا يعدو كونه مجرد احتمال لا مانع من وقوعه، إلا أنه لم يقم عليه دليل مقبول، بل إن الدليل قد قام على خلافه.

ويمكن نقض هذا الرأي بأمور:

١ـ أن أمثال هذه الاحتمالات إنما يصار إليها إذا كانت الروايات الدالة على دور عبد الله بن سبأ في الفتنة روايات صحيحة وأخبار ثابتة، وأما إذا كانت كلها من الواهيات أو الموضوعات فلا وجه حينئذ للجمع بين تلك الأخبار أو توجيهها بأي وجه، لأنها ساقطة من رأس.

٢ـ أن المؤرّخين ذكروا كثيراً من الوقائع التي جرت بين صحابة النبي ﷺ من دون أن يتحاشوا ذِكر حادثة أو مقالة صيانة لواحد منهم، حتى في حق من يرونه أجل شأناً من عمار بن ياسر، كأبي بكر وعمر وغيرهما.

وعمار لا خصوصية له عندهم حتى يتحاشوا بيان ما يقدح فيه من قريب أو بعيد، ولا سيما أنهم أعطوا كل الصحابة حصانة تمنع من التعرض لهم بأي قدح وإن نُسبَت لهم الجرائر العظيمة والجرائم الموبقة.

٣ـ أن المؤرّخين قد ذكروا ما وقع من عمار في تلك الفترة، وذكروا مواقفه من عثمان بن عفان، ومعه لا حاجة حينئذ إلى نسبة مثل تلك الأحداث إلى رجل آخر هو عبد الله بن سبأ، لأن ذلك لا ينفع في تبرئة ساحة عمار بن ياسر منها.

٤ـ أنهم ذكروا أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً أسلم في خلافة عثمان، وعمار كان من السابقين إلى الإسلام، فكيف ينطبق هذا على ذاك؟

٥ـ أنهم ذكروا أن أمير المؤمنين عليه السلام كما مرَّ قد أحرق ابن سبأ بعد أن استتابه فلم يتب، أو نفاه إلى المدائن، فبقي فيها إلى مقتل أمير المؤمنين عليه السلام. وكل ذلك لا يصح في حق عمار بن ياسر، فإنه نال الشهادة في صفين كما هو معلوم بالتواتر.

٦ـ أنهم ذكروا أن ابن سبأ كان من المغالين في أمير المؤمنين عليه السلام الذين كانوا يقولون بألوهيته.

ورووا عنه أنه قال لما بلغه مقتل أمير المؤمنين عليه السلام: إنه عليه السلام لم يمت، وإنما غاب كغيبة موسى، وسيرجع فيملك الأرض ويسوق العرب بعصاه.

ومثل هذا كله لم يُنسب لعمار بن ياسر، ولا ينسجم مع معتقداته الصحيحة التي استقاها مباشرة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن أمير المؤمنين عليه السلام.

٧ ـ أنهم ذكروا أن ابن سبأ جهر بمعتقداته وغلوّه بعد مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا لا يصح في حق عمار الذي قُتل في صفين في حياة أمير المؤمنين عليه السلام.

٨ ـ أن الطبري وغيره ذكروا أن عماراً كان من ضمن الذين استمالهم عبد الله بن سبأ، فأعانوه في دعوته:

فقد روى في تاريخه بسنده عن سيف بن عمر خبراً طويلاً جاء فيه: فدعا [عثمان] محمد بن مسلمة، فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام، وفرَّق رجالاً سواهم، فرجعوا جميعاً قبل عمار، فقالوا: أيها الناس ما أنكرنا شيئاً، ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامّهم. وقالوا جميعاً: الأمر أمر المسلمين، إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم، ويقومون عليهم. واستبطأ الناس عماراً حتى ظنوا أنه قد اغتيل، فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم أن عماراً قد استماله قوم بمصر، وقد انقطعوا إليه، منهم عبد الله بن السوداء، وخالد بن ملجم، وسودان بن حمران، وكنانة بن بشر[1].

وقال ابن خلدون في تاريخه: أرسل [عثمان] محمد بن مسلمة إلى الكوفة،

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٣٧٩.

وأسامة بن زيد إلى البصرة، وعبد الله بن عمر إلى الشام، وغيرهم إلى سواها، فرجعوا وقالوا: ما أنكرنا شيئاً، ولا أنكره علماء المسلمين ولا عوامهم. وتأخَّر عمار بن ياسر بمصر، واستماله ابن السوداء وأصحابه خالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر[1].

فإذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن أن يكون عمار هو عبد الله بن سبأ؟؟!

٩ـ أنَّا لم نجد بعد التتبع والفحص أن واحداً من الحفَّاظ أو المؤرخين كان يكنِّي عن رجل كان له أثَر في أحداث التاريخ الإسلامي باسم مغاير لاسمه لأي اعتبار كان، فضلاً عن أن نجد إطباقاً مِن جميع المؤرخين والحفَّاظ الذين ذكروا عبد الله بن سبأ على تسميته بغير اسمه..

وهذه كتب التاريخ والحديث بين أيدينا، وهي خير شاهد على صحة ما نقوله.

فلا ندري بعد هذا كله لمَ صار عمار بدعاً من دون هؤلاء كلهم، فخُصَّ باسم مستعار لئلا يتناوله القدح على أمور وقعت منه وجرت على يديه؟؟

هذه الأدلة كلها تدل بوضوح على أن شخصية عمار بن ياسر بعيدة كل البعد عن شخصية عبد الله بن سبأ، وأن كل ما قالوه من وجوه التشابه بين هذين الرجلين لا يدل بالضرورة على أنهما شخص واحد، لأن وجوه الاختلاف بينهما أكثر من أوجه التشابه، كما أوضحناه آنفاً.

ونتيجة البحث أن هذا القول لا يساعد عليه دليل، ولا ينهض به برهان، وهو لا يعدو كونه احتمالاً نشأ من وجود بعض التشابهات بين الرجلين، التي لا تستلزم الاتحاد بينهما بأي نحو من الأنحاء.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ج٢ ق٢/ ١٤٣.

الفصل الثامن

هل نفى أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن سبأ إلى المدائن؟

لقد ذكرنا فيما تقدم الأخبار الدالة على أن عبد الله بن سبأ قد أُحرِق بالنار بالكوفة وانتهى أمره، فإن صحّحنا هذه الأخبار فلا محصَّل حينئذ للبحث في نفيه للمدائن وعدم نفيه، فإن عدم نفيه حينئذ يكون من باب السالبة بانتفاء الموضوع كما يقول علماء المنطق.

إلا أن المروي في بعض الأخبار، والمنقول من أقوال بعض المؤرخين وغيرهم كما مرّ أن أمير المؤمنين عليه السلام نفى عبد الله بن سبأ إلى المدائن، فلما قُتل عليه السلام وبلغ ابن سبأ ذلك قال: إن جئتمونا بدماغه في سبعين صُرَّة لم نصدِّق بموته، لا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها[1].

وحينئذ لا بد من النظر في تلك الأخبار والبحث فيها سنداً ودلالة.

لبيان ذلك نقول: إن أخبار نفي عبد الله بن سبأ للمدائن لم تروَ في مصادر

(١) الفرق بين الفرق، ص ٢٣٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥/ ٣٦.

الحديث المعروفة عند الشيعة، ورويت عند أهل السنة بأسانيد واهية لا يثبت بها شيء.

منها: ما ذكره ابن حجر في لسان الميزان، قال: وقال أبو إسحاق الفزاري عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن زيد بن وهب: إن سويد بن غفلة دخل على علي في إمارته، فقال: إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر، يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك، منهم عبد الله بن سبأ، وكان عبد الله أول من أظهر ذلك، فقال علي: ما لي ولهذا الخبيث الأسود؟ ثم قال: معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل. ثم أرسل إلى عبد الله بن سبأ فسيَّره إلى المدائن، وقال: لا يساكنني في بلدة أبداً. ثم نهض إلى المنبر حتى اجتمع الناس، فذكر القصة في ثنائه عليهما بطوله، وفي آخره: ألا ولا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري[١].

أقول: في سندها أبو الزعراء، وذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب عن البرقاني أنه حجية بن عدي الكندي[٢].

قلت: أبو الزعراء ثلاثة رجال ليس حجية بن عدي واحداً منهم، وهم:

١ـ عبد الله بن هانئ الكندي أو الأزدي الكوفي، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب: روى عن عمر وابن مسعود، وعنه ابن أخته سلمة بن كهيل. قال البخاري: لا يتابع في حديثه[٣].

٢ـ عمرو بن عمرو (ويقال: ابن عامر) بن مالك بن نضلة الجشمي أبو الزعراء الكوفي، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب: روى عن عمه أبي الأحوص عوف بن مالك وعكرمة وعبيد الله بن عبد الله، وعنه الثوري وسمَّاه عمرو بن عامر، وابن عيينة وعبيدة بن حميد... وقال ابن عبد البر: أجمعوا على أنه ثقة[٤].

---

(١) لسان الميزان ٣/ ٢٩٠.

(٢) تهذيب التهذيب ٢/ ١٩٠.

(٣) تهذيب التهذيب ٦/ ٥٦.

(٤) تهذيب التهذيب ٨/ ٧٢.

٣ـ يحيى بن الوليد بن المسير الطائي أبو الزعراء الكوفي: قال ابن حجر في تهذيب التهذيب: روى عن محل بن خليفة وسعيد بن عمر بن أشوع، وعنه ابن مهدي وعصام بن عمرو ويحيى بن المتوكل الباهلي وزيد بن الحباب وسويد بن عمرو الكلبي وأبو عاصم. قال النسائي: ليس به بأس. وذكره ابن حبان في الثقات[١].

وبقرينة رواية سلمة بن كهيل عنه فهو الأول: عبد الله بن هانئ الذي ذمَّه البخاري، وإن وثَّقه ابن حبان والعجلي، فإن قولهما لا يقدم على قول البخاري عندهم.

ثم إنهم لم يذكروا أن أبا الزعراء هذا روى عن سويد بن غفلة، وظاهر الرواية لا يوحي بسماعه منه، وهذا وهن آخر في هذه الرواية، وعليه فتكون الرواية ساقطة، والله العالم.

ومنها: ما أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن المظفر بن الحسين بن سوسن التمار في كتابه، وأخبرني أبو طاهر محمد بن محمد بن عبد الله السنجي بمرو عنه، أنا أبو علي بن شاذان، نا أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد الآدمي، نا أحمد بن موسى الشطوي، نا أحمد بن عبد الله بن يونس، نا أبو الأحوص، عن مغيرة، عن سباط، قال: بلغ عليًّا أن ابن السوداء ينتقص أبا بكر وعمر، فدعا به ودعا بالسيف، أو قال: فهمّ بقتله، فكُلّم فيه، فقال: لا يساكنني ببلد أنا فيه. قال: فسيَّره إلى المدائن[٢].

وسباط راوي الحديث ليس له ذكر في كتب الرجال، ولعله أسباط ، ولا يوجد رجل بهذا الاسم في التابعين يروي عن علي عليه السلام ، أو غيره من الصحابة، وأقرب راوٍ بهذا الاسم إلى عصر الصحابة هو أسباط بن نصر الهمداني الكوفي[٣]، وهو يروي عن

(١) المصدر السابق ١١/ ٢٥٩.

(٢) تاريخ دمشق ٢٩/ ٩.

(٣) راجع كتاب الثقات لابن حبان ٦/ ٨٥. ذكر أسماء من تكلم فيه، ص ٤١. الكاشف للذهبي ١/ ٥٩. تقريب التهذيب ١/ ٩٨. تهذيب التهذيب ١/ ١٨٥. تهذيب الكمال ٢/ ٣٥٧. رجال مسلم لابن منجويه =

جابر بن سمرة بواسطة واحدة ، وهو سماك بن حرب. ويروي عن أبي هريرة بواسطتين، وهما السدّي عن أبيه. ويروي عن ابن عباس بواسطة السدي فقط، ولا يروي عن صحابي بلا واسطة.

أو يكون سباط تصحيف (سماك)، وهو سماك بن حرب الذي يروي عنه المغيرة بن مقسم الضبي، وهو قد أدرك جمعاً من الصحابة، ولعله أدرك عليّاً عليه السلام ، إلا أن سماكاً هذا قدح فيه غير واحد من رجال الجرح والتعديل، فلا يعوَّل على رواياته[1].

والحاصل أن راوي هذا الأثر إما مجهول أو ضعيف، فتكون الرواية حينئذ ساقطة عن الاعتبار.

هذا مضافاً إلى أن من جملة رجال السند: أبا بكر محمد بن جعفر بن محمد الآدمي القارئ، وهو لم يوثَّق في كتب الرجال، بل قال فيه محمد بن أبي الفوارس: خلط فيما حدَّث[2].

= ١/ ٧٣. كتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ١/ ٩٦.

(١) قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ٤/ ٢٠٤ مع الاختصار: وقال أبو طالب عن أحمد: مضطرب الحديث. وقال: وكان شعبة يضعفه. وقال ابن عمار: يقولون إنه كان يغلط، ويختلفون في حديثه. وقال العجلي: بكري جائز الحديث، إلا أنه كان في حديث عكرمة ربما وصل الشيء، وكان الثوري يضعِّفه بعض الضعف. وقال يعقوب بن شيبة: قلت لابن المديني: رواية سماك عن عكرمة؟ فقال: مضطربة. وقال زكريا بن عدي عن ابن المبارك: سماك ضعيف في الحديث. قال يعقوب: وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وهو في غير عكرمة صالح وليس من المتثبتين، ومَن سمع منه قديماً مثل شعبة وسفيان فحديثهم عنه صحيح مستقيم. والذي قاله ابن المبارك إنما نرى أنه فيمن سمع منه بآخره. وقال النسائي: ليس به بأس، وفي حديثه شيء. وقال صالح جزرة: يضعف. وقال ابن خراش: في حديثه لين. وقال ابن حبان في الثقات: يخطئ كثيراً. وقال النسائي: كان ربما لُقّن، فإذا انفرد بأصل لم يكن حجة، لأنه كان يلقن فيتلقن... وكان قد تغير قبل موته. وقال جرير بن عبد الحميد: أتيته فرأيته يبول قائماً، فرجعت ولم أسأله عن شيء. قلت: قد خرف.

(٢) نقل ذلك ابن حجر في لسان الميزان ٥/ ١٠٨. والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٢/ ١٤٨. ونقل في ترجمته ما فيه ذمّه، وأنه كان يقرأ القرآن للناس والدنيا لا لله.

مضافاً إلى أن هذه الرواية أخرجها اللالكائي في كتابه (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) بسند ينتهي إلى أبي الأحوص، عن مغيرة عن شباك، قال: بلغ عليًّا أن ابن السوداء ينتقص أبا بكر وعمر، فدعا به ودعا بالسيف، فقال: فهمّ بقتله، فكُلّم فيه، فقال: لا يساكنني ببلد أنا فيه. فنفاه إلى الشام.

وفي رواية أخرى عن أبي الأحوص عن مغيرة عن شباك عن إبراهيم: بلغ علي بن أبي طالب أن عبد الله بن الأسود ينتقص أبا بكر وعمر، فهمَّ بقتله، فقيل له: تقتل رجلاً يدعو إلى حبّكم أهل البيت؟! فقال: لا يساكنني في دار أبداً[١].

وشباك هو شباك الضبي الكوفي الأعمى، وقد وثَّقه أحمد والنسائي وابن حبان وابن شاهين وابن سعد وعثمان ابن أبي شيبة وغيرهم[٢]، إلا أن الحاكم والدارقطني وصفاه بالتدليس[٣].

ومع ذلك فالرواية مرسلة، لأن شباكاً لم يدرك عليّاً عليه السلام، وكذا إبراهيم ـ وهو النخعي ـ الذي يروي عنه الرواية الأخرى، فإن إبراهيم النخعي ولد سنة خمسين من الهجرة، وعلي عليه السلام قُتل سنة أربعين[٤].

مضافاً إلى أن المذكور في الرواية الأولى أن أمير المؤمنين عليه السلام نفاه إلى الشام، والوارد في الرواية الأخرى أنه عليه السلام منعه من أن يساكنه في الكوفة، ولا دلالة فيها على أنه عليه السلام نفاه إلى أي جهة.

والنتيجة أن هذه الرواية مضافاً إلى إرسالها فهي مضطربة سنداً ومتناً، فإنها مروية إما عن سباط، أو عن شباك، أو عن شباك عن إبراهيم.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٧/ ١٣٣٩.

(٢) راجع تهذيب التهذيب ٤/ ٢٦٦.

(٣) طبقات المدلسين، ص ٢١.

(٤) مشاهير علماء الأمصار، ص ١٦٣ ت ٧٤٨.

والراوي عن أبي الأحوص: (في الرواية الأولى) أحمد بن عبد الله بن يونس، و(في الثانية) أحمد بن يونس، و(في الثالثة) أحمد بن أسد.

والذي نفاه أمير المؤمنين عليه السلام هو ابن السوداء كما جاء في بعض ألفاظ هذه الرواية، وعبد الله بن الأسود كما ورد في بعضها الآخر.

والنفي في رواية سباط إلى المدائن، وفي رواية شباك إلى الشام، والرواية الثالثة لا دلالة فيها على النفي كما أوضحنا.

ولو سلمنا بدلالة كل تلك الروايات على النفي إلى المدائن فلا دلالة فيها على أن ابن السوداء هو عبد الله بن سبأ كما مرَّ مكرراً.

ومنها: ما أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق قال: أنبأنا أبو بكر محمد بن طرخان بن بلتكين بن بجكم، أنا أبو الفضائل محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن طوق، قال: قُرِئ على أبي القاسم عبيد الله بن علي بن عبيد الله الرقي، نا أبو أحمد عبيد الله بن محمد بن أبي مسلم، أنا أبو عمر محمد بن عبد الواحد، أخبرني الغطافي عن رجاله، عن الصادق، عن آبائه الطاهرين، عن جابر قال: لما بويع علي خطب الناس، فقام إليه عبد الله بن سبأ، فقال له: أنت دابة الأرض. قال: فقال له: اتّقِ الله. فقال له: أنت الملك. فقال له: اتّقِ الله. فقال له: أنت خَلقتَ الخلق، وبسطتَ الرزق. فأمر بقتله، فاجتمعت الرافضة، فقالت: دعْه وانفِه إلى ساباط المدائن، فإنك إن قتلته بالمدينة خرجت أصحابه علينا وشيعته. فنفاه إلى ساباط المدائن، فثمَّ القرامطة والرافضة.

قال: ثم قامت إليه طائفة ـ وهم السبئية ـ وكانوا أحد عشر رجلاً، فقال: ارجعوا، فإني علي بن أبي طالب، أبي مشهور، وأمي مشهورة، وأنا ابن عم محمد صلى الله عليه وآله. فقالوا: لا نرجع، دع داعيك. فأحرقهم بالنار، وقبورهم في صحراء، أحد عشر مشهورة، فقال من بقي ممن لم يكشف رأسه منهم: علمنا أنه إله. واحتجوا بقول ابن عباس: لا يعذِّب بالنار إلا خالقها[1].

---

(١) تاريخ دمشق ٢٩/ ٩.

وفي سند هذا الأثر: الغطافي وهو لم يُذكر في كتب الرجال لا بمدح ولا بذم، فلا يُعرف من هو، فضلاً عن رجاله.

وعليه، فهذا الخبر ضعيف لا يحتج به.

نعم، أخرج اللالكائي في كتابه (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) عن أبي عمر الزاهد، وهو محمد بن عبد الواحد (غلام ثعلب)، عن العطافي ـ بالعين ـ ، عن الشيعة[1].

وأخرج أيضاً فيه عن أبي عمر الزاهد، عن العطافي، عن رجاله[2].

وأخرج البكري في كتابه (معجم ما استعجم)، عن أبي عمر الزاهد، عن العطافي، عن رجاله[3].

والعطافي ـ بالعين ـ أيضاً لم يُذكر في كتب الرجال، والظاهر أنه من مختلقات غلام ثعلب، وكم له من نظائر، والله أعلم.

وأيضاً في سند هذا الأثر: أبو عمر محمد بن عبد الواحد، المشهور بغلام ثعلب، وهو معروف بعلم اللغة، وهم لا يوثقونه في اللغة، ولم أرَ من وثقه في الحديث، اللهم إلا ما ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد من أن جميع الشيوخ يوثقونه في الحديث ويصدِّقونه[4]. ولم يَنْقل توثيقاً له عن واحد بعينه، وهذا خلاف عادتهم في نقل التوثيقات عن رجال الجرح والتعديل.

ونقل الذهبي هذه الكلمة عن الخطيب في سير أعلام النبلاء[5]، وكذا ابن حجر

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤/ ٧٥٨.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٧٥٩.

(٣) معجم ما استعجم ٢/ ٧٠٥.

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ٣٥٧.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥١١.

في لسان الميزان[١]، وهذا يشعر بأنهما لم يعثرا على توثيق له بخصوصه.

وفي مقابل ذلك قال ابن النديم في الفهرست: وسمعت جماعة من العلماء يضعّفون حكايته، وانتسبوا به إلى التزيد، وكان نهاية في النصب والميل على علي عليه السلام[٢].

قال ابن حجر: قال الخطيب: وقال لي رئيس الرؤساء: قد رأيت أشياء كثيرة مما استنكر على أبي عمر ونسب إلى الكذب فيما يرويه في كتب أئمة العلم[٣].

ثم إنهم ذكروا أنه كان له جزء فيه فضائل معاوية[٤]، وكان لا يحدِّث الأكابر والأدباء الذين يأتون إليه إلا بعد أن يقرأ عليهم هذا الجزء، وهذا كاشف عن نصبه وعداوته لأمير المؤمنين عليه السلام كما مرَّ عن ابن النديم.

ومما يدل على أن هذا الأثر موضوع أن لفظ (الرافضة) عندهم لم يظهر إلا في زمن زيد بن علي لما أرادوا منه أن يشتم أبا بكر وعمر فأبى، فتركوه فسمّاهم الرافضة.

قال ابن تيمية: لفظ الرافضة إنما ظهر لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين في خلافة هشام، وقصة زيد بن علي بن الحسين كانت بعد العشرين ومائة، سنة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين ومائة في آخر خلافة هشام[٥].

وقال النووي: وسُمّوا رافضة من الرفض وهو الترك. قال الأصمعي وغيره:

---

(١) لسان الميزان ٥/ ٢٦٨.

(٢) الفهرست، ص ١١٣. ونقل عبارة ابن النديم هذه في لسان الميزان ٥/ ٢٦٨.

(٣) لسان الميزان ٥/ ٢٦٨.

(٤) قال ابن حجر في لسان الميزان ٥/ ٢٦٨: رأيت الجزء الذي جمعه في فضائل معاوية، وفيه أشياء كثيرة موضوعة، والآفة فيها من غيره.اهـ.

قلت: بل لعل الآفة منه، وروايته أخبار موضوعة في فضائل معاوية وتحامله على أمير المؤمنين عليه السلام يضعف كل رواياته.

(٥) منهاج السنة النبوية ١/ ٨.

سُمّوا رافضة لأنهم رفضوا زيد بن علي فتركوه[١].

وقال المناوي في التوقيف: الرفض الترك، ومنه الرافضة، تركوا زيد بن علي حين نهاهم عن سب الصحابة، فلما عرفوا مقالته وأنه لا يبرأ من الشيخين رفضوه، ثم استُعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب[٢].

أقول: قُتل زيد بن علي رضوان الله عليه في سنة ١٢٢ أو ١٢٠ أو ١٢٦هـ على اختلاف الأقوال[٣]، مع أن جابر بن عبد الله الأنصاري راوي الحديث توفي سنة ٧٨ أو ٧٧ أو ٧٣هـ[٤].

فعلى فرض أن جابراً روى هذا الحديث آخر عمره فإنه يكون قد ذكر لفظ الرافضة قبل قيام زيد بأكثر من ثلاثين سنة، وهذا خلاف قولهم أن لفظ الرافضة إنما ظهر بعد قيام زيد.

ومنها: ما أورده ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، قال: أبو العباس، عن محمد بن سليمان بن حبيب المصيصي عن علي بن محمد النوفلي عن أبيه ومشيخته، أن علياً مرَّ بهم وهم يأكلون في شهر رمضان نهاراً، فقال: أسفر أم مرضى؟ قالوا: ولا واحدة منهما. قال: أفمن أهل الكتاب أنتم؟ قالوا: لا. قال: فما بال الأكل في شهر رمضان نهاراً؟! قالوا: أنت أنت! لم يزيدوه على ذلك.

ففهم مرادهم، فنزل عن فرسه، فألصق خدّه بالتراب، ثم قال: ويلكم إنما أنا عبد من عبيد الله، فاتقوا الله، وارجعوا إلى الإسلام. فأبوا فدعاهم مراراً، فأقاموا على

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١/ ١٠٣.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف ٢/ ٣٦٩.

(٣) راجع تهذيب التهذيب ٣/ ٣٦٢. تهذيب الكمال ١٠/ ٩٨.

(٤) قول الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣/ ١٩٢، وتذكرة الحفاظ ١/ ٤٤ أن جابراً توفي سنة ٧٨هـ، وقول ابن سعد والهيثم بن عدي أن سنة وفاته ٧٣هـ، وقال ابن حبان وأبو نعيم: توفي سنة ٧٧هـ (راجع تهذيب التهذيب٢/ ٣٨). وثمة أقوال أخر تجدها في تهذيب الكمال ٤/ ٤٥٣.

أمرهم، فنهض عنهم، ثم قال: شدوهم وثاقاً، وعليَّ بالفعلة والنار والحطب. ثم أمر بحفر بئرين فحفرتا، فجعل إحداهما سَرَباً[١] والأخرى مكشوفة، وألقى الحطب في المكشوفة، وفتح بينهما فتحاً، وألقى النار في الحطب، فدخن عليهم، وجعل يهتف بهم ويناشدهم: ارجعوا إلى الإسلام. فأبوا، فأمر بالحطب والنار، وألقي عليهم فاحترقوا، فقال الشاعر:

لترمِ بيَ المنيةُ حيثُ شاءتْ   إذا لم ترمِ بي في الحفرتينِ
إذا ما حُشَّتا[٢] حطباً بنارٍ   فذاك الموتُ نقداً غيرَ دينِ

قال: فلم يبرح واقفا عليهم حتى صاروا حمماً. قال أبو العباس: ثم إن جماعة من أصحاب علي، منهم عبد الله بن عباس، شفعوا في عبد الله بن سبأ خاصة، وقالوا: يا أمير المؤمنين، إنه قد تاب فاعف عنه. فأطلقه بعد أن اشترط عليه ألا يقيم بالكوفة، فقال: أين أذهب؟ قال: المدائن. فنفاه إلى المدائن، فلما قُتل أمير المؤمنين عليه السلام أظهر مقالته، وصارت له طائفة وفرقة يصدقونه ويتبعونه، وقال لما بلغه قتل علي: والله لو جئتمونا بدماغه في سبعين صرة، لعلمنا أنه لم يمت، ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه. فلما بلغ ابن عباس ذلك قال: لو علمنا أنه يرجع لما تزوجنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه[٣].

وهذه الرواية مرسلة من الطرفين، مضافاً إلى أن أبا العباس هو أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي الذي يسمّونه حمار العزيز، وهو ضعيف عندهم.

قال فيه ابن حجر في لسان الميزان: من رؤوس الشيعة... قيل: كان قدرياً... وقال علي بن عبيد الله بن المسيب الكاتب: كان كثير الوقيعة في الأكابر. وذكر له ابن

(١) السَّرَب: الحفيرة تحت الأرض.

(٢) حُشَّ الحطب بالنار: أي أُشعِل.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥/ ٦.

النديم في الفهرست عدة مصنفات منها كتاب مثالب معاوية[1].

هذا ما عثرنا عليه من الأخبار والآثار التي قد يُستدل بها على أن أمير المؤمنين عليه السلام نفى عبد الله بن سبأ إلى المدائن.

وهي كلها كما رأينا مضافاً إلى أنها لم تُروَ من طرق الإمامية، فهي ضعيفة السند عندهم، إما لكونها مرسلة، أو لضعف بعض رواتها، فلا يصح بها إثبات أصل وجود ابن سبأ، فضلاً عن إثبات نفيه إلى المدائن.

---

(١) لسان الميزان ١/ ٢١٩.

الفصل التاسع

هل كان ابن سبأ يهودياً ؟
وهل شارك في أحداث الفتنة ؟

لقد اتضح مما تقدم أننا لم نعثر على دليل صحيح يدل على أن عبد الله بن سبأ كان يهوديّاً، كما أنه لم يقم دليل معتبر على أن عبد الله بن سبأ كان له دور في أحداث الفتنة في زمن عثمان، أو كان من المحرّضين عليه، أو كان له ضلع في قتله، فإن كل ذلك دلَّت عليه مرويات سيف بن عمر التميمي، وهو كما قلنا مكرراً ضعيف، فلا يمكن التعويل على مروياته ولا سيما مع انفراده بها.

ويمكن إيضاح هذه المسألة أكثر ببيان عدة أمور:

الأول: أن كل الأحاديث المروية في مصادر أهل السنة التي ذُكرت فيها قصة عبد الله بن سبأ اليهودي تنتهي إلى سيف بن عمر التميمي كما في تاريخ الطبري، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ الإسلام للذهبي، والبداية والنهاية لابن كثير وغيرها.

وسيف بن عمر ضعيف جداً كما قلنا، قد اتفق الجميع على تضعيفه، وقد تقدم

بيان ذلك مفصّلاً.

مضافاً إلى أن الراوي عن سيف بن عمر هو شعيب بن إبراهيم، وهو أيضاً لم يوثَّق في كتب الرجال.

قال ابن عدي في الكامل: وشعيب بن إبراهيم هذا له أحاديث وأخبار، وهو ليس بذلك المعروف، ومقدار ما يروي من الحديث والأخبار ليست بالكثيرة، وفيه بعض النكرة، لأن في أخباره وأحاديثه ما فيه تحامل على السلف[1].

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال: شعيب بن إبراهيم الكوفي ، راوية كتب سيف عنه، فيه جهالة[2].

فإذا كان هذان هما الراويين لقصة عبد الله بن سبأ فكيف يمكن التصديق بها والوثوق بمحتواها؟!

الثاني: أن سيف بن عمر مضافاً إلى أنه ضعيف في الحديث وساقط الرواية فإن له ولعاً باختلاق شخصيات ورواة وحوادث ودسّها في أحداث التاريخ الإسلامي المعروفة.

وخذ على ذلك مثالاً:

روى الطبري في تاريخه بسنده عن سيف بن عمر واقعة ذات السلاسل وفتح الأُبُلّة في زمن أبي بكر على يد خالد بن الوليد، ونزول خالد بجيشه في كاظمة، واقتران هرمز وأصحابه بالسلاسل لئلا يفرّوا والماء في أيديهم، وقدم خالد عليهم فنزل على غير ماء... فاقتتلوا وأرسل الله سحابة فأغدرت ما وراء صف المسلمين، فقوّاهم بها... إلى أن انهزم الفرس، فبعث خالد بالفتح والأخماس وبالفيل مع زِرّ بن كُليب، فطيف به في المدينة ليراه الناس، فجعل ضعيفات النساء يقلن: أمِن خلق الله ما نرى؟

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال ٥/ ٧.

(٢) ميزان الاعتدال ٣/ ٣٧٧. وبمعناه في المغني في الضعفاء ١/ ٤٦٩.

فردّه أبو بكر مع زر[١].

قال الطبري: وهذه القصة في أمر الأبلة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السير، وخلاف ما جاءت به الآثار الصحاح، وإنما كان فتح الأبلة أيام عمر رحمه الله، وعلى يد عتبة بن غزوان في سنة أربعة [كذا] عشرة من الهجرة[٢].

فانظر كيف اختلق غزوة بأحداثها وتفاصيلها ورجالها، وما اشتملت عليه من فتوحات وكرامات وغنائم وغيرها.

وإذا نظرنا إلى الذين روى عنهم سيف رواياته في هذه الواقعة وهم:

محمد بن نويرة[٣]، وحنظلة بن زياد بن حنظلة[٤]، وعبد الرحمن بن سياه الأحمري[٥]، وطلحة بن الأعلم[٦]، والمهلب بن عقبة الأسدي[٧].

نجد أن كل هؤلاء الرواة لا أثر لهم في كتب الرجال والسيرة والتاريخ، ولم تروَ عنهم أية رواية من طريق آخر غير طريق سيف بن عمر، وهذا يدل على أنهم أيضاً من مختلقاته[٨].

هذا دأبه في رواياته ورواته، ويهودية عبد الله بن سبأ ودوره في أحداث الفتنة هي بعض من مختلقاته، لأنها لم تُروَ من طريق آخر غير طريقه.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٣٠٨ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٣١١.

(٣) روى عنه سيف بن عمر في تاريخ الطبري ٢/ ٣١٠، ٣١١، ٣٢١، ٣٦٩، ٤٢٣، ٣/ ١٢، ٥٤.

(٤) روايات سيف بن عمر عنه في تاريخ الطبري ٢/ ٣١، ٣١١.

(٥) روى عنه سيف بن عمر كما في تاريخ الطبري ٢/ ٣١١، ٣١٢.

(٦) روى عنه سيف بن عمر كما في تاريخ الطبري ٢/ ٢٢٥، ٢٤٧، ٢٦٢، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٠، ٣٠٩، ٤٧٢، ٣/ ٢٣.

(٧) أورد الطبري في تاريخه روايات سيف عنه في ٢/ ٣٠٩، ٣١١، ٣١٢.

(٨) لمعرفة المزيد من مفترياته ومختلقاته في الحوادث والرواة والشخصيات راجع ما كتبه السيد مرتضى العسكري في كتابه (عبد الله بن سبأ)، فإنه ساق على ذلك أمثلة كثيرة.

الثالث: أن الذين سبقوا سيف بن عمر والذين عاصروه من المؤرخين والرواة لم يذكروا عبد الله بن سبأ في أحاديثهم ومصنفاتهم، ولم يذكروا له دوراً في أحداث الفتنة.

قال الدكتور عبد العزيز الهلابي: أما الرواة والأخباريون المتقدمون كعروة بن الزبير (ت ٩٤هـ)، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ)، وابن إسحاق (ت ١٥٠هـ)، والواقدي (ت ٢٠٧هـ)، وخليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) في تاريخه، وابن سعد (ت ٢٣٠هـ) في كتاب الطبقات، وابن الحكم (ت ٢٥٧هـ) في كتابه (فتوح مصر وأخبارها)، وأبو [كذا] حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ) في كتابه (الأخبار الطوال)، والكندي (ت ٢٨٣هـ) في كتاب (الولاة والقضاة)، واليعقوبي (ت ٢٩٢هـ) في تاريخه، والمسعودي (ت ٣٤٦هـ) في كتبه، وغيرهم من مؤرخي القرن الثالث والرابع الهجريين، فلم يرد عند أحد من هؤلاء في مروياتهم أو في كتب المؤلفين منهم أي ذكر عن ابن سبأ ودوره في الأحداث[1].

قلت: إن إغفال هؤلاء المؤرخين لهذا الرجل الذي يُزعم أن له هذا الدور الكبير في أحداث الفتنة وفي تغيير وجه التاريخ الإسلامي دليل على أن الأحداث التي نُسبت له كلها مختلقة في عصر متأخر عن عصر الفتنة وزمن الأحداث.

الرابع: أن هذا الرجل قد أغفله الطبري خاصة وسائر المؤرخين فيما بعد زمن عثمان، فلا نجد له أي ذِكْر في الأحداث التي وقعت في زمن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولا نجد له أي أثر في الوقائع الثلاث التي خاضها علي عليه السلام مع خصومه: وقعة الجمل والنهروان وصفين، مع أن ابن سبأ كان ينبغي له أن يظهر حينئذ ليؤجّج نار الحرب بين المسلمين، ويؤلّب بعض المسلمين على بعض، ولا سيما أنه كان قد اكتسب نفوذاً وأتباعاً يصول بهم ويجول في جميع البلاد الإسلامية كما كان يصنع في

---

(١) عبد الله بن سبأ للهلابي، ص ١٣.

زمن عثمان.

قال طه حسين في كتابه علي وبنوه: أقل ما يدل عليه إعراض المؤرخين عن السبئية وعن ابن السوداء في حرب صفين أن أمر السبئية وصاحبهم ابن السوداء إنما كان متكلَّفاً منحولاً وقد اختُرع بأخرة، حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلامية، أراد خصوم الشيعة أن يُدخلوا في أصول هذا المذهب عنصراً يهودياً، إمعاناً في الكيد لهم والنيل منهم، ولو قد كان أمر ابن السوداء مستنداً إلى أساس من الحق والتاريخ الصحيح لكان من الطبيعي أن يظهر أثره وكيده في هذه الحرب المعقدة المعضلة التي كانت بصفين، ولكان من الطبيعي أن يظهر أثره حين اختلف أصحاب علي في أمر الحكومة، ولكان من الطبيعي بنوع خاص أن يظهر أثره في تكوين هذا الحزب الجديد الذي كان يكره الصلح، وينفر منه، ويكفّر مَن مالَ إليه أو شارك فيه. ولكنا لا نرى لابن السوداء ذِكراً في أمر الخوارج، فكيف يمكن تعليل هذا الإهمال؟ أو كيف يمكن أن نعلّل غياب ابن سبأ عن وقعة صفين وعن نشأة حزب المحكمة؟ أما أنا فلا أعلّل الأمرين إلا بعلّة واحدة، وهي أن ابن السوداء لم يكن إلا وهماً، وإن وُجد بالفعل فلم يكن ذا خطر كالذي صوّره المؤرخون، وصوّروا نشاطه أيام عثمان وفي العام الأول من خلافة علي، وإنما هو شخص ادّخره خصوم الشيعة للشيعة وحدهم، ولم يدّخروه للخوارج[1].

الخامس: أن الأحاديث والأقوال قد تضاربت في بيان شخصية ابن سبأ تضارباً شديداً، وسيأتي مزيد بيان في الفصل الآتي إن شاء الله تعالى.

فتارة ذُكر فيها باسم عبد الله بن سبأ، وتارة باسم ابن السوداء، والذي يظهر من كلام عبد القاهر البغدادي في كتابه (الفرْق بين الفِرَق) أنهما رجلان لا رجل واحد[2]،

---

(١) الفتنة الكبرى ٢/ ٩٨، ٩٩.

(٢) قال عبد القاهر البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق)، ص ٢٣٥: وكان ابن السوداء في الأصل يهودياً من أهل الحيرة فأظهر الإسلام، وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورئاسة، فذكر لهم أنه وجد في =

بينما يرى الأكثر أن عبد الله بن سبأ هو ابن السوداء.

كما أن الظاهر مما قاله البلاذري في أنساب الأشراف، والسمعاني في الأنساب، والمقريزي في الخطط والآثار، أن ابن سبأ هو عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني الذي كان من رؤوس الخوارج وقُتل معهم في معركة النهروان، وقد تقدم الكلام في ذلك في الفصل السادس[(١)].

وأكثر الأقوال على أنه من يهود اليمن[(٢)]، وقيل: إنه من يهود الحيرة. وقد تقدم الكلام في ذلك في الفصل الأول، وأوضحنا هناك أن البغدادي ذهب إلى أن الذي هو من يهود الحيرة هو ابن السوداء، لا عبد الله بن سبأ.

ثم إن المروي في بعض الأخبار أن عليًّا عليه السلام نفاه إلى المدائن، وبقي فيها حتى مقتله عليه السلام[(٣)].

بينما روي في أخبار أُخَر أن عليًّا عليه السلام أحرقه بالنار في الكوفة، وقد ذكرنا كل ذلك فيما تقدم.

ويظهر من بعضها أن سبب نفيه للمدائن هو ادعاء الألوهية في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، إلا أن ابن عساكر وغيره رووا أن عليًّا عليه السلام نفاه للمدائن لما بلغه أنه كان يقع في أبي بكر وعمر، وفي بعضها أنه نفاه لما قال له: أنت دابّة الأرض.

كما أنهم قالوا: إنه غلا في علي عليه السلام، فزعم أنه نبي، ثم غلا فيه فزعم أنه إله. بينما

= التوراة أن لكل نبي وصيّاً، وأن علياً خير الأوصياء كما أن محمداً خير الأنبياء، فلما سمع منه شيعة علي قالوا لعلي: إنه من محبّيك. فرفع علي قدره، وأجلسه تحت درجة منبره، ثم بلغه غلوّه فيه فهَمَّ بقتله...فلما خشي من قتله ومن قتل ابن سبأ الفتنة... نفاهما إلى المدائن، فافتتن بهما الرعاع بعد قتل علي رضي الله عنه... اهـ وقد أشرنا إلى ذلك في الفصل الأول من هذا الكتاب، فراجعه.

(١) أنساب الأشراف ٢/ ٣٨٣، عن عبد الله بن سبأ للعسكري ٢/ ٣٢١. وقال طه حسين في كتابه علي وبنوه، ص ٥١٩: وابن سبأ عند البلاذري ليس ابن السوداء، وإنما هو عبد الله بن وهب الهمداني.

(٢) تاريخ دمشق ٣٤/ ١. لسان الميزان ٣/ ٢٨٩.

(٣) الفرق بين الفرق، ص ٢٣٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥/ ٣٦.

رووا أيضاً أنه كان يقول: إنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصيًّا، وأن عليًّا عليه السلام هو وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه خير الأوصياء كما أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خير الأنبياء[1].

قلت: إن هذا التضارب الشديد في بيان شخصية من زعموا أن له دوراً فعَّالاً في أحداث الفتنة يدل على أن الرجل قد صار مسرحاً للافتراءات المختلفة والأكاذيب المتضاربة. وإلا فمَن كان له ذلك الأثر فإن الدواعي تشتد لرصد حركاته، وبيان أفعاله، وكشف حقيقته بصورتها الصحيحة.

السادس: أن عبد الله بن سبأ الذي هو عربي صميم من أهل اليمن، وكان له هذا الدور الكبير في أحداث الفتنة في زمن عثمان، وكان له الجم الغفير من الأتباع والمريدين في جميع البلاد الإسلامية، لم يُعرف له نسب البتة، فلم يُعرف له جد واحد، فضلاً عن سلسلة أجداد، فلا يُعرَف إلا بأبيه وهو (سبأ)، ولم يُعرف له أخوة، ولا عمومة أو خؤولة أو زوجة أو أبناء وبنات أو أصهار أو أي شخص يمت له بصلة قريبة أو بعيدة، مع أن كل من كان له دور في تلك الفترة وما بعدها ذكر المؤرخون سلسلة نسبه وقبيلته ومَن يمت له بقرابة، وهذا يعرفه كل من نظر في كتب الرجال والتراجم، فكيف صار هذا الرجل بدعاً من الرجال، حتى أغفله كل من ترجم له، ولم يذكروا شيئاً يتعلق به من هذه النواحي؟

هذا يدل دلالة واضحة على أنه لم يكن له ذلك الدور الذي أُسند إليه، وإنما هو واحد من الناس لا أهمية له، ولذا لم تتوفر الدواعي عند المؤرخين لرصد تلك الأمور المرتبطة به وتدوينها.

السابع: أن رجلاً أسود مجهولاً من أهل اليمن، لا يُعرف نسبه، يهودي الأصل، حديث عهد بالإسلام، قد أظهر الغلو في علي عليه السلام، كيف تأتَّى له أن يعبث بعقول صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة والناس عامة، فاستطاع أن يؤلِّبهم على عثمان، حتى

---

(١) الفرق بين الفرق، ص ٢٣٥. تاريخ دمشق ٢٩/ ٧. البداية والنهاية ٧/ ١٧٤.

انقسموا فيه إلى قسمين: إما خاذل له، أو متحامل عليه؟!

ثم كيف تيسَّر له أن يُظهِر في ذلك المجتمع المسلم ما شاء من الآراء الفاسدة والمعتقدات الباطلة، فيجهر بالغلو في علي عليه السلام فلا يعارضه معارض، ولا يردعه رادع؟!

من كل ذلك نخلص إلى أن عبد الله بن سبأ لم يثبت أنه يهودي، وأن الدور الذي نُسب إليه في أحداث الفتنة لم يكن إلا أكاذيب اختلقها سيف بن عمر أو غيره للدفاع عن عثمان من جهة، وللطعن في علي وشيعته من جهة أخرى، أو لدواعٍ أخرى سيأتي بيانها قريباً.

الدوافع الحقيقية وراء نسبة ذلك الدور لابن سبأ:

لا ريب في أن الذين نسبوا ذلك الدور لعبد الله بن سبأ كانت لهم دوافع ومآرب وراء اختلاق مثل هذه الأخبار والأحداث ودسّها في الكتب والأحاديث.

والمتتبع قد يرى الكثير من الأسباب التي كانت كامنة وراء ذلك، والتي يمكن استنتاجها من مجموع أحاديث سيف بن عمر وغيره.

قال الدكتور عبد العزيز الهلابي في كتابه عبد الله بن سبأ: يمكن أن نلخِّص موقف سيف في رواياته عن أحداث الفتنة بالنقاط التالية:

١ـ الدفاع عن عثمان وأم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير وولاة عثمان، وتبرير مواقفهم حتى لو بلغ به الأمر إلى اختلاق الروايات وتحريفها.

٢ـ النيل من الخليفة علي بطريق غير مباشر.

٣ـ تجريح كل من انتقد الخليفة عثمان أو طعن في ولاته في الأمصار، أو انضم إلى جانب الخليفة علي في البصرة، سواء كان هؤلاء من الصحابة أم من غيرهم.

٤ـ التصدي للروايات الشيعية التي تنال من عثمان وعائشة وطلحة والزبير بروايات مناقضة أو مضادة... إلى آخر ما قال[١].

---

(١) عبد الله بن سبأ للهلابي، ص ٤٠.

أقول: ومن الأسباب الأخرى أيضاً وراء اختلاق الأساطير حول هذه الشخصية أمور:

١ـ تغطية الدواعي الحقيقية التي دفعت الناس لمحاصرة عثمان واغتياله في بيته، فإن المؤرخين ذكروا أن عمّال عثمان الذين كانت غالبيتهم من الأمويين عاثوا في البلاد الفساد، فاتخذوا مال الله دولاً، وعبيده خولاً. فأراد الناس من عثمان إما أن يعزل أولئك العمال أو يتنحى عن الخلافة، ليقوم بها من هو أقوى منه، ومع رفض عثمان التنحي، وتوانيه عن عزل أي من عمّاله ومحاسبتهم، ثار الناس عليه فقتلوه.

هذه هي الدوافع الحقيقية لقتل عثمان.

فقد أخرج الطبري في تاريخه بسنده إلى محمد بن مسلمة، قال: فدخلوا ـ يعني المصريين ـ يومئذ فما سلّموا عليه بالخلافة، فعرفت أنه الشرّ بعينه، قال: سلام عليكم. فقلنا: وعليكم السلام. قال: فتكلّم القوم وقد قدَّموا في كلامهم ابن عديس، فذكر ما صنع ابن سعد بمصر، وذكر تحاملاً منه على المسلمين وأهل الذمة، وذكر استئثاراً منه في غنائم المسلمين، فإذا قيل له في ذلك قال: (هذا كتاب أمير المؤمنين إلي)، ثم ذكروا أشياء مما أحدث بالمدينة وما خالف به صاحبيه، قال: فرحلنا من مصر ونحن لا نريد إلا دمك أو تنزع، فردَّنا علي ومحمد بن مسلمة، وضمن لنا محمد النزوع عن كل ما تكلمنا فيه. ثم أقبلوا على محمد بن مسلمة فقالوا: هل قلت ذاك لنا؟ قال محمد: فقلت: نعم. [قالوا:] ثم رجعنا إلى بلادنا نستظهر بالله عز وجل عليك، ويكون حجة لنا بعد حجة، حتى إذا كنا بالبويب أخذنا غلامك، فأخذنا كتابك وخاتمك إلى عبد الله بن سعد، تأمره فيه بجلد ظهورنا، والمثل بنا في أشعارنا، وطول الحبس لنا، وهذا كتابك. قال: فحمد الله عثمان وأثنى عليه، ثم قال: والله ما كتبت، ولا أمرت، ولا شوورت، ولا علمت. قال: فقلت وعلي جميعاً: قد صدق. قال: فاستراح إليها عثمان، فقال المصريون: فمن كتبه؟ قال: لا أدري؟ قال: أفيُجترَأ عليك، فيُبعث غلامك وجمل من

صدقات المسلمين، ويُنقش على خاتمك، ويُكتب إلى عاملك بهذه الأمور العظام وأنت لا تعلم؟ قال: نعم. قالوا: فليس مثلك يلي، اخلع نفسك من هذا الأمر كما خلعك الله منه. قال: لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله عز وجل.

قال: وكثرت الأصوات واللغط، فما كنت أظن أنهم يخرجون حتى يواثبوه، قال: وقام علي فخرج. قال: فلما قام علي قمت، قال: وقال للمصريين: اخرجوا. فخرجوا، قال: ورجعت إلى منزلي، ورجع علي إلى منزله، فما برحوا محاصريه حتى قتلوه[1].

إلا أن الذين اختلقوا ذلك الدور لابن سبأ أبرزوا قتل عثمان على أنه كان دسيسة من يهودي حاقد على المسلمين، يبتغي وقوع الشر والفتنة بينهم، فأظهر وصاية أمير المؤمنين عليه السلام وأنه أولى بالخلافة من عثمان، وأظهر الطعن في عثمان وفي عمّاله، وصار يؤلّب عليه إلى أن قُتل[2].

٢ـ مدح أهل الشام صراحة، ومعاوية ضمناً، وبيان أن ابن سبأ لم يستطع أن يدس دسائسه فيهم، وأنهم كانوا من الفطنة والوعي بحيث تنبّهوا إلى أغراضه الدنيئة فأخرجوه من الشام، فالتجأ حينئذ إلى سائر بلاد المسلمين الأخرى.

فقد أخرج الطبري من طريق سيف بسنده عن يزيد الفقعسي، قال: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمّه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثم الكوفة ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٤٠٧.

(٢) أخرج الطبري في تاريخه ٢/ ٦٤٧ عن سيف بسنده إلى يزيد الفقعسي: قال ابن سبأ لهم: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد. وقال: محمد خاتم النبيين، وعلي خاتم الأوصياء. وقال: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وآله، ووثب على وصي رسول الله صلى الله عليه وآله، وتناول أمر الأمة. وقال: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله، فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وأبدوا الطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...الخ.

أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم[١].

٣ـ تشويه بعض العقائد الإسلامية الصحيحة كعقيدة الرجعة والوصاية لأمير المؤمنين عليه السلام، وأنه عليه السلام دابة الأرض، وأنه أحق بالخلافة من عثمان، بنسبة هذه العقائد إلى ابن سبأ اليهودي الذي كانت غايته منها إضلال المسلمين وبث الفرقة فيما بينهم، لتشمئز النفوس من هذه المعتقدات وترفضها.

وفي الوقت ذاته غرسوا في الأذهان أن الطعن في الأمراء لا يجوز، لأن ابن سبأ رأى أن الطعن في أمراء المسلمين هو المعول الذي يستطيع به تقويض الدولة الإسلامية، ولذلك اختلقوا الأحاديث الكثيرة الناهية عن الطعن في الأمراء وإن كانوا ظلمة فسقة.

٤ـ تشويه الحقائق، باختلاق حوادث تاريخية ورجال ورواة وصحابة وأمكنة وقبائل كلها لا أصل لها ولا وجود، ليشتبه الصحيح بغير الصحيح، وليضيع الصحيح بين ركام كثير من الكذب الموضوع، كما مرَّ علينا مثاله في غزوة ذات السلاسل.

وقد يجد الباحث مآرب وغايات أخرى وراء اختلاق ذلك الدور لعبد الله بن سبأ وتصويره بهذه الصورة.

---

(١) الفتنة ووقعة الجمل ٢/ ٤٨. تاريخ الطبري ٢/ ٦٤٧.

الفصل العاشر

تضارب الأقوال في شخصية عبد الله بن سبأ

عندما نتأمل كلمات أصحاب المقالات والملل وعلماء الرجال والكُتّاب والباحثين وغيرهم حول عبد الله بن سبأ نجدها متضاربة تضارباً شديداً، ومتباينة تبايناً كبيراً، يمتنع معه الجمع بينها، والخروج منها بمحصلة.

الاختلاف في أصل وجود عبد الله بن سبأ:

لقد ذهبت طائفة من العلماء والباحثين إلى نفي أصل وجود عبد الله بن سبأ من رأس، وجعلوه في عداد الأساطير المختلقة، التي دعت إلى خلقها دواع مختلفة. منهم:

١ـ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره :

قال في تفسير الميزان: وهذان اللذان روى [الطبري] عنهما الحديث، وعنهما يروي جل قصص عثمان ـ أعني شعيباً وسيفاً ـ هما من الكذابين الوضّاعين المشهورين، ذكرهما علماء الرجال وقدحوا فيهما. والذي اختلقاه من حديث ابن السوداء وهو الذي سمّوه عبد الله بن سبأ، وإليهما ينتهي حديثه، من الأحاديث

الموضوعة، وقد قطع المحقّقون من أصحاب البحث أخيراً أن ابن السوداء هذا من الموضوعات الخرافية التي لا أصل لها[١].

٢ـ البحاثة المتتبّع السيد مرتضى العسكري:

فإنه كتب كتاباً في مجلدين يثبت فيه أن ابن سبأ ما هو إلا أسطورة مختلقة.

قال في كتابه (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى): اختلق سيف هذه الأسطورة في أوائل القرن الثاني الهجري، وتفرد برواياتها، ولم تنتشر إلا بعد أن نقلها عن سيف علماء كبار مثل الطبري المتوفى ٣١٠هـ في تاريخه[٢].

وقال: بعد اشتهار أسطورة سيف في كل مكان، أصبح عبد الله بن سبأ من قبيل الأبطال الأسطوريين الذين تحيك الشعوب حولها من خيالها أساطير لا تقف عند حد...[٣].

٣ـ الدكتور طه حسين:

قال في كتابه (علي وبنوه): أقل ما يدل عليه إعراض المؤرخين عن السبئية وعن ابن السوداء في حرب صفين أن أمر السبئية وصاحبهم ابن السوداء إنما كان متكلّفاً منحولاً وقد اختُرع بأخرة، حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلامية، أراد خصوم الشيعة أن يُدخلوا في أصول هذا المذهب عنصراً يهودياً، إمعاناً في الكيد لهم والنيل منهم[٤].

٤ـ الدكتور عبد العزيز الهلابي:

قال في كتابه (عبد الله بن سبأ): الذي نخلص إليه في بحثنا هذا أن ابن سبأ شخصية وهمية لم يكن لها وجود، فإن وجد شخص بهذا الاسم فمن المؤكّد أنه لم يقم

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ٩/ ٢٦٠.

(٢) عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى ٢/ ٣١٥.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٤٢٣.

(٤) الفتنة الكبرى ٢/ ٩٨. وقد تقدمت هذه الكلمة مطولة في صفحة ٨٥.

بالدور الذي أسنده إليه سيف وأصحاب كتب الفِرَق، لا من الناحية السياسية، ولا من ناحية العقيدة(١).

٦،٥ـ الدكتور علي الوردي والدكتور كامل مصطفى الشيبي: فإنهما ذهبا إلى أن عبد الله بن سبأ هو الصحابي الجليل عمار بن ياسر، فهما رجل واحد لا اثنان.

قال الدكتور علي الوردي في كتابه (وعاظ السلاطين):

إن ابن سبأ لم يكن سوى عمار بن ياسر، فلقد كانت قريش تعتبر عماراً رأس الثورة على عثمان، ولكنها لم تشأ ـ في أول الأمر ـ أن تصرّح باسمه، فرمزت عنه بابن سبأ أو ابن السوداء، وتناقل الرواة هذا الأمر غافلين وهم لا يعرفون ماذا يجري وراء الستار(٢).

وقال الدكتور الشيبي في كتابه (الصلة بين التصوف والتشيع):

والسبئية على هذا الأساس فرقة قادها عمار الذي أطلقت عليه قريش ذلك اللقب الرمزي، وأضافت إلى آرائه في علي مبالغات وأضاليل لتضيف إلى أفكار عمار ما يخرج بها عن المعقول، ويسلبها قوة الإقناع، ويقنّعها بقناع الشك والبطلان، فينصرف الناس عنه وعن آرائه وعن مبدئه في أحقيّة علي وفضله على سائر المسلمين من معاصريه زمن عثمان(٣).

وقد مضى بيان هذا الرأي وردّه في الفصل السابع، فراجعه.

٧ـ الكاتب المصري أحمد عباس صالح:

قال في كتابه (اليمين واليسار في الإسلام): وهنا يتردد اسم عبد الله بن سبأ، وهو شخص كان يهودياً وأسلم، تصوّره كتب التاريخ على أنه كان الشيطان وراء

---

(١) عبد الله بن سبأ: دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة، ص ٧١.

(٢) وعاظ السلاطين، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٨ (عن الصلة بين التصوف والتشيع ١/ ٣٦).

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع ١/ ٨٩.

الفتنة التي قُتل فيها عثمان، بل وراء الأحداث جميعاً... وقد وقف منه الكُتّاب مواقف متعارضة، فمنهم من ينكر وجوده أصلاً، ومنهم من يعتبره أساس كل ما جرى، بل أساس ما دخل في الإسلام من مذاهب غريبة منحرفة.

وعبد الله بن سبأ شخص خرافي بغير شك، فأين هو من هذه الأحداث جميعاً؟ وأين هو من الصراعات الناشبة في هذا العالم الكبير المتعدد... وماذا يستطيع شخص مهما تكن قيمته أن يلعب بمفرده بين هذه التيارات المتطاحنة؟ إن الأحداث السريعة العنيفة المتلاحقة لم تكن في حاجة إلى شخص ما حتى ولو كان الشيطان نفسه، لأن أصولها بعيدة الغور، وقوة اندفاعها لا قبل لأحد بالسيطرة عليها أو توجيهها، فضلاً عن تشابكها وتعددها بما لا يدع لأي قوة أن تزيدها تعقيداً.

وساذج بغير شك التفكير الذي يتّجه إلى خلق شخصية خرافية كهذه ليعطيها أي أثر فيما حدث من أحداث. وأكثر سذاجة منه من يظن لهذا الرجل تأثيراً ما على كبار الصحابة، ومنهم أبو ذر الغفاري نفسه الذي لم يقبل مناقشة من أبي هريرة المحدث المعروف وضربه فشجّه قائلاً في ازدراء : (أتعلّمنا ديننا يا ابن اليهودية)، إنما كل ما حيك من قصص حول عبد الله بن سبأ هو من وضع المتأخرين، فلا دليل على وجوده في المراجع القديمة، فضلاً عن سخافة التفكير في احتمال وجوده أصلاً[١].

وأما آية الله العظمى المحقق السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره فكلامه في (معجم رجال الحديث) ليس نصًّا في أنه كان يذهب إلى القول بأنه رجل مختلق وإن كانت عبارته قد توهم ذلك.

وربما يستفاد من كلامه قدس سره أنه يذهب إلى كذب ما حيك حوله من أساطير ومشاغبات التي هي كلها من مختلقات سيف بن عمر.

فقد قال في معجمه: إن أسطورة عبد الله بن سبأ وقصص مشاغباته الهائلة

---

(١) اليمين واليسار في الإسلام، ص ٩٥.

موضوعة مختلقة، اختلقها سيف بن عمر الوضَّاع الكذَّاب، ولا يسعنا المقام الإطالة في ذلك والتدليل عليه، وقد أغنانا العلامة الجليل والباحث المحقق السيد مرتضى العسكري في ما قدم من دراسات عميقة دقيقة عن هذه القصص الخرافية وعن سيف وموضوعاته في مجلدين ضخمين طُبعا باسم (عبد الله بن سبأ)، وفي كتابه الآخر (خمسون ومائة صحابي مختلق)[١].

وعبارته واضحة في أنه قدس سره لا ينفي أصل وجوده كما فهمه بعض الأجلة، بل ينفي أسطورته وقصص مشاغباته، فتأمل فيها جيداً يتضح لك صحة ما فهمناه منها.

الاختلاف في نفيه وإحراقه:

ذهب جمع من العلماء إلى أن ابن سبأ أحرقه أمير المؤمنين عليه السلام بسبب ادّعاء الألوهية له عليه السلام:

فقد قال العلَّامة الحلي في كتابه خلاصة الأقوال: عبد الله بن سبأ غالٍ ملعون، حرَّقه أمير المؤمنين عليه السلام بالنار، كان يزعم أن عليًّا عليه السلام إله، وأنه نبي[٢].

وهذه العبارة هي عين عبارة السيد أحمد بن طاووس في كتابه (حل الإشكال في معرفة الرجال) المنقولة في التحرير الطاووسي[٣].

وقال أبو عمرو الكشي: كان يدَّعي النبوة وأن عليًّا عليه السلام هو الله، فاستتابه عليه السلام ثلاثة أيام فلم يرجع، فأحرقه في النار في جملة سبعين رجلاً ادَّعوا فيه ذلك[٤].

وقال الشيخ يوسف البحراني: وابن سبأ هذا هو الذي كان يزعم أن أمير

---

(١) معجم رجال الحديث ١١/ ٢٠٧.

(٢) رجال العلامة الحلي، ص ٢٣٧.

(٣) التحرير الطاووسي، ص ١٧٣.

(٤) عن رجال ابن داود، ص ٣٠ من القسم الثاني، وتنقيح المقال ٢/ ١٨٤، وكلمة الكشي هذه غير مذكورة في (اختيار معرفة الرجال) المعروف برجال الكشي.

المؤمنين عليه السلام إله، فاستتابه أمير المؤمنين ثلاثة أيام، فلم يتب فأحرقه[١].

وهذه الكلمات وأمثالها هي مضمون الروايات التي رواها الكشي في رجاله وقد مرَّ ذِكرها مفصلاً، ولعلّ هؤلاء الأعلام قالوا بذلك اعتماداً على تلك الروايات.

وذكر هذا المعنى ابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل)، فقال: من الفرق الغالية الذين يقولون بالإلهية لغير الله عز وجل، أولهم: فرقة من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميري لعنه الله، أتوا إلى علي بن أبي طالب فقالوا مشافهة: أنت هو. فقال: ومن هو؟ قالوا: أنت الله. فاستعظم الأمر، وأمر بنار فأجّجت، وأحرقهم بالنار، فجعلوا يقولون وهم يُرمَون في النار: الآن صحَّ عندنا أنه الله تعالى، لأنه لا يعذِّب بالنار إلا رب النار[٢].

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة، ضال مضل، أحسب أن علياً حرقه بالنار[٣].

وذهب آخرون إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يحرق عبد الله بن سبأ، وإنما نفاه إلى المدائن بسبب إظهاره القول بألوهية أمير المؤمنين عليه السلام أو الجهر بالطعن في أبي بكر وعمر أو غير ذلك:

قال الشهرستاني في الملل والنحل: السبائية: أصحاب عبد الله بن سبأ الذي قال لعلي كرم الله وجهه: (أنت أنت) يعنى أنت الإله، فنفاه إلى المدائن، زعموا أنه كان يهودياً فأسلم، وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى عليهما السلام مثل ما قال في علي رضى الله عنه، وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي رضي الله عنه ، ومنه انشعبت أصناف الغلاة، زعم أن عليًّا حي لم يمت، ففيه الجزء الإلهي، ولا يجوز أن

---

(١) الحدائق الناضرة ٨/ ٥١١.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥/ ٤٦.

(٣) ميزان الاعتدال ٤/ ١٠٥.

يستولي عليه، وهو الذي يجيء في السحاب، والرعد صوته، والبرق تبسّمه، وأنه سينزل إلى الأرض بعد ذلك، فيملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً[١].

وقريب من هذا المعنى ما قاله عبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق[٢]، والمناوي في التوقيف على مهمات التعاريف[٣]، والجرجاني في كتاب التعريفات[٤].

وقال سعد بن عبد الله الأشعري في كتابه (المقالات والفرق): السبائية أصحاب عبد الله بن سبأ، وهو عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني... وكان أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم، وادّعى أن علياً عليه السلام أمره بذلك، وأن التقية لا تجوز ولا تحل، فأخذه علي فسأله عن ذلك فأقرَّ به وأمر بقتله، فصاح الناس إليه من كل ناحية: يا أمير المؤمنين أتقتل رجلاً يدعو إلى حبّكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك؟ فسيَّره علي إلى المدائن. وحكى جماعة من أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بهذه المقالة، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه في علي بمثل ذلك، وهو أول من شهر بالقول بفرض إمامة علي بن أبي طالب، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وأكفرهم، فمن ههنا قال من خالف الشيعة: إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية. ولما بلغ ابن سبأ وأصحابه نعي علي وهو بالمدائن، وقدم عليهم راكب فسأله الناس: ما خبر أمير المؤمنين؟ قال: ضربه أشقاها ضربة قد يعيش الرجل من أعظم منها، ويموت من دونها. ثم اتصل خبر موته، فقالوا للذي نعاه: كذبت يا عدو الله، لو جئتنا والله بدماغه في صرة، فأقمت على قتله سبعين عدلاً ما صدقناك، ولعلمنا أنه لم يمت ولم يُقتل، وأنه لا يموت حتى يسوق

(١) الملل والنحل ١/ ١٧٤.

(٢) الفرق بين الفرق، ص ٢٣٣.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف ٢/ ٣٩٤.

(٤) التعريفات، ص ١١٧.

العرب بعصاه ويملك الأرض. ثم مضوا من يومهم حتى أناخوا بباب علي، فاستأذنوا عليه استئذان الواثق بحياته الطامع في الوصول إليه، فقال لهم من حضره من أهله وأصحابه وولده: سبحان الله ما علمتم أن أمير المؤمنين قد استشهد؟! قالوا: إنا لنعلم إنه لم يُقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بسيفه وسوطه كما قادهم بحجّته وبرهانه، وإنه ليسمع النجوى، ويعرف تحت الديار العتل، ويلمع في الظلام كما يلمع السيف الصقيل الحسام. وهذا مذهب السبائية ومذهب الحربية وهم أصحاب عبد الله بن عمر بن الحرب الكندي في علي عليه السلام، وقالوا بعد ذلك في علي: إنه إله العالمين، وإنه توارى عن خلقه سخطاً منه عليهم وسيظهر[1].

وقريب من ذلك ما في فرق الشيعة للنوبختي، فراجعه[2].

والظاهر أن كتاب (المقالات والفرق) المطبوع عندنا هو كتاب (فرق الشيعة) لا كتاب آخر غيره، فإنك لو تأمَّلت الكتابين من أولها إلى آخرهما لوجدتهما كتاباً واحداً، سقط من الكتاب الأول مقدمته، واختلفت بعض عبارات الكتابين زيادة ونقيصة كالاختلاف الذي يكون عادة بين النسخ المختلفة للكتاب الواحد.

وعلى كل حال فإن ما نقلناه عنهما فيه مواقع للنظر من جهات:

١ـ أنه ذكر أن عبد الله بن سبأ هو عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني، الذي كان من رؤوس الخوارج، وهذا قول واضح البطلان، فإن الراسبي قُتل مع أصحابه في واقعة النهروان، أما ابن سبأ فإنه إما أُحرق بالكوفة أو نُفي إلى المدائن، فكيف يكون ابن سبأ هو الراسبي؟

وقد أوضحنا ذلك مفصّلاً في الفصل السادس، فراجعه.

٢ـ أن أمير المؤمنين عليه السلام أمر بقتله لما بلغه أنه كان يسب أبا بكر وعمر، فلما قال

---

(١) المقالات والفرق، ص ٢٠.

(٢) فرق الشيعة، ص ٢٢.

الناس فيه ما قالوا سيَّره إلى المدائن.

وهنا نتساءل: إن كان سبّه لأبي بكر وعمر يستوجب قتلاً فلا يجوز إطلاقه حتى لو كان يدعو إلى حبّ أهل البيت عليهم السلام، فإن ذلك لا يُسقط الحدود اللازمة، وأما إن كان السب لا يستوجب شيئاً فلمَ أمر بقتله؟

وهذا إشكال قوي لا مفرَّ منه.

٣ـ أن نفي أمير المؤمنين عليه السلام لابن سبأ إلى المدائن لم يقم عليه دليل صحيح من الأخبار، وقد بسطنا الكلام في ذلك في الفصل الثامن.

٤ـ أن ما حكاه عن بعض أهل العلم من إسلام ابن سبأ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه شهر القول بوصاية أمير المؤمنين عليه السلام منذ ذلك الوقت، مخالف لما نصَّ عليه كل من ذكر أن ابن سبأ أسلم زمن عثمان، وأظهر مقالاته في ذلك الوقت. ولو كان قد شهر القول بالوصاية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لما تركه عمر بن الخطاب، فإنه نهى أبا هريرة عن أن يروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما هو دون هذا، فكيف لا ينهى ابن سبأ اليهودي عن الجهر بما يزعزع شرعية خلافة أبي بكر وخلافته؟!

٥ـ أن قوله: (وهو أول من شهر بالقول بفرض إمامة علي بن أبي طالب، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وأكفرهم) غير صحيح، لأن أول من شهر ذلك هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأحاديثه الشريفة الكثيرة دالة على ذلك، وليس هذا موضع بيانها.

ومن العجب ما قاله ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية، حيث قال: إن أصل الرفض إنما أحدثه منافق زنديق قصده إبطال دين الإسلام والقدح في الرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكر ذلك العلماء، فإن عبد الله بن سبأ لما أظهر الإسلام أراد أن يفسد دين الإسلام بمكره وخبثه، كما فعل بولس بدين النصرانية، فأظهر التنسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى سعى في فتنة عثمان وقتله، ثم لما قدم عليٌّ الكوفة

أظهر الغلو في علي والنصر له، ليتمكن بذلك من أغراضه، وبلغ ذلك عليًّا فطلب قتله، فهرب منه إلى قرقيس، وخبره معروف في التاريخ[١].

ولا أدري من أين جاء بالقول بأن ابن سبأ هرب إلى قرقيس؟ مع أن كل من ذكر ابن سبأ لم يذكر هروبه إلى قرقيس، ولعله جاء به من جراب النورة (المعروف في التاريخ).

تحقق التضارب بين هذه الأقوال:

لا ريب في أن هذه الأقوال لا يمكن الجمع بينها بحال، لأن ابن سبأ لا يخلو إما أن يكون حقيقة، وإما أن يكون خرافة وأسطورة.

وعلى فرض كونه حقيقة فلا يخلو أيضاً إما أن يكون قد أحرقه أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة، أو نفاه إلى المدائن، وبقي فيها إلى ما بعد مقتل أمير المؤمنين عليه السلام.

وعلى فرض أنه عليه السلام نفاه إلى المدائن فلا يخلو أيضاً إما أن يكون عليه السلام قد نفاه بسبب طعنه في أبي بكر وعمر والجهر ببعض معتقداته، أو بسبب ادّعائه الألوهية لأمير المؤمنين عليه السلام.

ومن ذلك يتضح التهافت في كلمة الذهبي في ميزان الاعتدال، إذ قال:

عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة، ضال مضل، أحسب أن عليًّا حرقه بالنار، وزعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء، وعلمه عند علي، فنفاه علي بعد ما همَّ به.

ولا أدري كيف حرَّقه أمير المؤمنين عليه السلام بالنار، ثم نفاه بعدما همَّ به؟

نعم، قد قيل: إن عبد الله بن سبأ رجلان لهما هذا الاسم، لا رجل واحد، أحدهما أحرقه أمير المؤمنين عليه السلام، والآخر نفاه إلى المدائن، جمعاً بين الروايات الدالّة على ادعائه الألوهية وإحراقه، وبين الأقوال الدالّة على نفيه إلى المدائن وبقائه فيها إلى

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٩٠.

ما بعد مقتل أمير المؤمنين عليه السلام.

والجواب: أن هذا قول لا يساعد عليه الدليل ولا الاعتبار، وهو مخالف لما أطبق عليه علماء الرجال والمؤرخون وغيرهم من الشيعة وأهل السنة، ولم يُعرف له قائل في من سبق.

فإنه من البعيد جداً الذي يكاد يكون ممتنعاً عادة أن يوجد رجلان من الشيعة في عصر أمير المؤمنين عليه السلام، لهما نفس الاسم، كلاهما من اليمن، يعيشان في الكوفة، مجهولا الهوية، كل منهما أسود وابن امرأة سوداء، لا يُعرف لهما نسب، أحدهما يؤلّه أمير المؤمنين عليه السلام، فيحرقه بالنار، والآخر يُظهر الطعن في الخلفاء ويجهر ببعض عقائد الشيعة، فيُنفى إلى المدائن، ولا تجد إشارة إلى ذلك في رواية أو مقالة، ولا نرى مَن ميّز بين هذين الرجلين اللذين ذكرهما المؤرخون وعلماء الرجال وأصحاب المقالات، على الرغم مما كان لصنيعهما من أثر في الدين ووقْع عند الناس.

إن وجود رجلين بينهما هذا التشابه العظيم بحيث يلتبس أمرهما على العلماء والمؤرخين، فيطبقون على اعتبارهما رجلاً واحداً منذ ظهورهما إلى يومنا هذا، مستبعد جداً، بل لا نعلم بوقوع مثله، والقول بذلك مجازفة عظيمة.

هذا مضافاً إلى أن مدَّعي الاثنينية يحتاج إلى إقامة دليل أو شاهد على كلامه، أكثر من مجرد الجمع بين الروايات المختلفة والأقوال المتضاربة، ولا سيما أنه جمْعٌ بين الروايات والأقوال، وهذا لا يصح، فإن قواعد الجمع الدلالي تقتضي أن يكون الجمع بين الحجَّة والحجَّة كما هو معلوم في مباحث التعادل والتراجيح، ولهذا لم يذكر علماء الأصول قواعد للترجيح بين روايات الأئمة وأقوال العلماء التي لا يُعلم لها مستند، وذلك لأن أقوالهم بذاتها ليست بحجّة، فلا بد حينئذ في كل قول يخالف صريح الرواية الصحيحة ولم يُعلم له مستند صحيح أن يُرَد، وإن كان صادراً من أجلاء الطائفة، وهذا واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان.

ثم إنا لا نعلم مستند النوبختي وسعد بن عبد الله في ذلك، فإن النوبختي الذي عاش في حوالي سنة ٣٠٠هـ ، وسعد بن عبد الله المتوفى سنة ٣٠١هـ بينهما وبين عبد الله بن سبأ ـ على فرض وجوده ـ أكثر من مائتين وستين سنة، فكيف يُحتج بقولهما مع هذه الفاصلة الزمنية الكبيرة المحقِّقة للإرسال؟

هذا مع أن الجمع بهذا النحو مخالف لنصِّ الروايات وصريح الأقوال التي اتفقت على أن ابن سبأ شخص واحد أُحرِق، أو شخص واحد نُفي.

الفصل الحادي عشر

القول المختار
في عبد الله بن سبأ

إن الأحاديث الدالة صراحة على وجود عبد الله بن سبأ، وأنه قد غلا في أمير المؤمنين عليه السلام وادَّعى فيه الألوهية، لم نجدها في المصادر الشيعية إلا في كتاب (اختيار معرفة الرجال) المعروف برجال الكشي، الذي اشتهر أن شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي قدس سره اختاره من كتاب الرجال لأبي عمرو الكشي، وكل من أوردها من علماء الشيعة في مصنَّف أو كتاب إنما نقلها من الكتاب المذكور، كما أن كل من ذكر ابن سبأ من علماء الشيعة الإمامية إنما وصفه بمضمون تلك الروايات من الغلو وتحريق أمير المؤمنين عليه السلام له.

وهذه الروايات لم تشر من قريب أو بعيد إلى أنه كان يهودياً قد أسلم في زمان عثمان، أو أن له دوراً في التأليب على عثمان والتحريض عليه، أو غير ذلك من الأمور المنسوبة إليه.

وأخرج حفاظ الحديث من أهل السنة في مصادرهم الحديثية أخباراً تتضمن

إحراق أمير المؤمنين عليه السلام جماعة من الغلاة الذين ادّعوا فيه الألوهية، وهي تتفق مع روايات الكشي السابقة إلا أنها لم تنصّ على أن عبد الله بن سبأ من ضمن أولئك الغلاة الذين أُحرِقوا، وسيأتي ذكرها قريباً إن شاء الله تعالى.

وأما سائر الأخبار والروايات التي ورد فيها ذكر عبد الله بن سبأ في المصادر الشيعية أو السنية فهي ـ مع ضعف أسانيدها ـ لم تصفه بأنه يهودي، ولم تسمه بالغلو أو تنسب له دوراً في أحداث الفتنة، بل جاءت ذامَّة له بالكذب وغير مفصحة عن سبب آخر للذم.

وأما الروايات الدالة على يهوديته ودوره في أحداث الفتنة زمن عثمان فهي كلها مروية في بعض مصادر أهل السنة عن سيف بن عمر، وهو كذَّاب وضَّاع كما مرَّ بيانه مفصلاً، فلا يمكن قبولها بحال.

الروايات السُنّية الدالة على إحراق بعض الغلاة:

أخرج حفَّاظ الحديث من أهل السنة طائفة من الروايات التي دلَّت على أن أمير المؤمنين عليه السلام أحرق جماعة من الغلاة ادّعوا فيه الألوهية:

منها: ما أخرجه ابن حجر في فتح الباري عن عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي: إن هنا قوماً على باب المسجد يدَّعون أنك ربّهم. فدعاهم فقال لهم: ويلكم ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا. فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم، آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء، وإن عصيته خشيت أن يعذّبني، فاتقوا الله وارجعوا. فأبوا، فلما كان الغد غدوا عليه، فجاء قنبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام. فقال: أدخلهم. فقالوا كذلك، فلما كان الثالث قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنّكم بأخبث قتلة. فأبوا إلا ذلك. فقال: يا قنبر ائتني بفعلة معهم مرورهم، فخدَّ لهم أخدوداً بين باب المسجد والقصر، وقال: احفروا فأبعدوا في الأرض. وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود، وقال: إني

طارحكم فيها أو ترجعوا. فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم فيها، حتى إذا احترقوا قال:

إني إذا رأيتُ أمراً منكَرا أوقدتُ ناري ودعوتُ قنبرا

قال ابن حجر: وهذا سند حسن[١].

وعن عثمان بن أبي عثمان الأنصاري قال: جاء ناس من الشيعة إلى علي فقالوا: يا أمير المؤمنين أنت هو. قال: من أنا؟ قالوا: أنت هو. قال: ويلكم من أنا؟ قالوا: أنت ربّنا. قال: ويلكم ارجعوا فتوبوا. فأبوا فضرب أعناقهم، ثم قال: يا قنبر ائتني بحزم الحطب. فحفر لهم في الأرض أخدوداً فأحرقهم بالنار، ثم قال:

لما رأيتُ الأمرَ أمراً منكرا أجَّجتُ ناري ودعوتُ قنبرا[٢]

وقد صرَّح الأعلام في كلماتهم بأن عبد الله بن سبأ وجماعة ادَّعوا الألوهية في أمير المؤمنين عليه السلام، فأحرقهم بالنار.

منهم: الذهبي في ميزان الاعتدال، فإنه قال: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة، ضال مضل، أحسب أن علياً حرقه بالنار[٣].

وكذا قال ابن حجر في لسان الميزان، وقال أيضاً: وله أتباع يقال لهم السبائية، معتقدون إلهية علي بن أبي طالب، وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته[٤].

ومنهم: الشهرستاني في الملل والنحل، حيث قال: السبائية: أصحاب عبد الله ابن سبأ الذي قال لعلي كرم الله وجهه: (أنت أنت) يعنى أنت الإله[٥].

(١) فتح الباري ١٢/ ٢٢٧.

(٢) التمهيد لابن عبد البر ٥/ ٣١٧. شرح الزرقاني على الموطأ ٤/ ١٨. ميزان الاعتدال ٢/ ٤٠٤. طبقات المحدثين بأصبهان ٢/ ٣٤٣.

(٣) ميزان الاعتدال ٤/ ١٠٥.

(٤) لسان الميزان ٣/ ٢٩٠.

(٥) الملل والنحل ١/ ١٧٤.

ومنهم: عبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق، إذ قال: السبئية أتباع عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وزعم أنه كان نبيّاً، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله، ودعا إلى ذلك قوماً من غواة الكوفة، ورُفع أمرهم إلى علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين...[١].

ومنهم: ابن قتيبة في كتابه (تأويل مختلف الحديث)، فإنه قال: فإن عبد الله بن سبأ ادّعى الربوبية لعلي، فأحرق علي أصحابه بالنار، وقال في ذلك:

لما رأيتُ الأمرَ أمراً منكَرا   أَجَّجتُ ناري ودعوتُ قنبرا[٢]

ومنهم: الإسفرايني: قال ابن حجر في فتح الباري: وزعم أبو المظفر الإسفرايني في الملل والنحل أن الذين أحرقهم علي طائفة من الروافض ادّعوا فيه الإلهية، وهم السبائية، وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ، يهودياً ثم أظهر الإسلام، وابتدع هذه المقالة[٣].

ومنهم: الحافظ إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، قال في كتابه (أحوال الرجال): ثم السبئية إذ غلت في الكفر فزعمت أن علياً إلهها حتى حرقهم بالنار إنكاراً عليهم واستبصاراً في أمرهم حين يقول:

لما رأيتُ الأمرَ أمراً منكرا   أَجّحتُ ناري ودعوتُ قنبرا

وضرب عبد الله بن سبأ حين زعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء، وعلمه عند علي، ونفاه بعدما كان همَّ به[٤].

ولعل ما رواه حفّاظ الحديث من أن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أحرق ناساً ارتدوا عن

---

(١) الفرق بين الفرق، ص ٢٣٣.

(٢) تأويل مختلف الحديث، ص ٦٩.

(٣) فتح الباري ١٢/ ٢٢٧.

(٤) أحوال الرجال، ص ٣٨.

الإسلام يشير إلى عبد الله بن سبأ وأصحابه الذين ادّعوا فيه الألوهية، فإن ادّعاء الألوهية لواحد من الناس مهما جلَّ شأنه هو ارتداد عن الإسلام.

فقد أخرج البخاري في صحيحه، وأبو داود في سننه ـ واللفظ له ـ والنسائي والبيهقي وأحمد بن حنبل والحاكم والدارقطني وغيرهم، بأسانيدهم عن عكرمة أنه قال: إن علياً عليه السلام أحرق ناساً ارتدوا عن الإسلام، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لم أكن لأحرقهم بالنار، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (لا تعذِّبوا بعذاب الله)، وكنت قاتِلهم بقول رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (مَن بدَّل دينه فاقتلوه)، فبلغ ذلك علياً عليه السلام فقال: ويح ابن عباس[1].

ونظم هذه الحادثة بعض الشعراء، منهم السيد الحميري، الذي قال:

قومٌ غَلَوا في عليٍّ لا أبا لهمُ ... وأجْشَموا أنفُساً في حُبِّه تَعَبا

قالوا هو اللهُ جَلَّ اللهُ خالِقُنا ... مِنْ أن يكونَ له ابْنٌ أو يكونَ أبا[2]

والنتيجة هي أن الروايات الصحيحة المروية في المصادر الشيعية والسنّية لا تدل على أكثر من أن قوماً قد غلوا في أمير المؤمنين عليه السلام، فأحرقهم عليه السلام بالنار. سواء أكان منهم عبد الله بن سبأ كما دلّت عليه بعض الروايات الشيعية، أم لم يُعلم كونه منهم، كما في الروايات السنية.

ولا أثر في شيء من تلكم الروايات يدل على أن عبد الله بن سبأ أو من شاركه في

(١) صحيح البخاري ٢/ ٩٢٧، ٤/ ٢١٦١. سنن أبي داود ٤/ ١٢٦. سنن النسائي ٧/ ١٢٠. السنن الكبرى للبيهقي ٨/ ٢٠٢. السنن الكبرى للنسائي ٢/ ٣٠١. المستدرك ٣/ ٥٣٧ وصحّحه على شرط الشيخين، ورمز له الذهبي في التلخيص بشرط البخاري. مسند أحمد ١/ ٢١٧، ٢٨٢. سنن الدارقطني ٣/ ١٠٨ قال الدارقطني: هذا ثابت صحيح. صحّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٢٢. صحيح سنن النسائي ٣/ ٨٥١. المصنف لعبد الرزاق ٥/ ٢١٣. مسند البزار ٢/ ١٩٠. المعجم الأوسط للطبراني ٧/ ١٤٠. المعجم الكبير للطبراني ١٠/ ٢٧٢. المصنف لابن أبي شيبة ٥/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩.

(٢) العقد الفريد ٢/ ٢٤٥.

الغلو كانوا من اليهود، أو كان لهم ضلع في الأحداث التي أدّت إلى قتل عثمان.

وأما الأحاديث الأخرى التي ورد فيها ذكر عبد الله بن سبأ فتنقسم إلى طائفتين:

الطائفة الأولى: الروايات المروية من غير طريق سيف بن عمر التميمي، وهي لا تُثبِت لابن سبأ أكثر من كونه كذاباً، ولا تزيد على ذلك، وقد مرَّ الكلام فيها في البحوث السابقة.

والطائفة الثانية: الروايات المروية من طريق سيف بن عمر المذكور، وهي التي انفردت ببيان كونه يهودياً أسلم في زمن عثمان، وأن له دوراً في أحداث الفتنة في أواخر زمن عثمان وما بعده.

وكلا هاتين الطائفتين ضعيفة السند، فلا يصح التعويل عليهما في إثبات شيء أو نفيه.

فالعمدة إذن هي الأحاديث الصحيحة المتقدمة التي دلّت على أن أمير المؤمنين عليه السلام أحرق جماعة ادّعوا فيه الألوهية، وكان منهم ابن سبأ الذي وصفته الأحاديث الأخرى ـ إن صحّحناها ـ بأنه كذّاب.

خلاصة البحث:

خلاصة ما توصلنا إليه هو أن الأحاديث الصحيحة المروية في بعض المصادر الشيعية دلَّت على أن رجلاً كان في زمن أمير المؤمنين عليه السلام اسمه عبد الله بن سبأ، قد غلا في أمير المؤمنين عليه السلام وادّعى له الألوهية، فاستتابه أمير المؤمنين عليه السلام في جملة جماعة كانوا معه على رأيه، فلم يتوبوا فأحرقهم بالنار وانتهى أمرهم.

وفي أواخر القرن الثاني الهجري قام سيف بن عمر التميمي (ت ١٨٠هـ) الوضَّاع، فنسج حول عبد الله بن سبأ الغالي هالة كبيرة من الأكاذيب، فجعله أسطورة

من أساطير الدنيا، إذ صوَّره بأنه رجل يهودي أسود جاء من اليمن في زمن عثمان، وأظهر الإسلام ليتمكن من دس مكائده ودسائسه، واستطاع بخبثه أن يعبث بعقول الصحابة، وأن يجمع حوله الأنصار الذين تمكَّن بواسطتهم من بثّ دعوته ضد عثمان بن عفان وتأليب الناس عليه، وقام بالتخطيط لكل الأحداث التي أدّت في النهاية إلى قتل عثمان بن عفان محصوراً في داره.

ثم إن سيف بن عمر لم يكتفِ بكل ذلك، بل أخذ جملة من عقائد الشيعة، كالقول بالرجعة، وأن علي بن أبي طالب عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأولى الناس به، وأنه عليه السلام دابة الأرض، فنسبها إلى عبد الله بن سبأ المذكور، وبذلك صيَّره باذر البذرة الأولى لمذهب الشيعة، وجاعل أساس عقائدهم التي استقاها من الديانة اليهودية.

لقد كانت براعة سيف بن عمر التميمي في اختلاق كل تلك الأحداث وتصويرها سبباً في رواية شيخ المؤرّخين محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) هذه الأساطير عن سيف وتدوينها في كتابه المعروف بتاريخ الطبري الذي يعتبره أهل السنة من أهم المصادر التاريخية عندهم.

ثم نقل أسطورة عبد الله بن سبأ هذه عن الطبري بعض المؤرخين الذين جاؤوا بعده كابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، والذهبي (ت ٧٤٨هـ)، وابن كثير (ت ٧٧٤)، وغيرهم في كتبهم، فصارت أسطورة ابن سبأ ومشاغباته بسبب ذلك حقيقة تاريخية لا يمكن التشكيك فيها، وصار ابن سبأ مغمزاً يُغمَز به مذهب الشيعة، وصارت بعض عقائد الشيعة التي دلَّت عليها الأدلة الصحيحة كعقيدة الوصاية والرجعة وغيرهما، من العقائد التي لا يحق لأي مسلم أن يعتقد بها، لأنها من عقائد اليهود التي دسَّها في المسلمين يهودي حاقد على الإسلام.

هذه هي كل قصة عبد الله بن سبأ، وهذا ما نسجه حولها النسَّاجون والقصَّاصون المغرضون الذين كانت لهم مآرب وغايات أرادوا أن يحقّقوها بهذه

الوسيلة الرخيصة.

ومع أن ناسج هذه القصة ومختلقها هو سيف بن عمر الذي أجمع الحفَّاظ على أنه وضَّاع كذَّاب كما مرّ، إلا أن بعض علماء أهل السنة تابعوه في أسطورته، وصاروا يلهجون بفريته، إما تقليداً من غير تحقيق، وإما لأن هذه الأسطورة لاقت هوى في أنفسهم باعتبار أنها موجَّهة ضد الشيعة بالخصوص، وبها يتسنّى لهم في مقام الرد والمناقشة التي كانت مستفحلة بين الشيعة وأهل السنة إلزام الشيعة بنسبة مذهبهم وعقائدهم إلى اليهود.

وهكذا صارت هذه المسألة غير محقَّقة من قبلهم، يتلقَّونها جيلاً بعد جيل وكأنها حقيقة واقعة لا يجوز ردَّها، بل صار من ينكرها منهم يُغمز بأنه من الشيعة أو من المناصرين لهم.

والحاصل أن الدور الذي ذكروه لعبد الله بن سبأ في أحداث الفتنة في زمن عثمان بن عفان لم يثبت بدليل صحيح.

وكذلك ما قالوه من أنه باذر بذرة التشيع، وأنه أول من أظهر القول بأن عليّاً عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و أنه دابة الأرض، وأنه يرجع إلى الدنيا بعد الموت، كل ذلك منتحل مكذوب لم يدل عليه دليل صحيح.

وأما أن عبد الله بن سبأ كان كذّاباً، وأنه ادّعى الألوهية في أمير المؤمنين عليه السلام، فأحرقه عليه السلام بالنار وانتهى دوره، فهو صحيح بحسب دلالة الروايات المعتبرة التي مرَّ ذكرها.

هذا خلاصة ما توصلنا إليه من الرأي في عبد الله بن سبأ، وهذا هو رأي أعلام الشيعة الإمامية السابقين الذين ذكرنا كلماتهم فيما تقدم.

ومنه يتضح أن من قال: (إن عبد الله بن سبأ رجل مختلق) فقد ردَّ الأخبار

المعتبرة بدون حجة صحيحة، ومن قال: (إن ابن سبأ يهودي كان له دور كبير في أحداث الفتنة) فقد اعتمد على روايات ضعاف وأكاذيب وتلفيقات، فجعلها حُجة في هذه المسألة.

الفصل الثاني عشر

براءة مذهب الشيعة الإمامية
من عبد الله بن سبأ

بعدما تبيَّن بوضوح من كل ما تقدَّم في البحوث السابقة أن عبد الله بن سبأ لم يكن يهودياً، وأن ما نُسب إليه من الأدوار البارزة في الأحداث التي وقعت زمن عثمان وفي إثارة الفتنة التي أدَّت إلى قتل عثمان، كله مكذوب مختلق، اختُلق لغايات كثيرة ذكرنا بعضاً منها فيما تقدم.

وبعدما اتّضح أن عبد الله بن سبأ كان مغالياً قد ادّعى الألوهية لأمير المؤمنين عليه السلام، فأُحرق بالنار وانتهى أمره.

بعد هذا كله نقول:

إن وجود عبد الله بن سبأ في تلك الفترة، سواء أكان يهوديّاً أم لم يكن، وسواء أكان له دور سيِّئ في أحداث الفتنة، أم لم يكن له أي دور، فإن ذلك لا يترتّب عليه أي أثر بالنسبة إلى مذهب الشيعة الإمامية، وذلك لأن المذهب لا يرتبط به لا من قريب ولا من بعيد، ومن زعم أن مذهب الإمامية من صنيعة ابن سبأ فهو مفتر كذاب

دجَّال، قد ارتكب موبقة عظيمة، ويحتاج إلى إقامة الدليل والبرهان على ذلك، وأنَّى له به، لأنه كطالب الماء من الصخرة الصمّاء، وكمبتغي السراب في الأرض الجرداء.

إلا أنا مع ذلك نستدل على براءة الشيعة الإمامية من ابن سبأ بأمور:

١ـ أنا لا نجد حديثاً واحداً مروياً عنه في كتب الإمامية، ولا قولاً له منقولاً فيها، ولا سيرة له مُتَّبعة، ولا فتوى له معمولاً بها، ولا شيئاً في المذهب يمت إليه بصلة، ولو كان مذهب الشيعة من صنيعة عبد الله بن سبأ لكانت آثاره في مذهبهم لائحة، وأخباره جليّة واضحة، ولكانت أقواله منقولة، وفتاواه مدوَّنة، وآراؤه في الفروع والأصول في كتبهم ومصنفاتهم مبثوثة، فإذا لم يكن شيء من ذلك فكيف تصح نسبة مذهبهم إليه؟

وأما ما نسبه خصوم الشيعة إلى ابن سبأ من عقائد الإمامية ككون عليّ عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه دابة الأرض، وكذا القول بالرجعة، فهو مكذوب مختلق عليه، من أجل أن تتم لهم هذه الفرية، وتلتئم به الكذبة، فإن ذلك كله ورد إما في روايات سيف بن عمر، وهي لا يعوَّل عليها، وإما في أقوال بعض علماء أهل السنة التي ليس لها مستنَد إلا أخبار سيف، فلا قيمة لها.

وأما أحاديث الكشي التي سبق ذكرها فأكثر ما دلّت عليه هو أن ابن سبأ كان يؤلِّه أمير المؤمنين عليه السلام، ومن الواضح أن مَن يؤلِّهه لا يعتقد فيه أنه دابة الأرض، أو أنه وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وسيأتي مزيد بيان للأسباب الداعية إلى نسبة هذه الأقوال إلى ابن سبأ فيما سيأتي من بحوث الكتاب بعون الله ومنّه.

ثم إن القول بالوصاية لأمير المؤمنين عليه السلام لم يختص به الشيعة الإمامية، بل كان جمع من الصحابة يقولون به، ودلَّ على ذلك الكثير المنقول من أقوالهم وأشعارهم التي سنذكرها في البحوث الآتية. وكذا القول بأن علياً عليه السلام هو دابة الأرض، وسيأتي بيان

ذلك كله في الفصل الرابع عشر إن شاء الله تعالى.

٢ـ أن الأحاديث السابقة المروية في بعض كتب الإمامية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام قد وردت بذمِّه ولعنه والبراءة منه، وإنك لا تجد طائفة من طوائف المسلمين تروي في كتبها ولو بأسانيد ضعيفة روايات تتضمن الطعن واللعن في من أسّس تلك الطائفة، فضلاً عن روايتها بأسانيد صحيحة.

٣ـ أن مَن اعتقد من علماء الإمامية أن ابن سبأ كان شخصية حقيقية، وأنه كان يؤلِّه أمير المؤمنين عليه السلام، نصّ على كفره وسوء حاله، وقد نقلنا فيما تقدم بعض أقوالهم فراجعها.

ثم إنك لا تجد واحداً من علماء الشيعة الإمامية قديماً وحديثاً دافع عن ابن سبأ أو برَّأ ساحته، أو أثنى عليه أو مدحه، أو نعته بما فيه كمال ورِفعة، ولو كان مذهب الشيعة الإمامية من صنيعته لما عدمتَ من يمدحه ويثني عليه، ويدافع عنه.

٤ـ أن مذهب الشيعة الإمامية مذهب متكامل في أصوله وعباداته ومعاملاته وأحكامه، وهي كلها منقولة بالنقل الصحيح عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهذه كتبهم الكلامية والحديثية تشهد بذلك، والناظر فيها يعلم علماً يقينياً أن شيئاً من تلك الأصول والفروع لم يؤخذ من عبد الله بن سبأ.

وأما ما رواه سيف بن عمر من أن ابن سبأ هو أول من قال بأن عليًّا عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه هو دابة الأرض، وأنه أفضل صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه أول من أحدث القول بالرجعة، فهذه كلها مع أنها منحولة على ابن سبأ كما مرَّ، فهي لا تعدو أن تكون أربع مسائل من آلاف المسائل في أصول مذهب الشيعة وفروعه.

وعليه كيف يصح أن يُنسب مذهب الشيعة الإمامية جميعه لرجل جهر بمسائل أربع هي في الأصل كانت موجودة قبل ذلك، وقامت عليها الأدلة الصحيحة كما سيأتي بيانه مفصّلاً في الفصل الرابع عشر، ولا يصح نسبة مذاهب أهل السنة إلى

اليهود، مع أنهم قد أخذوا كثيراً من المسائل الأصولية والفرعية من بعض اليهود ككعب الأحبار وغيره إما بالمباشرة أو بالواسطة كما سيأتي بيان بعضه إن شاء الله تعالى؟!

مِن كل ذلك نخلص إلى أن مذهب الشيعة الإمامية بريء من عبد الله بن سبأ، ولا علاقة له به، ولا شيء من أصوله و فروعه مأخوذ منه، بل إن الشيعة يتبرّؤون من عبد الله بن سبأ، ويلعنونه ويلعنون كل من يعتقد باعتقاداته، ويأخذ بمبادئه، ومن نسب إليهم غير ذلك فهو كاذب مفترٍ عليهم.

وما أحسن ما قاله محمد كرد علي في كتابه (خطط الشام)، فإنه قال:

أما ما ذهب إليه بعض الكتّاب من أن أصل مذهب التشيّع من بدعة عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء فهو وهم وقلة علم بحقيقة مذهبهم، ومن علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة وبراءتهم منه ومن أقواله وأعماله وكلام علمائهم في الطعن فيه بلا خلاف بينهم في ذلك، علم مبلغ هذا القول من الصواب[1].

---

(١) خطط الشام ٦/ ٢٤٦.

الفصل الثالث عشر

هل هناك تشابه
بين الرافضة واليهود؟

لقد تحامل ابن تيمية على الشيعة الإمامية تحاملاً شديداً، ووصفهم بأقذع الأوصاف، مستعيناً على ذلك بكل ما أوتي من حول وطاقة، فاختلق ما شاءت له قريحته من الأكاذيب الملفّقة والتهم المنمَّقة، واستعان على ذلك بنقل ما روي عن بعض أعلامهم وإن كان بأسانيد واهية، فذكر في كتابه (منهاج السنة) أوجه التشابه بين الروافض واليهود، وساق موارد كثيرة بعيدة عن الحق والإنصاف، فقال :

روى أبو حفص بن شاهين في كتاب اللطف في السنة، حدثنا محمد بن أبي القاسم بن هارون، حدثنا أحمد بن الوليد الواسطي، حدثني جعفر بن نصير الطوسي الواسطي، عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه، قال: قال الشعبي: أحذِّركم أهل هذه الأهواء المضلَّة، وشرُّها الرافضة، لم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة، ولكن مقتاً لأهل الإسلام، وبغياً عليهم، قد حرقهم علي رضي الله عنه، ونفاهم إلى البلدان، منهم عبد الله بن سبأ، يهودي من يهود صنعاء، نفاه إلى ساباط، وعبد الله بن يسار نفاه إلى خازر، وأيّد ذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود، قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في

آل داود. وقالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي. وقالت النصارى: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال، وينزل سيّد من السماء. وقالت الرافضة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي، وينادي مناد من السماء. واليهود يؤخّرون الصلاة إلى اشتباك النجوم، وكذلك الرافضة يؤخِّرون المغرب إلى اشتباك النجوم، والحديث عن النبي ﷺ أنه قال: (لا تزال أمتي على الفطرة ما لم يؤخِّروا المغرب إلى اشتباك النجوم). واليهود تزول عن القبلة شيئاً، وكذلك الرافضة، واليهود تنود في الصلاة، وكذلك الرافضة، واليهود تسدل أثوابها في الصلاة، وكذلك الرافضة، واليهود لا يرون على النساء عدة، وكذلك الرافضة، واليهود حرَّفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرَّفوا القرآن، واليهود قالوا: افترض الله علينا خمسين صلاة، وكذلك الرافضة، واليهود لا يخلصون السلام على المؤمنين، إنما يقولون: (السام عليكم)، والسام الموت، وكذلك الرافضة، واليهود لا يأكلون الجرّي والمرماهي والذناب، وكذلك الرافضة، واليهود لا يرون المسح على الخفين، وكذلك الرافضة، واليهود يستحلّون أموال الناس كلهم، وكذلك الرافضة، وقد أخبرنا الله عنهم بذلك في القرآن ﴿**قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ**﴾، واليهود تسجد على قرونها في الصلاة، وكذلك الرافضة، واليهود لا تسجد حتى تخفق برؤوسها مراراً تشبيهاً بالركوع، وكذلك الرافضة، واليهود ينقصون جبريل، ويقولون: هو عدوّنا من الملائكة. وكذلك الرافضة يقولون: غلط جبريل بالوحي على محمد ﷺ.

وكذلك الرافضة وافقوا النصارى في خصلة، النصارى ليس لنسائهم صداق، إنما يتمتعون بهن تمتعاً، وكذلك الرافضة، يتزوجون بالمتعة، ويستحلون المتعة.

وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين: سُئلت اليهود: مَن خير أهل ملّتكم؟ قالوا: أصحاب موسى. وسُئلت النصارى: مَن خير أهل ملّتكم؟ قالوا: حواري عيسى. وسُئلت الرافضة: من شرّ أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد ﷺ. أمروا بالاستغفار لهم فسبّوهم. فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم

راية، ولا يثبت لهم قدم، ولا مجتمع لهم، ولا تجاب لهم دعوة، دعوتهم مدحوضة، وكلمتهم مختلفة، وجمعهم متفرق، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله.

قلت ـ والقائل ابن تيمية ـ : هذا الكلام بعضه ثابت عن الشعبي، كقوله: (لو كانت الشيعة من البهائم لكانوا حُمُراً، ولو كانت من الطير لكانوا رخماً)، فإن هذا ثابت عنه[(١)].

قال ابن شاهين: حدثنا محمد بن العباس النحوي، حدثنا إبراهيم الحربي، حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا وكيع بن الجراح، حدثنا مالك بن مغول، فذكره. وأما السياق المذكور فهو معروف عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه عن الشعبي.

وروى أبو عاصم خشيش بن أصرم في كتابه، ورواه من طريقه أبو عمرو الطلمنكي في كتابه في الأصول، قال: حدثنا ابن جعفر الرقي، عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول، عن أبيه، قال: قلت لعامر الشعبي: ما ردّك عن هؤلاء القوم وقد كنت فيهم رأساً؟ قال: رأيتهم يأخذون بأعجاز لا صدور لها. ثم قال لي: يا مالك لو أردت أن يعطوني رقابهم عبيداً، أو يملؤوا لي بيتي ذهباً، أو يحجّوا إلى بيتي هذا، على أن أكذب على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لفعلوا، ولا والله لا أكذب عليه أبداً، يا مالك إني قد درست أهل الأهواء، فلم أرَ فيهم أحمق من الخشبية، فلو كانوا من الطير لكانوا رخماً، ولو كانوا من الدواب لكانوا حمراً، يا مالك لم يدخلوا في الإسلام رغبة فيه لله، ولا رهبة من الله، ولكن مقتاً من الله عليهم، وبغياً منهم على أهل الإسلام، يريدون أن يغمصوا

---

(١) هذا الذي قال ابن تيمية: (إنه ثابت عن الشعبي) لا قيمة له، ولا يكون مُلزِماً للشيعة، لأنه هذر من القول، وكلام لا فائدة فيه، ثم هو سباب، والسباب سهل يسير على كل أحد، والرد بأمثال ذلك أسهل ما يكون، فلقائل أن يردّ بما لا نرتضيه منه فيقول: إن أهل السنة لو كانوا من البهائم لكانوا خنازير يتخبّطون في المزابل، أو كلاباً مسعورة إن تحمل عليها تلهث، وإن تتركها تلهث، ولو كانوا من الطير لكانوا بُوماً، لا تكون دليلاً إلا على الخرائب، أو غرباناً لا تحط إلا على الجيَف.

دين الإسلام، كما غمص بولص بن يوشع ملك اليهود دين النصرانية، ولا تتجاوز صلاتهم آذانهم، قد حرقهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالنار، ونفاهم من البلاد، منهم عبد الله بن سبأ، يهودي من يهود صنعاء، نفاه إلى ساباط، وأبو بكر الكروس نفاه إلى الجابية، وحرق منهم قوماً، أتوه فقالوا: أنت هو. فقال: من أنا؟ فقالوا: أنت ربّنا. فأمر بنار فأجّجت، فأُلقوا فيها، وفيهم قال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

لما رأيتُ الأمرَ أمراً منكَرا أجَّجتُ ناري ودعوتُ قنبرا

يا مالك إن محنتهم محنة اليهود، قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل داود. وكذلك قالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي. وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يبعث الله المسيح الدجال، وينزل سيّد من السماء. وكذلك الرافضة قالوا: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضا من آل محمد، وينادي مناد من السماء: اتبعوه. وقالت اليهود: فرض الله علينا خمسين صلاة في كل يوم وليلة. وكذلك الرافضة، واليهود لا يصلّون المغرب حتى تشتبك النجوم، وقد جاء عن النبي ﷺ: (لا تزال أمتي على الإسلام ما لم تؤخِّر المغرب إلى اشتباك النجوم مضاهاة لليهود). وكذلك الرافضة، واليهود إذا صلّوا زالوا عن القبلة شيئاً، وكذلك الرافضة، واليهود تنود في صلاتها، وكذلك الرافضة، واليهود يُسدلون أثوابهم في الصلاة، وقد بلغني أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرَّ برجل سادل ثوبه فعطفه عليه، وكذلك الرافضة، واليهود حرَّفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرَّفوا القرآن، واليهود يسجدون في صلاة الفجر الكندرة، وكذلك الرافضة، واليهود لا يخلصون بالسلام، إنما يقولون: (سام عليكم)، وهو الموت، وكذلك الرافضة، واليهود عادَوا جبريل فقالوا: هو عدوّنا. وكذلك الرافضة قالوا: أخطأ جبريل بالوحي. واليهود يستحلون أموال الناس، وقد نبأنا الله عنهم أنهم قالوا ﴿**لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّنَ سَبِيلٌ**﴾، وكذلك الرافضة يستحلون مال كل مسلم، واليهود ليس لنسائهم صداق، وإنما يتمتّعون متعة، وكذلك الرافضة

يستحلّون المتعة، واليهود يستحلون دم كل مسلم، وكذلك الرافضة، واليهود يرون غش الناس، وكذلك الرافضة، واليهود لا يعدّون الطلاق شيئاً إلا عند كل حيضة، وكذلك الرافضة، واليهود لا يرون العزل عن السراري، وكذلك الرافضة، واليهود يحرّمون الجرّي والمرماهي، وكذلك الرافضة، واليهود حرَّموا الأرنب والطحال، وكذلك الرافضة، واليهود لا يرون المسح على الخفين، وكذلك الرافضة، واليهود لا يلحدون، وكذلك الرافضة، وقد ألحد لنبينا صلّى الله تعالى عليه وسلم، واليهود يُدخِلون مع موتاهم سعفة رطبة، وكذلك الرافضة.

ثم قال: يا مالك وفضلهم اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود: مَن خير أهل ملّتكم؟ قالوا: أصحاب موسى. وقيل للنصارى: مَن خير أهل ملّتكم؟ قالوا: حواري عيسى. وقيل للرافضة: مَن شر أهل ملّتكم؟ قالوا: حواري محمد. يعنون بذلك طلحة والزبير، أمروا بالاستغفار لهم فسبّوهم. فالسيف مسلول عليهم إلى يوم القيامة، ودعوتهم مدحوضة، ورايتهم مهزومة، وأمرهم متشتّت، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، ويسعون في الأرض فساداً، والله لا يحب المفسدين.

وقد روى أبو القاسم الطبري في شرح أصول السنة نحو هذا الكلام من حديث وهب بن بقية الواسطي، عن محمد بن حجم الباهلي، عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول. وهذا الأثر قد روي عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول من وجوه متعددة يصدق بعضها بعضاً، وبعضها يزيد على بعض، لكن عبد الرحمن بن مالك بن مغول ضعيف، وذم الشعبي لهم ثابت من طرق أخرى. لكن لفظ الرافضة إنما ظهر لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين في خلافة هشام، وقصة زيد بن علي بن الحسين كانت بعد العشرين والمائة، سنة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين ومائة، في آخر خلافة هشام[1].

---

(١) منهاج السنة النبوية ١/ ٦ ـ ٨.

الجواب على مزاعم ابن تيمية:

أما من جهة سند هذا الأثر فهو ضعيف بعبد الرحمن بن مالك بن مغول كما اعترف به ابن تيمية في آخر كلامه، وأبو بكر الخلال في كتاب السنة[١]، فإن عبد الرحمن بن مالك بن مغول قد اتفق العلماء على تضعيفه.

قال أبو علي صالح بن محمد: عبد الرحمن بن مالك بن مغول من أكذب الناس[٢].

وقال أبو زكريا: عبد الرحمن بن مالك بن مغول وقد رأيته ههنا، ليس هو بشيء[٣].

وقال يحيى بن معين: قد رأيته وليس بثقة[٤]. وقال عنه أيضاً: كذَّاب[٥].

وقال أبو زرعة: ليس بالقوي[٦].

وقال أحمد بن حنبل: مزَّقنا أحاديثه[٧]. وقال: خرف منذ دهر من الدهور[٨].

وقال محمد بن عمار الموصلي: كان عبد الرحمن بن مالك بن مغول كذّاباً أفَّاكاً لا يشك فيه أحد[٩].

وقال الجوزجاني: ضعيف الأمر جداً.

وقال أبو داود سليمان بن الأشعث: آية من الآيات كذَّاب.

---

(١) كتاب السنة ٣/ ٤٩٨، قال: إسناده لا يصح.

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ٣٤٠.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٣٦. كتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ١/ ٩٩.

(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٣٧. الضعفاء للعقيلي ٢/ ٣٤٥.

(٥) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٣٧.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق. الضعفاء للعقيلي ٢/ ٣٤٥.

(٨) الكامل في ضعفاء الرجال ٥/ ٤٧٠.

(٩) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٣٧. كتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ١/ ٩٩.

وقال عنه أيضاً: كان يضع الحديث.

وقال الدارقطني: متروك[١].

وقال البخاري : حديثه ليس بشيء[٢].

وقال ابن حبان في كتاب المجروحين: كان ممن يروي عن الثقات المقلوبات، وما لا أصل له عن الأثبات، تركه أحمد بن حنبل[٣].

وقال السعدي : ضعيف الأمر جداً[٤].

وقال النسائي : ليس بثقة[٥].

إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة، وفيما ذكرناه كفاية في الدلالة على ضعف هذا الرجل عند هؤلاء الأعلام.

وأما قول ابن تيمية: فهذا الأثر قد روي عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول من وجوه متعددة يصدق بعضها بعضاً.

فهو فاسد، لأن عبد الرحمن بن مالك كما قلنا ضعيف، ولا ينفع كثرة الطرق إليه مع ضعفه، فإن غاية ما يدل ذلك عليه هو أن عبد الرحمن بن مالك قال هذا الكلام، وأما صحّة روايته عن أبيه عن الشعبي فهي تحتاج إلى إثبات.

ثم مع التسليم بصحة هذا الأثر فهو ليس بحجة، ولا قيمة له، لأنه لم يُروَ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل لم يُروَ عن واحد من الصحابة، وإنما هو مروي عن الشعبي، وقوله لا يكون حجة لمعرفة الحق ولا دليلاً عليه، ولا سيما أنه اشتمل على مجازفات كثيرة وأوهام عديدة:

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٣٧.

(٢) التاريخ الكبير ٥/ ٣٤٩.

(٣) كتاب المجروحين ٢/ ٦١.

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال ٥/ ٤٧٠. كتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ١/ ٩٩.

(٥) كتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ١/ ٩٩. الكامل في ضعفاء الرجال ٥/ ٤٧٠.

منها: قوله ما ردّك على هؤلاء وقد كنت فيهم رأساً؟

وجوابه: أن الشعبي لم يكن من الشيعة فضلاً عن أن يكون رأساً فيهم، وهذا يعرفه كل من عرف الشعبي أو اطّلع على ترجمته وأحواله، فلم يَذكر واحد ممن ترجموه أنه كان شيعياً ثم تبدّل، بل ذكروا أنه كان رسول عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم[1]، وكان قاضياً لبني أمية، وأين هذا من كونه رأساً في الشيعة؟

وقوله: يا مالك لو أردت أن يعطوني رقابهم عبيداً، أو يملؤوا لي بيتي ذهباً، أو يحجّوا إلى بيتي هذا، على أن أكذب على علي رضي الله عنه لفعلوا، والله لا أكذب أبداً.

جوابه: أن هذا الكلام من سخف القول وتافهه، الذي لا يستحق الردّ عليه، فإن الشيعة لو أرادوا أمثال الشعبي لاختلاق الأحاديث لوجدوا المئات، بلا حاجة إلى أن يملك رقابهم كاذب، أو يحجّوا إلى بيت مفترٍ.

ثم إن الشيعة لم يروا أن فضائل أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كانت قليلة حتى يحتاجوا إلى كاذب مفترٍ يختلق إليه فضيلة، فإن فضائل أمير المؤمنين عليه السلام كنجوم السماء علوّاً وكثرة واشتهاراً، وما رواه أهل السنة في مصنفاتهم المعتبرة فيه الكفاية بل فوق الكفاية للدلالة على أفضليته على مَن عدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الأمة، وهذا معلوم واضح قد أثبته علماء المذهب في كتبهم ولا يحتاج إلى مزيد بيان.

وقد اعترف جمع من علماء أهل السنة بأن أمير المؤمنين عليه السلام أكثر صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضائل، وأنه لم يرِد لأحد من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الأحاديث الصحاح والحسان كما ورد لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

فقد أخرج الحاكم في المستدرك بسنده عن محمد بن منصور الطوسي قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضائل

---

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٢٣١.

ما جاء لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

وقال ابن حجر: تتبَّع النسائي ما خُصَّ به من دون الصحابة، فجمع من ذلك شيئاً كثيراً بأسانيد أكثرها جياد[٢].

وقال إسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر مما جاء في علي[٣].

وقال ابن عبد البر: وفضائله لا يحيط بها كتاب، وقد أكثر الناس من جمعها[٤].

وقال النووي: وأحوال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفضائله في كل شيء مشهورة غير منحصرة[٥].

وأخرج أحمد بسند صحيح عن ابن عمر ـ في حديث له ـ قال: ولقد أُوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال، لأنْ يكون لي واحدة منهن أحب إليَّ من حمر النعم: زوَّجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنته، وولدت له ، وسدَّ الأبواب إلا بابه في المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر[٦].

وأخرج الطبراني في معجمه الأوسط عن ابن عباس، قال: كانت لعلي ثماني عشرة منقبة ما كانت لأحد من هذه الأمّة[٧].

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٠٧. الصواعق المحرقة، ص ١٤٨. تاريخ الإسلام ٣/ ٦٣٨. تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٣٣. الإصابة ٤/ ٤٦٤. الاستيعاب ٣/ ١١١٥.

(٢) الإصابة ٤/ ٤٦٥.

(٣) فتح الباري ٧/ ٧١. الصواعق المحرقة، ص ١٤٨. تحفة الأحوذي ١٠/ ١٤٤.

(٤) الاستيعاب ٣/ ١١١٥.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٤٨.

(٦) مسند أحمد ٢/ ٢٦. مجمع الزوائد ٩/ ١٢٠، قال: رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح. المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ٣٧٢. قال المباركفوري في تحفة الأحوذي ١٠/ ١٣٩: إسناده حسن.

قلت: وهذا الحديث قد صحّحه السيوطي أيضاً في تاريخ الخلفاء، ص ١٣٧.

(٧) المعجم الأوسط ٨/ ٢١٢. مجمع الزوائد ٩/ ١٢٠.

وأخرج مسلم في صحيحه، والترمذي في سننه عن سعد بن أبي وقاص، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أمَّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليَّ من حمر النعم. سمعت رسول الله ﷺ يقول له، خلَّفه في بعض مغازيه، فقال له عليّ: خلّفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوة بعدي. وسمعته يقول يوم خيبر: لأُعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله. قال: فتطاولنا لها، فقال: ادعوا لي علياً. فأُتي به أرمد، فبصق في عينه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه. ولمَّا نزلت هذه الآية ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ**﴾[1] دعا رسول الله ﷺ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللهم هؤلاء أهلي[2].

وأخرج الحاكم عن عمر بن الخطاب قال: لقد أُعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال، لأنْ تكون لي خصلة منها أحب إليَّ من أن أعطى حمر النعم. قيل: وما هنَّ يا أمير المؤمنين؟ قال: تزوجه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وسكناه المسجد مع رسول الله ﷺ، يحل له فيه ما يحل له، والراية يوم خيبر[3].

وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال : لعلي أربع خصال ليست لأحد: هو أول عربي وأعجمي صلى مع رسول الله ﷺ، وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف، والذي صبر معه يوم المهراس[4]، وهو الذي غسَّله وأدخله قبره[5].

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال: ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦١.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٨٧١. سنن الترمذي ٥/ ٦٣٨.

(٣) المستدرك ٣/ ١٢٥.

(٤) يوم المهراس هو يوم أُحد، جاء فيه علي عليه السلام بماء المهراس. والمهراس: صخرة منقورة تسع كثيراً من الماء.

(٥) المستدرك ٣/ ١١١. الاستيعاب ٣/ ١٠٩٠. ترجمة الإمام عليه السلام من تاريخ دمشق ١/ ١٦١.

نزل في علي. قال: نزلت في علي ثلاثمائة آية[١].

فمن كانت هذه مناقبه لا يحتاج أتباعه وأولياؤه لاختلاق فضيلة له، أو انتحال منقبة له، وإنما يحتاج غيرهم لاختلاق الفضائل لأشياخهم وأئمتهم، وحسبك دليلاً على ذلك أن الشيعة احتجّوا على مخالفيهم لإثبات أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام بما رواه خصومهم من أحاديث الفضائل، بينما لا تجد غيرهم يحتج لأفضلية غيره إلا بما سطروه هم في كتبهم من الأحاديث الموضوعة التي تدل بركاكتها على أنها ليست من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومناقبٍ شَهِدَ العَدُوُّ بفضلِها والفضلُ ما شهدتْ به الأعداءُ

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وأما قوله: لم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة، ولكن مقتاً لأهل الإسلام، وبغياً عليهم، قد حرقهم علي رضي الله عنه بالنار، ونفاهم إلى البلدان، منهم عبد الله بن سبأ، يهودي من يهود صنعاء، نفاه إلى ساباط، وعبد الله بن يسار نفاه إلى خازر.

فجوابه: أنه إن كان المراد بمن سمّاهم رافضة فئة خاصة من الفِرَق، وهم أتباع عبد الله بن سبأ، فهؤلاء ليسوا بشيعة ولا روافض، والشيعة منهم برآء، ولا كلام لنا في الدفاع عنهم أو تبرئتهم.

وإن كان المراد بهم الشيعة الإمامية الاثني عشرية فهؤلاء لم يحرّقهم أمير المؤمنين عليه السلام، ولم ينفهم في البلدان، لأنهم أتباعه عليه السلام وأنصاره وأولياؤه.

وأما أنهم لم يدخلوا في الإسلام رغبة ولكن مقتاً لأهل الإسلام، فهذا باطل معلوم البطلان، لأنه لا يعلم بخفايا النفوس ولا خبايا القلوب إلا علاّم الغيوب، وقد

(١) تاريخ الخلفاء، ص ١٣٦.

نهى الله سبحانه عن اتهام الداخلين في الإسلام بأنهم ليسوا بمؤمنين، فقال عز من قائل ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[(١)].

فكيف بمن وُلدوا على فطرة الإسلام، هل يجوز اتهامهم بذلك؟

ألم يقرؤوا القرآن، أم على قلوب أقفالها؟!

وقوله: قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل داود. وكذلك قالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي.

جوابه: أن قول الشيعة: (لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي) دلَّت عليه الأدلة الثابتة، والأحاديث الصحيحة المروية عن النبي ﷺ، وقد أوضحوا ذلك في كتبهم بما لا مزيد عليه.

وحصر الإمامة في ولد علي خير من جعلها نهبة للمنافقين وطعمة للمتغلبين على الأمة بغير حق كما عليه مذاهب أهل السنة.

ثم إن هذا لا يعد تشابهاً بين الشيعة واليهود، لأن الشيعة لم يحصروا الملك في آل داود، بل حصروه في غيرهم، وهذه مخالفة لهم واضحة، وإلا لكان المسلمون يشابهون اليهود في كثير من الأمور التي لا يمكن التفصّي منها، فإن اليهود ـ مثلاً ـ قالوا بأن موسى خاتم الأنبياء، والمسلمون قالوا بأن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء. واليهود يعتقدون بأن التوراة منزلة من الله سالمة من التحريف، والمسلمون يعتقدون في القرآن مثل ذلك... ونظائر هذه الأمور كثيرة لا تحصى.

---

(١) سورة النساء، الآية ٩٤.

وقوله: وقالت النصارى: لا جهاد في سبيل الله حتى يبعث الله المسيح الدجال، وينزل سيّد من السماء. وكذلك الرافضة قالوا: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضا من آل محمد، وينادي مناد من السماء: اتبعوه.

جوابه: أن ما ذكره فيه مخالفة جليّة بين ما عليه النصارى وما عليه الشيعة وليس فيه موافقة لهم، وهو واضح.

والذي عليه الشيعة الإمامية أن جهاد الدفاع عن بيضة الإسلام لا يشترط في وجوبه أمر الإمام المعصوم، بل يجب على المسلمين كافة وإن كان الإمام المعصوم غائباً مستتراً. وأما جهاد الفتح وتوسيع الرقعة الإسلامية فيجب أن يكون بأمر المعصوم وتحت رايته أو راية نائبه الخاص.

وعليه فأي جهاد هذا الذي يدّعي أن الشيعة لا توجبه إلا مع الإمام المنتظر: هل هو الأول أو الثاني؟

وهل هناك غضاضة على الشيعة في ترك (الجهاد) مع سلاطين الجور الذين لا يحاربون لله والإسلام، وإنما يحاربون لتوطيد سلطانهم وتوسعة ملكهم؟ أم أن (الجهاد) مع سلاطين الجور صار فضيلة يتشدق بها أهل السنة؟

ثم إنا لم نرَ أهل السنة قد جاهدوا أعداء الدين من اليهود والنصارى، بل نراهم اليوم أذل من وتد، وهاهم اليهود والنصارى يعبثون بمقدرات المسلمين وأهل السنة ساكتون، فهم على كثرتهم غثاء كغثاء السيل، فأين ذهب جهادهم (المبارك)؟

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقوله: واليهود لا يرون على النساء عدّة، وكذلك الرافضة.

جوابه: أن هذا من مفترياته الواضحة التي لا تخفى على أحد.

كيف لا يرى الرافضة للنساء عدّة وقد نطق بها القرآن الكريم، فقال عز من قائل ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾[(١)].

وقال ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۞ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ للهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾[(٢)].

وقال ﴿وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنْ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاَثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[(٣)].

بل إن وجوب العدة على المطلَّقات من النساء مما اتفق عليه المسلمون كافّة، وإنما اختلفوا في التفاصيل.

قال ابن قدامة في المغني: وأجمعت الأمة على وجوب العدة في الجملة، وإنما اختلفوا في أنواع منها، وأجمعوا على أن المطلقة قبل المسيس لا عدة عليها، لقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾، ولأن العدة تجب لبراءة الرحم وقد تيقَّنَّاها ههنا، وهكذا كل فرقة في الحياة كالفسخ لرضاع أو عيب أو عتق أو لعان أو اختلاف دين[(٤)].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٢٨.

(٢) سورة الطلاق، الآية ١، ٢.

(٣) سورة الطلاق، الآية ٤.

(٤) المغني لابن قدامة ٩/ ٧٧.

قلت: فإذا كانت العدّة لاستبراء الرحم فلا عدّة على الصغيرة غير البالغة، وكذا لا عدّة على اليائسة، وهذا هو ظاهر قوله تعالى ﴿**وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاَثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ**﴾، فإن اليائسة لا عدة لها إلا في حال الارتياب والشك في يأسها أو حملها، فحينئذ تكون عدّتها ثلاثة أشهر، وكذا التي لم تر حيضاً، فلا عدة لها إلا مع الشك في مجيء الحيض لها، أو في حال الشك في حملها، فإن الحمل وعدمه يستبين بعد ثلاثة أشهر.

وأما المرأة المتوفى عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشرة أيام قولاً واحداً، بنص قوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُر وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾(١).

وبإطلاق الآية يجب التربص أربعة أشهر وعشرة أيام على زوجة المتوفى، سواء كانت مدخولاً بها أم لا، وسواء كانت صغيرة أم يائسة أم لا، وسواء كانت حاملاً أم لا.

ومما تقدم يتضح أن الشيعة يقولون بوجوب العدة على المرأة إذا رأت الحيض، أو كانت يائسة أو لم ترَ الحيض ولكن حصل الشك في حملها، فعدة طلاق هذه الفئات الثلاث: ثلاثة أشهر. وأما المتوفَّى عنها زوجها فعدّتها أربعة أشهر وعشرة أيام مطلقاً، وأما اليائسة والصغيرة وغير المدخول بها فلا عدة عليهن من الطلاق فقط.

وبذلك يتضح أن ما قاله من أن الشيعة لا يرون على النساء عدّة كذب فاضح وافتراء واضح.

(١) سورة البقرة، الآية ٢٣٤.

وقوله: وقالت اليهود: فرض الله علينا خمسين صلاة في كل يوم وليلة. وكذلك الرافضة.

جوابه: أن الشيعة لم يقولوا: (إن الله فرض علينا خمسين صلاة)، بل هي خمس صلوات معروفة، وهذا معلوم من كتبهم، ومن قال عليهم غير ذلك فهو مفترٍ لا يستحيي ولا يخجل.

نعم إن مجموع ركعات الفرائض والنوافل في اليوم والليلة عند الشيعة إحدى وخمسون ركعة. فإن أراد ذلك فلا أدري لمَ جعل الركعة صلاة؟ ولم جعل النافلة فريضة؟

لا أجد سبباً لذلك إلا الإمعان في الافتراء والكيد للشيعة، وهذا ليس بغريب منهم، فهو دأبهم وديدنهم.

ولا أدري لمَ زعم أن الله قد فرض على اليهود خمسين صلاة، مع أن أحاديثهم تدل على أن الله فرض على اليهود صلاتين فقط، أو دون الخَمس.

ومن تلكم الأحاديث حديث المعراج ولقاء موسى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم المروي في سنن النسائي، وأخرجه ابن كثير في تفسيره، بسنده عن مالك بن أنس في حديث طويل، قال صلى الله عليه وسلم: ثم أتيت موسى فأمرني بالرجوع، فرجعت فخفَّف عني عشراً، ثم رُدَّت إلى خمس صلوات، قال: فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإنه فرض على بني إسرائيل صلاتين فما قاموا بهما... الحديث[1].

وفي أحاديث أخر إشارة إلى أن ما فرضه الله على بني إسرائيل أقل من خمس صلوات من دون نصّ على الاثنتين، ففي حديث الإسراء والمعراج في صحيح البخاري وغيره بعد أن راجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربَّه ليخفّف على الأمة ما فرضه عليها من الصلوات، وبعد أن رُدَّت الصلوات الخمسون إلى خمس صلوات، قال موسى

(١) سنن للنسائي ١/ ٢٤٢. تفسير القرآن العظيم ٣/ ٦.

عَلَيْهِ السَّلَامُ: قد والله راودتُ بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه، ارجع إلى ربك فليخفّف عنك أيضاً. قال رسول الله ﷺ: يا موسى قد والله استحييتُ من ربي مما اختلفتُ إليه[١].

قال ابن حجر في فتح الباري: وأما قوله (أدنى) فالمراد به أقل، وقد وقع في رواية يزيد بن أبي مالك عن أنس في تفسير ابن مردويه تعيين ذلك، ولفظه: (فُرض على بني إسرائيل صلاتان فما قاموا بهما)[٢].

والحاصل أن ما نسبه إلى كل من الشيعة واليهود من أنهم يقولون إن الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة كله كذب وافتراء.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقوله: واليهود لا يصلّون المغرب حتى تشتبك النجوم، وقد جاء عن النبي ﷺ: لا تزال أمتي على الإسلام ما لم يؤخّروا المغرب إلى اشتباك النجوم مضاهاة لليهود.

قال في عون المعبود في شرح الحديث: (إلى أن تشتبك النجوم) قال ابن الأثير: أي تظهر جميعاً، ويختلط بعضها ببعض لكثرة ما ظهر منها، وهو كناية عن الظلام. والحديث يدل على استحباب المبادرة بصلاة المغرب، وكراهة تأخيرها إلى اشتباك النجوم، وقد عكست الروافض القضية، فجعلت تأخير المغرب إلى اشتباك النجوم مستحباً، والحديث يردّه. وأما الأحاديث الواردة في تأخير المغرب إلى قرب سقوط

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٢٣٤٦. مسند أبي عوانة ١/ ١٣٧. السنن الكبرى للبيهقي ١/ ٣٦٠. تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣. تفسير الطبري ١٥/ ٤. اعتقاد أهل السنة للالكائي ٤/ ٧٧٠. الإيمان لابن منده ٢/ ٧١٦، ٧١٧، ٧١٩.

(٢) فتح الباري ١٣/ ٤١٦.

الشفق فكانت لبيان جواز التأخير[١].

وجوابه: أن الشيعة لم يعكسوا الأمر، وهم لا يرون وجوب تأخير المغرب إلى اشتباك النجوم، بل يرون أن وقت صلاة المغرب يبدأ من سقوط قرص الشمس أو من ذهاب الحمرة المشرقية على الخلاف بينهم، ويستحب التعجيل بها وبغيرها من الصلوات بعد دخول وقتها، ويقل الثواب عند تأخيرها.

هذا وقد اختلف علماء أهل السنة أنفسهم في جواز تأخير صلاة المغرب إلى ذهاب الشفق، والمشهور ذهب إلى الجواز.

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي: قد اختلف السلف في صلاة المغرب، هل هي ذات وقت أو وقتين؟ فقال الشافعي وابن المبارك: إنه ليس لها إلا وقت واحد، وهو أول الوقت. وقال الأكثرون: هي ذات وقتين، أول الوقت هو غروب الشمس، وآخره ذهاب الشفق الأحمر.

تمسّك الشافعي وابن المبارك بحديث جبريل، فإن فيه: (ثم صلى المغرب لوقته الأول). وتمسّك الأكثرون بحديث عبد الله بن عمرو، فإن فيه: (وقت صلاة المغرب ما لم يسقط ثور[٢] الشفق). رواه مسلم وغيره. وبحديث أبي موسى، فإن فيه: (ثم أخَّر المغرب حتى كان عند سقوط الشفق). رواه مسلم وغيره. وقول الأكثرين هو الحق[٣].

أقول: وعليه، فإذا صلى المصلي المغرب في آخر وقتها ـ أي قبل ذهاب الشفق ـ فقد صلاها عند اشتباك النجوم، فإن كان المراد بيان جواز التأخير إلى اشتباك النجوم لا رجحانه فالرافضة وأهل السنة في هذا الأمر سيّان.

والعجب من أهل السنة أنهم يعيبون على الشيعة تأخير المغرب إلى ذهاب

---

(١) عون المعبود ٢/ ٨٧.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٢٩: ثور الشفق أي انتشاره وثوران حمرته، من ثار الشيء يثور إذا انتشر وارتفع.

(٣) تحفة الأحوذي ١/ ٤٢٨.

الحمرة المشرقية، ويزعمون أن الشيعة تؤخّرها إلى اشتباك النجوم، ثم هم أنفسهم يجوِّزون تأخيرها إلى ذهاب الحمرة المغربية الذي يكون بعد ذهاب الحمرة المشرقية بما لا يقل عن نصف ساعة.

قال ابن خزيمة: إن اشتباك النجوم يكون قبل غيبوبة الشفق بوقت طويل، يمكن أن يصلّي بعد اشتباك النجوم قبل غيبوبة الشفق ركعات كثيرة، أكثر من أربع ركعات[١].

ثم إن لفظة: (مضاهاة لليهود) لم ترد في أكثر الأحاديث الناهية عن تأخير المغرب إلى اشتباك النجوم، فراجع سنن أبي داود، وسنن ابن ماجة، وسنن الدارمي ، والسنن الكبرى للبيهقي، وصحيح ابن خزيمة، والأحاديث المختارة، ومسند أحمد، ومستدرك الحاكم وغيرها من مصادر الحديث[٢]، تجدها كلها خالية عن هذه اللفظة، ولعل ذلك لأجل أن اليهود لا يصلّون المغرب أصلاً، لا أنهم يؤخّرونها إلى اشتباك النجوم، والله العالم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقوله: واليهود إذا صلوا زالوا عن القبلة شيئاً، وكذلك الرافضة.

جوابه: أن الواجب عند الشيعة في الصلاة هو التوجه إلى القبلة، ولا يجوز

---

(١) صحيح ابن خزيمة ١/ ١٧٥.

(٢) سنن أبي داود ١/ ١١٣. سنن ابن ماجة ١/ ٢٢٥. السنن الكبرى للبيهقي ١/ ٣٧٠، ٤٤٨. سنن الدارمي١/ ٢٩٢. المستدرك ١/ ١٩٠ صحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبي. مجمع الزوائد ١/ ٣١٠. الأحاديث المختارة ٨/ ٣٨٣. صحيح ابن خزيمة ١/ ١٧٤، ١٧٥. الفوائد لتمام الرازي ١/ ٢١٩. مسند أحمد ٣/ ٤٤٩، ٤/ ١٤٧، ٥/ ٤٢٢. المعجم الصغير ١/ ٥٨. المعجم الأوسط ٢/ ٢١٤. إرواء الغليل ٤/ ٣٣ قال الألباني: أخرجه أبو داود والحاكم وأحمد بسند جيد. وصحَّحه في صحيح سنن أبي داود ١/ ٨٤، وحسَّنه في تعليقه على مشكاة المصابيح ١/ ١٩٣.

الانحراف عنها قيد أنملة.

هذا ما نصَّ عليه علماء الشيعة في مصنَّفاتهم، وهو معلوم بالضرورة من مذهبهم، فلا نحتاج معه إلى إطالة الكلام.

نعم، ما ورد في بعض الأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام من استحباب التياسر في العراق فهو ليس ميلاً عن القبلة، بل هو ميل إليها.

ولما أشكل الخواجة نصير الدين الطوسي على المحقق الحلي بأنه إن كان التياسر من القبلة إلى غيرها، فهو غير جائز لا أنه مستحب، وإن كان من غير القبلة إلى القبلة فهو واجب. فأجاب المحقق قدس سره بأن التياسر من القبلة إلى القبلة.

وبسط في هذه المسألة يخرجنا عن موضوع هذا الكتاب، فمن أراده فليطلبه من مظانه.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقوله: واليهود تنود[1] في صلاتها، وكذلك الرافضة.

جوابه: أن هذه فرية واضحة، فإن الشيعة لم يقولوا باستحباب التمايل في الصلاة أو وجوبه، فما قاله كذب محض يعلمه كل أحد، وإننا لم نلحظ ذلك في الشيعة البتة، لا في الصلاة ولا في غيرها، بل رأينا المقرئين من أهل السنة يقرؤون القرآن وهم يتمايلون وينودون، وكأنما جعلوه من ملازمات أو مستحبات قراءة القرآن، فلا تكاد تجد مقرئاً لا ينود، مع أنهم قد رووا عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: لا تكونوا مثلَ اليهود إذا نَشَروا التَّوراة نَادُوا[2].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) يقال: (نادَ ينود) إذا حرَّك رأسه وأكتافه، وناد من النُّعاس نَوْداً إذا تَمايَل .

(٢) النهاية في غريب الحديث ٥/ ١٢٤.

وقوله: واليهود تسجد على قرونها في الصلاة، وكذلك الرافضة.

جوابه: أن الشيعة توجب في السجود وضع الأعضاء السبعة: الجبهة، والكفين، والركبتين، وإبهامي القدمين. ومن لم يسجد عليها أجمع فسجوده باطل، وبذلك صرّح الأعلام في كتبهم المشهورة.

قال المحقق الحلي في شرائع الإسلام: وواجبات السجود ستة: **الأول**: السجود على سبعة أعضاء: الجبهة، والكفَّان، والركبتان وإبهاما الرجلين. **الثاني**: وضع الجبهة على ما يصح السجود عليه...[1].

قال العلامة الحلي: السجود واجب بالنص والإجماع... ويجب على الأعضاء السبعة في كل سجدة: الجبهة والكفّان والركبتان وإبهاما الرجلين عند علمائنا أجمع...[2].

وقال الشيخ الطوسي في كتابه النهاية: فإذا سجدت بسطت كفيك مضمومتي الأصابع بين يدي ركبتيك حيال وجهك، ويكون سجودك على سبعة أعظم: الجبهة والكفين والركبتين وإبهامي أصابع الرجلين فريضة[3].

وقال العلامة الحلي: لو أخل بالسبعة أو بأحدها عمداً بطلت صلاته، وناسياً لا يعيد لعدم وجوبه حينئذ[4].

ولو لم يتمكن من السجود على جبهته سجد على أحد جانبيه، ولو لم يتمكن من ذلك سجد على ذقنه.

قال الشيخ الطوسي: وموضع السجود من قصاص شعر الرأس إلى الجبهة، أي

---

(١) شرائع الإسلام ١/ ٨٦.

(٢) تذكرة الفقهاء ١/ ١٢٠ ط حجرية.

(٣) النهاية، ص ٧١.

(٤) تذكرة الفقهاء ٣/ ١٨٦. ط حجرية ١/ ١٢٠.

شيء وقع منه على الأرض فقد أجزأه، فإن كان في جبهته دُمَّل أو جراح لم يتمكن من السجود عليه فلا بأس أن يسجد على أحد جانبيه، فإن لم يتمكن سجد على ذقنه وقد أجزأه ذلك[١].

وقال العلامة الحلي: قد بيَّنّا وجوب وضع الجبهة على الأرض، فإن كان عليها دمل حَفَرَ حفيرة ليقع الدمل فيها، والصحيح على الأرض، لأن مصادفاً قال: خرج بي دمل فكنت أسجد على جانب، فرآني الصادق عليه السلام فقال: ما هذا؟ فقلت: لا أستطيع أن أسجد لمكان الدمل. فقال: احفر حفيرة واجعل الدمل في الحفيرة حتى تقع جبهتك على الأرض[٢].

قال: فإن كانت مستوعبة سجد على أحد الجبينين، لأنه أشبه بالسجود على الجبهة من الإيماء، والإيماء سجود مع تعذر الجبهة فالجبين أولى. فإن تعذر سجد على ذقنه وهو مجتمع اللحيين، لقوله تعالى ﴿**يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا**﴾[٣]، وإذا صدق عليه اسم السجود وجب أن يكون مجزئاً، وقد سُئل الصادق عليه السلام عمن بجبهته علَّة لا يقدر على السجود عليها، فقال: يضع ذقنه على الأرض، إن الله سبحانه يقول ﴿**يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا**﴾، قال: فإن تعذَّر أومأ[٤].

وأما السجود على القرون ـ أي الرؤوس ـ بدلاً عن الجبهة فهو لا يجوز عند علمائنا أجمع.

قال العلامة الحلي: لو سجد على خده أو رأسه لم يجزئه، وبه قال الشافعي[٥].

هذه هي فتاوى علماء الشيعة الإمامية، وهي تنصّ بما لا يقبل الشك على أن

(١) النهاية، ص ٨٢.

(٢) الكافي ٣/ ٣٣٣. التهذيب ٢/ ٨٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية ١٠٧.

(٤) تذكرة الفقهاء ٣/ ٢٠٤. ط حجرية ١/ ١٢٢.

(٥) تذكرة الفقهاء ٣/ ١٨٨. ط حجرية ١/ ١٢١.

السجود لا يصح إلا على الجبهة، وأما السجود على القرون فهو غير جائز حتى في حال عدم التمكن من السجود على الجبهة.

والغريب فيما يرتبط بأعضاء السجود ما أفتى به أبو حنيفة، فإنه جوَّز السجود على الأنف بدلاً عن الجبهة، وأن ذلك يجزئ عن السجود عليها اختياراً[(١)].

قال ابن قدامة في المغني: ورُوي عن أبي حنيفة أنه إن سجد على أنفه دون جبهته أجزأه.

قال ابن المنذر: لا أعلم أحداً سبقه إلى هذا القول، ولعله ذهب إلى أن الجبهة والأنف عضو واحد، لأن النبي ﷺ لما ذكر الجبهة أشار إلى أنفه، والعضو الواحد يجزئه السجود على بعضه. وهذا قول يخالف الحديث الصحيح والإجماع الذي قبله، فلا يصح[(٢)].

فإذا كانت عندهم مثل هذه الفتاوى العجيبة فليس مستغرباً لتغطية بعض معايبهم كيل الافتراءات على من عافاه الله بالهداية.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقوله: واليهود لا تسجد حتى تخفق برؤوسها مراراً تشبيهاً بالركوع، وكذلك الرافضة.

جوابه: أن ما قاله فرية بلا مرية، ولم يقل أحد من علماء الشيعة قديماً وحديثاً باستحباب أو وجوب ما ذكره، ولا أدري من أين جاء به؟ لعله من جراب النورة،

---

(١) راجع تحفة الأحوذي ٢/ ١٢٥. المبسوط للسرخسي ١/ ٣٤. عمدة القارئ ٦/ ٩٠. المجموع ٣/ ٤٢٤. فتح العزيز ٣/ ٤٥١. فتح الباري ٢/ ٢٣٦. إرشاد الساري ٢/ ١٢٠. المغني ١/ ٥٩٢. بداية المجتهد ١/ ١٣٨، ط حلبي ١/ ١٩٩. سبل السلام ١/ ٣٧٠. نيل الأوطار ٢/ ٢٥٨. الشرح الكبير على متن المقنع ١/ ٥٩٢ (بحاشية المغني لابن قدامة).

(٢) المغني ١/ ٥٩٢.

وكم في جراب النورة من عجائب وغرائب، أعاذنا الله منها ومن أصحابها.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقوله: واليهود يُسدلون أثوابهم في الصلاة، وقد بلغني أن رسول الله ﷺ مرَّ برجل سادل ثوبه فعطفه عليه.

جوابه: أن إسدال الثوب[1] إن كان لستر العورة فهو واجب في الصلاة، وإن كان كبرياءً أو لغاية مذمومة كما هو المراد في الحديث الذي ذكره فالشيعة برآء من هذه الفرية.

هذا مع أنهم رووا عن أعلامهم أنهم لا يرون بأساً بإسدال الثوب في الصلاة، بل كانوا هم أنفسهم يُسدلون ثيابهم في صلواتهم، وقد خصَّص ابن أبي شيبة في مصنَّفه باباً لمن رخّص في السدل، فقال:

حدثنا أبو بكر قال: حدثنا ابن إدريس عن عبد الملك عن عطاء أنه لم يكن يرى بالسدل بأساً.

حدثنا ابن علية عن ابن جريج قال: أكثر ما رأيت عطاء يسدل.

حدثنا ابن علية عن ابن أبي عروبة عن أبي معشر عن إبراهيم أنه كان لا يرى به بأساً إذا كان عليه قميص.

حدثنا وكيع قال: حدثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن محارب قال: رأيت ابن عمر يسدل في الصلاة.

حدثنا وكيع قال: حدثنا أبو شهاب موسى بن ثابت قال: رأيت سعيد بن جبير

---

(١) قال النووي في المجموع شرح المهذب ٣/ ١٧٦: سَدَل بالفتح يســُدِل بضم الدال وكسرها. قال أهل اللغة: هو أن يرسل الثوب حتى يصيب الأرض.

وفي متن المهذب عرَّفه بأنه إلقاء طرفي الرداء من الجانبين.

يُسدل في التطوع وعليه مستقة مكففة.

حدثنا وكيع قال: حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن الأسود أنه كان يُسدل في الصلاة.

حدثنا سهل بن يوسف عن حميد قال: رأيت الحسن ما لا أحصي في الصلاة يُسدل وأنا أرى ظهره.

حدثنا وكيع قال: حدثنا يزيد بن إبراهيم عن الحسن قال: لا بأس بالسدل في الصلاة.

حدثنا معاذ قال: حدثنا ابن عون قال: رأيت محمداً يصلي وقد سدل ثوبه، فلا أدري على الإزار كان أو على القميص.

حدثنا عبدة عن ابن أبي عروبة قال: رأيت ابن سيرين يُسدل في الصلاة.

حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي قال: رأيت مكحولاً يسدل طيلسانه عليه في الصلاة.

حدثنا سهل بن يوسف عن شعبة عن الحكم أنه كان لا يرى به بأساً.

حدثنا وكيع عن مهدي بن ميمون قال: رأيت الحسن يُسدل على القباء[١].

وقال مالك بن أنس: لا بأس بالسدل في الصلاة، وإن لم يكن عليه قميص إلا إزار ورداء فلا أرى بأساً أن يُسدل. قال مالك: ورأيت بعض أهل الفضل يفعل ذلك. قال مالك: ورأيت عبد الله بن الحسن يفعل ذلك[٢].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) المصنف لابن أبي شيبة ٢/ ٦٣ ـ ٦٤.

(٢) المدونة الكبرى ١/ ١٩٧.

وقوله: واليهود يسجدون في صلاة الفجر الكندرة[١]، وكذلك الرافضة.

جوابه: هذه عبارة لا معنى لها، ولعل مراده أن اليهود يسجدون على الكُنْدُرة وهو ما غلظ وارتفع من الأرض، فإن كان هذا مراده فالشيعة لا يجب السجود عندهم على ذلك، بل يجب السجود على مطلق وجه الأرض، ولا خصوصية لما ارتفع منها، فأين المشابهة مع اليهود؟

ولعله يريد بذلك سجود الشيعة على خصوص التربة الحسينية، وهي ليست بمرتفع من الأرض، بل هي جزء من الأرض، يصح السجود عليه كما يصح السجود على غيره على الأقل، ولا خصوصية لصلاة الفجر في استحباب السجود على التربة الحسينية، بل يستحب ذلك في كل الصلوات، بل ذهب الشيعة الإمامية إلى أن أفضل ما يُسجد عليه في الصلاة هو التربة الحسينية، وليس هذا محل إثبات ذلك، فمن شاء فليرجع إلى ما كتبه علماؤنا الأعلام في هذه المسألة.

وكيف كان فلا ريب في أن اليهود لا يرون استحباب السجود على التربة الحسينية، فلا أدري حينئذ ما هو وجه المشابهة؟

ومن العجيب أنهم في الوقت الذي عابوا فيه على الشيعة السجود على التربة الحسينية وهي جزء طاهر من الأرض، إن لم يكن لها فضل فلا أقل هي كغيرها مما يصح السجود عليه، فإنهم جوَّزوا السجود على رِجل أو ظهر المصلي الذي أمامه عند الزحام.

قال ابن حزم في المحلى: ومن زوحم يوم الجمعة أو غيرها فلم يقدر على السجود على ما بين يديه فليسجد على رِجْل مَن يصلي بين يديه أو على ظهره، ويجزئه، وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأبي سليمان وغيرهم.

وردَّ ابن حزم على مالك الذي منع من ذلك، فقال: أمرنا الله تعالى بالسجود،

---

(١) الكُنْدُرة من الأَرض: ما غَلُظ وارتفع.

ولم يخص شيئاً نسجد عليه من شيء، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

ثم ساق أثَراً أسنده إلى عمر بن الخطاب قال: إذا اشتد الحر فليسجد أحدكم على ثوبه، وإذا اشتد الزحام فليسجد على ظهر رجل.

وقال: وروينا عن الحسن البصري وعن طاووس: إذا كثر الزحام فاسجد على ظهر أخيك. وعن مجاهد: اسجد على رِجل أخيك. ولا يُعرف في هذا لعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الصحابة رضي الله عنهم مخالف[١].

قلت: لا أدري ماذا تصنع المرأة إذا كان أمامها رجل، هل تختار السجود على رِجْله، أم السجود على ظهره؟ ما هو الأكثر ثواباً والأدعى لقبول صلاتها؟

على مقتضى قواعدهم التي ذكرها ابن حزم أنه يجوز لها اختيار ما شاءت، لأن الله أوجب علينا السجود ولم يخص شيئاً يُسجد عليه. وما عشت أراك الدهر عجباً.

ثم كيف عابوا على الشيعة السجود على التربة الحسينية مع صغرها ولطافتها، وطيب رائحتها، وجوَّزوا السجود على المنبر مع كبر حجمه وثقل وزنه؟

قال ابن قدامة في المغني: وإن قرأ السجدة في أثناء الخطبة فإن شاء نزل فسجد، وإن أمكن السجود على المنبر سجد عليه، وإن ترك السجود فلا حرج، فَعَلَه عمر وترك، وبهذا قال الشافعي[٢].

ثم إن السجود على التربة الحسينية لا يعني عبادتها، لأن السجود على الشيء لا يعني السجود له، وإلا لكان كل من سجد على الأرض أو على سجّادة فقد عبدها، وهذا لا يقوله أحد.

هذا مضافاً إلى ما رواه القوم من أن جمعاً من الصحابة قبَّلوا الحجر الأسود وسجدوا عليه.

---

(١) المحلى ٢/ ٣٠٤.

(٢) المغني ٢/ ١٥٦.

قال ابن تيمية في كتابه شرح العمدة: وأما السجود عليه [أي على الحجر الأسود] فقد ذُكر لأحمد حديث ابن عباس في السجود على الحجر فحسَّنه، وقد رواه الأزرقي... عن محمد بن عباد بن جعفر قال: رأيت ابن عباس رضي الله عنهما جاء يوم التروية وعليه حلة مرجِّلاً رأسه، فقبَّل الحجر وسجد عليه ثلاثاً. ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده من حديث أبي داود الطيالسي عن جعفر بن عثمان المخزومي قال: رأيت محمد بن عباد بن جعفر قبَّل الحجر وسجد عليه، وقال: رأيت خالي ابن عباس يقبّل الحجر ويسجد عليه، وقال: رأيت عمر يقبّل الحجر ويسجد عليه، وقال: رأيت رسول الله ﷺ يفعله.

وحديث عمر الذي تقدم في صحيح مسلم أنه قبَّل الحجر والتزمه وقال: (رأيتُ رسول الله ﷺ بك حفياً) يؤيد هذا.

وروى الأزرقي أن طاووساً أتى الركن فقبَّله ثلاثاً، ثم سجد عليه[(١)].

قلت: إن كان سجود الشيعة على التربة الحسينية عبادة لها، فسجود هؤلاء على الحجر الأسود كذلك، وإلا فهو ليس بعبادة عند الكل، ومن قال غير ذلك فهو جاهل مكابر، وهذا واضح لا يحتاج إلى إطالة.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقوله: واليهود لا يخلصون بالسلام، إنما يقولون: (سام عليكم)، وهو الموت، وكذلك الرافضة.

---

(١) شرح العمدة ٣/ ٤٣١. راجع روايات السجود على الحجر الأسود في صحيح ابن خزيمة ٤/ ٢١٣. المستدرك ١/ ٤٥٥ وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي. الأحاديث المختارة ١/ ٢٨٤. مجمع الزوائد ٣/ ٢٤١ عن أبي يعلى والبزار. السنن الكبرى للبيهقي ٥/ ٧٤، ٧٥. المصنف لابن أبي شيبة ٣/ ٣٢٦. مسند الطيالسي، ص ٧. مسند أبي يعلى ١/ ١٩٢، ١٩٣.

جوابه: أن هذا من مفترياته الواضحة، فليست التحية عند الشيعة غير السلام عليكم، وهذا يعلمه كل من عاشرهم، ومن قال بغير ذلك فهو كاذب مفتر عليهم.

كيف وقد أفتى فقهاء الشيعة قديماً وحديثاً بوجوب ردّ السلام مطلقاً حتى في حال التشاغل بالصلاة الواجبة، وهذه كلماتهم تصدح بذلك.

قال المحقق الهمداني: فالأظهر وجوب رد السلام مطلقاً، من غير فرق بين صِيَغه، والله العالم، ولا فرق في وجوب ردّه بين كون المسلِّم كبيراً أو صغيراً إذا كان مميزاً قاصداً بفعله التحية، لإطلاق أدلّته[1].

وقال السيد المرتضى في كتابه الانتصار: ومما يظن انفراد الإمامية به ردّ السلام في الصلاة بالكلام، وقد وافق في ذلك سعيد بن المسيب والحسن البصري[2]، إلا أن الشيعة تقول: يجب أن يقول المصلي في ردّ السلام مثل ما قاله المسلِّم: (سلام عليكم)، ولا يقول: (وعليكم السلام). وذهب الشافعي إلى أن المصلي يرد السلام بالإشارة دون الكلام[3]. وقال أبو حنيفة وأصحابه: إنْ رَدَّ السلام بكلام فسدت صلاته، وإن ردَّه بإشارة أساء[4][5].

وقال صاحب الجواهر قدس سره: المسألة (الثانية: إذا سلم عليه) وهو في الصلاة مَن يُرَدّ سلامه (يجوز أن يرد) عليه (مثل قوله: سلام عليكم، ولا يقول: وعليكم السلام على رواية) بلا خلاف أجده في عدم مانعية الصلاة ـ نافلة كانت أو فريضة ـ من رد السلام، بل الإجماع بقسميه عليه، والنصوص مستفيضة فيه إن لم تكن متواترة[6].

---

(١) مصباح الفقيه ٤/ ٤٢٢.

(٢) المغني ١/ ٧١١.

(٣) المجموع ٤/ ١٠٤. المغني ١/ ٧١١.

(٤) راجع قول أبي حنيفة في كتاب اللباب ١/ ٨٤. الهداية ١/ ٦٤. شرح فتح القدير ١/ ٣٥٨. المجموع ٤/ ١٠٥.

(٥) الانتصار، ص ٤٧.

(٦) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ١١/ ١٠٠.

ثم قال: على أن الوجوب في معقد إجماع الانتصار وجامع المقاصد وفوائد الشرائع والمحكي من شرح المفاتيح ومعقد نفي الخلاف في الحدائق والمحكي من الذخيرة ، وعن كشف الالتباس: (يجب عليه الرد لفظاً عند علمائنا وإن كان المسلِّم صبياً أو أجنبية يحل نكاحها)، وهو أيضا ظاهر عبارة المبسوط والخلاف وصريح الفاضل وأكثر من تأخر عنه أو جميعهم[١].

ومن الأحاديث الدالة على ذلك صحيحة محمد بن مسلم، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام وهو في الصلاة، فقلت: السلام عليك. فقال: السلام عليك. فقلت: كيف أصبحت؟ فسكتَ، فلما انصرف قلت: أيردّ السلام وهو في الصلاة؟ فقال: نعم مثل ما قيل له[٢].

فلا أدري بعد هذا من أين جاء بأن الشيعة يقولون: (السام عليكم) مع انعقاد إجماعهم على وجوب رد السلام حتى في حال الصلاة؟

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقوله: واليهود حرَّفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرَّفوا القرآن.

جوابه: أن الشيعة لم يحرِّفوا القرآن، والقرآن بحمد الله وفضله بين الأيدي كما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لم يعتره نقص ولا زيادة، ولا تغيير ولا تبديل.

والظاهر أنه يريد أن الرافضة قالوا بتحريف القرآن، فإن كان هذا مراده فهذا يعني افتراق الرافضة عن اليهود في ذلك، فإن اليهود حرَّفوا التوراة بالفعل، وأما الرافضة فلم يحرّفوا القرآن، بل قالوا بزعمه: إن القرآن حُرِّف.

ثم إن الشيعة لا يقولون بتحريف القرآن، وقد نصَّ على ذلك علماؤهم قديماً

---

(١) المصدر السابق ١١/ ١٠١.

(٢) وسائل الشيعة ٤/ ١٢٦٥.

وحديثاً:

١ـ قال أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق (ت ٣٨١هـ): اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيّه محمد ﷺ هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربع عشرة سورة، وعندنا أن (الضحى) و(ألم نشرح) سورة واحدة، و(لإيلاف) و(ألم تر كيف) سورة واحدة، ومَن نسب إلينا أنا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب[1].

٢ـ قال الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالمفيد (ت ٤١٣هـ) في كتاب أوائل المقالات: أما النقصان ـ أي في القرآن ـ فإن العقول لا تحيله ولا تمنع من وقوعه... وقد قال جماعة من أهل الإمامة: إنه لم يُنقَص من كلِمِهِ ولا من آيِهِ ولا من سُوَرِهِ، ولكن حُذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله، وذلك كان ثابتاً منزلاً وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى الذي هو القرآن المعجِز، وقد يسمَّى تأويل القرآن قرآناً...

إلى أن قال: وعندي أن هذا القول أشبه من مقال من ادَّعى نقصان كَلِم من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل، وإليه أميل، والله أسأل توفيقه للصواب[2].

٣ـ وقال الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) في مقدمة تفسيره (التبيان): أما الكلام في زيادة القرآن ونقصانه فمما لا يليق به ـ أي بهذا الكتاب ـ أيضاً، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها، وأما النقصان فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى، وهو الظاهر في الروايات، غير أنه رُويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من آي القرآن ونقل شيء منه من موضع إلى موضع، طريقها الآحاد التي لا

---

(١) عقائد الصدوق، ص ٣٠ ط حجرية.

(٢) أوائل المقالات، ص ٩١، ط بيروت . ص ٥٤ ط تبريز.

توجب علماً ولا عملاً، والأولى الإعراض عنها، وترك التشاغل بها، لأنه يمكن تأويلها[1].

٤ـ وقال أمين الإسلام الطبرسي في كتابه مجمع البيان: أما الزيادة فيه ـ أي في القرآن ـ فمجمع على بطلانه، وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أن في القرآن تغييراً ونقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى قدّس الله روحه، واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات. وذكر في مواضع أن العلم بصحّة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة، فإن العناية اشتدت والدواعي توفّرت على نقله وحراسته، وبلغت حدّاً لم يبلغه فيما ذكرناه، لأن القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيَّراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد؟[2]

إلى غير ذلك مما يطول ذكره.

وأما من قال بتحريف القرآن منهم ـ وهم قِلّة يُعدّون على أصابع اليد ـ فهو مخطئ جزماً، ورأيه لا يمثّل رأي الطائفة، وهو يتحمّل تبعة قوله.

ومن أراد المزيد فليرجع إلى ما كتبه علماء الإمامية في هذه المسألة.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

قوله: واليهود عادوا جبريل فقالوا: هو عدوّنا. وكذلك الرافضة قالوا: أخطأ

---

(١) التبيان في تفسير القرآن ١/ ٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ٣٠.

جبريل بالوحي.

جوابه: أما الرافضة فلا تعادي جبرئيل عليه السلام ، وهذه كتبهم شاهدة على ذلك، وأما قوله: إن الرافضة قالوا: (أخطأ جبريل الوحي) فهذا من المفتريات الباردة التي لا يُصدَّق أن مسلماً ـ من أي طائفة كان ـ يقول به، وهذه عقائد الإمامية واضحة في كتبهم ومصنفاتهم، وهذه مآذنهم تصدح في كل مكان بالشهادة لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة، ولأمير المؤمنين عليه السلام بالولاية، وكل من قال عنهم خلاف ذلك فهو كاذب مفتر عليهم وظالم لهم، لا يستحيي ولا يخجل.

هذا وقد نصَّ الأعلام في كتبهم على أن الشهادة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة جزء من فصول الأذان والإقامة في الصلاة، وأما الشهادة لأمير المؤمنين عليه السلام بالولاية فهي وإن كانت مستحبة في نفسها، ويجوز الاتيان بها في الأذان والإقامة، إلا أنها ليست جزءاً منهما.

قال المحقق النراقي في مستند الشيعة: لا خلاف بين الشيعة في أن الأذان ثمان فقرات: التكبير، ثم الشهادة بالتوحيد، ثم بالرسالة، ثم قول حي على الصلاة، ثم حي على الفلاح ، ثم حي على خير العمل، ثم التكبير، ثم التهليل. والإقامة تسع بزيادة قد قامت الصلاة قبل التكبير والتهليل الأخيرين. وعلى ذلك تواترت الأخبار، وتطابقت كلمات علمائنا الأخيار مدعياً كثير منهم عليه الإجماع[١].

ثم قال: صرَّح جماعة منهم الصدوق والشيخ في المبسوط بأن الشهادة بالولاية ليست من أجزاء الأذان والإقامة الواجبة ولا المستحبة... وصرح في المبسوط بعدم الإثم وإن لم يكن من الأجزاء، ومفاده الجواز[٢].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) مستند الشيعة ٤/ ٤٧٨. ط حجرية ١/ ٣١٢.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٤٨٦. ط حجرية ١/ ٣١٤.

وقوله: واليهود يستحلون أموال الناس، وقد نبأنا الله عنهم أنهم قالوا ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّنَ سَبِيلٌ﴾، وكذلك الرافضة يستحلّون مال كل مسلم. واليهود يستحلّون دم كل مسلم، وكذلك الرافضة. واليهود يرون غش الناس، وكذلك الرافضة.

جوابه: أن هذا كله كذب محض، وهو خلاف ضرورات مذهب الشيعة الإمامية، فإن كل علماء الإمامية يفتون بأن من شهد الشهادتين حرم ماله ودمه وعرضه، إلا من حُكم بكفرهم من الطوائف كالخوارج والغلاة والنواصب، فهؤلاء حكمهم حكم الكفار.

قال الشيخ الصدوق في كتابه (الهداية):

الإسلام هو الإقرار بالشهادتين، وهو الذي يحقن به الدماء والأموال، ومن قال: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) فقد حقن ماله ودمه إلا بحقيهما، وعلى الله حسابه. والإيمان هو الإقرار باللسان، والعقد بالقلب، وعمل بالجوارح، وأنه يزيد بالأعمال، وينقص بتركها، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً، ومثل ذلك مثل الكعبة والمسجد، فمن دخل الكعبة فقد دخل المسجد، وليس كل من دخل المسجد دخل الكعبة[1].

ثم إن الغش حكمه معلوم عند الشيعة الإمامية، وأنه لا يجوز غش المسلمين عامة، ومن قال: (إن الشيعة تقول بغير ذلك) فقد كذب وافترى.

قال العلامة الحلي في نهاية الأحكام: الغش بما يخفى حرام، كمزج اللبن بالماء، ولا بأس بما يظهر للحس، كما لو مزج الحنطة بالشعير[2].

قلت: لأن ما يظهر للحس يعلم به المشتري عادة، فإذا أقدم على شرائه أقدم

---

(١) الهداية، ص ١٠. ط حجرية ضمن الجوامع الفقهية، ص ٤٦.

(٢) نهاية الأحكام ٢/ ٤٦٩.

على شراء ما رضي به، فيكون البيع حينئذ داخلاً في عموم قوله تعالى ﴿**إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ**﴾، فلا يكون غشاً، وإنما هو مزج شيء بشيء.

وقال الشيخ يوسف البحراني في حدائقه: الغش بالخفي كشوب اللبن بالماء. ولا خلاف في تحريمه، كما حكاه في المنتهى. أما لو غش بما لا يخفى ، كالتراب يجعله في الحنطة، والرديء منها بالجيد، فظاهر الأصحاب عدم التحريم، وإن كان مكروهاً، لظهور العيب المذكور للمشتري، فهو إنما اشترى راضياً به. ولعل وجه الكراهة عندهم أنه تدليس في الجملة، وأنه ربما يغفل عنه المشتري لا سيما مع كثرة الجيد إذا خلطه بالرديء. والذي يدل على الحكم الأول من الأخبار ما رواه في الكافي عن هشام بن سالم في الصحيح أو الحسن بإبراهيم بن هاشم عن الصادق عليه السلام، قال: ليس منا من غشنا[١]. وبهذا الإسناد عن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لرجل يبيع التمر: يا فلان، أما علمت أنه ليس من المسلمين من غشَّهم[٢]. ورواه الشيخ وكذا الذي قبله. وعن هشام بن الحكم في الصحيح أو الحسن قال: كنت أبيع السابري في الظلال، فمرَّ بي أبو الحسن الأول موسى عليه السلام راكباً، فقال لي: يا هشام، إن البيع في الظلال غش، والغش لا يحل[٣]، ورواه الصدوق بإسناده عن هشام مثله.

أقول ـ والقائل هو صاحب الحدائق ـ: السابري ثياب رقيقة جيدة. وفيه دلالة على تحريم بيع الثياب في المكان المظلم بطريق أولى[٤].

وقال الشهيد في الدروس: يجب على البائع الإعلام بالعيب الخفي على المشتري إن علمه البائع، لتحريم الغش. ولو تبرَّأ من العيب سقط الوجوب، قال الشيخ:

---

(١) وسائل الشيعة ١٢/ ٢٠٨ حديث ١.

(٢) المصدر السابق ١٢/ ٢٠٨ حديث ٢.

(٣) المصدر السابق ١٢/ ٢٠٨ حديث ٣.

(٤) الحدائق الناضرة ١٨/ ١٩٠.

والإعلام أحوط[١].

وأقوال علمائنا في حرمة الغش تفوق حد الإحصاء، وفيما ذكرناه كفاية.

وقوله: واليهود لا يعدّون الطلاق شيئاً إلا عند كل حيضة، وكذلك الرافضة.

جوابه: إن كان مراده بـ (عند كل حيضة) وقت الحيض، فهذا افتراء محض، والشيعة لا يقولون بذلك، وإن كان مراده بعد النقاء من الحيض فهذا صحيح، إلا أن الشيعة يشترطون أيضاً لصحة الطلاق شروطاً أخر، منها: أن يكون الطلاق في طهر لم يواقعها فيه، وهذا هو طلاق السنة، الذي دلّت على صحّته الأحاديث الواردة من طرق الخاصة والعامة.

فقد أخرج البخاري ـ واللفظ له ـ ومسلم في صحيحيهما، والأربعة في السنن، ومالك في الموطأ، وغيرهم بأسانيدهم عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: مُرْهُ فليراجعها، ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلّق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء[٢].

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمر أنه طلق امرأة له وهى حائض تطليقة واحدة، فأمره رسول الله ﷺ أن يراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر، ثم

---

(١) الدروس ٣/ ٢٨٧.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٦٩٠. صحيح مسلم ٢/ ١٠٩٣. الموطأ، ص ٣٠٦. سنن الترمذي ٣/ ٤٧٨. سنن النسائي بشرح السيوطي ٦/ ٤٤٨ ـ ٤٥٣. سنن أبي داود ٢/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦. سنن ابن ماجة ١/ ٦٥١ ـ ٦٥٢. سنن الدارمي ٢/ ٦٠١.

تحيض عنده حيضة أخرى، ثم يمهلها حتى تطهر من حيضتها، فإن أراد أن يطلّقها فليطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء[1].

وفي رواية أخرى عند مسلم أيضاً: أن عبد الله بن عمر قال: طلّقت امرأتي وهى حائض، فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ، فتغيظ رسول الله ﷺ، ثم قال: مُرْهُ فليراجعها حتى تحيض حيضة أخرى مستقبلة سوى حيضتها التي طلقها فيها، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً من حيضتها قبل أن يمسَّها، فذلك الطلاق للعدة كما أمر الله[2].

وأخرج هذه الحادثة بألفاظ متقاربة كثير من حفاظ الحديث عندهم[3].

قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أن طلاق السنة أن يطلقها طاهراً من غير جماع[4].

وقال ابن قدامة في المغني: معنى طلاق السُّنة الطلاق الذي وافق أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ في الآية والخبرين المذكورين، وهو الطلاق في طهر لم يصبها فيه، ثم يتركها حتى تنقضي عدّتها، ولا خلاف في أنه إذا طلقها في طهر لم يصبها فيه، ثم تركها

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٠٩٣.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٠٩٥.

(٣) راجع سنن أبي داود ٢/ ٢٥٥، ٢٥٦. سنن الترمذي ٣/ ٤٧٨. سنن ابن ماجة ١/ ٦٥١، ٦٥٢. سنن النسائي ٦/ ٤٤٨ ـ ٤٥٣، ٥٢٢، ٥٢٣. السنن الكبرى للبيهقي ٧/ ٣٢٣ ـ ٣٢٨، ٤١٤. سنن الدارقطني ٤/ ٥ ـ ١١، ٢٨، ٢٩. سنن الدارمي ٢/ ٦٠١. السنن الكبرى للنسائي ٣/ ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٣، ٤٠٢. المصنف لابن أبي شيبة ٤/ ٥٦ ـ ٥٨. المصنف لعبد الرزاق ٦/ ٣٠٩، ٣١٠. صحيح ابن حبان ١٠/ ٧٧ ـ ٨١. مسند أبي يعلى ١/ ١٧٠، ٩/ ٣٣٠. مسند أحمد بن حنبل ١/ ٤٣، ٢/ ٢٦، ٤٣، ٥٤، ٥٨، ٦١، ٦٣، ٧٨، ١٠٢، ١٢٨. مسند الشافعي ٢/ ١٠١، ١٩٣. شرح السنة ٩/ ٢٠٢، ٢٠٣ قال البغوي: هذا حديث متفق على صحّته. شرح معاني الآثار ٣/ ٥١ ـ ٥٤.

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٤٧٩.

حتى تنقضي عدتها أنه مصيب للسنة، مطلِّق للعدة التي أمر الله بها. قاله ابن عبد البر وابن المنذر. وقال ابن مسعود: طلاق السُّنة أن يطلقها من غير جماع. وقال في قوله تعالى ﴿**فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ**﴾، قال: طاهراً من غير جماع. ونحوه عن ابن عباس.

ثم قال: فإن طلق للبدعة وهو أن يطلقها حائضاً أو في طهر أصابها فيه أثم، ووقع طلاقه في قول عامة أهل العلم. قال ابن المنذر وابن عبد البر: لم يخالف في ذلك إلا أهل البدع والضلال. وحكاه أبو نصر عن ابن علية وهشام بن الحكم، والشيعة قالوا: لا يقع طلاقه، لأن الله تعالى أمر به في قبل العدة، فإذا طلق في غيره لم يقع، كالوكيل إذا أوقعه في زمن أمره موكله بإيقاعه في غيره[١].

أقول: كيف يقع الطلاق صحيحاً مع أنه مخالف للسُّنة، ومخالف للأحاديث المروية في كتبهم، التي يظهر منها أن الطلاق لم يقع من ابن عمر، ولذا أمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يراجع امرأته ـ أي يرجعها ـ ثم يطلّقها طلاقاً صحيحاً، وإلا لو كان الطلاق الأول وقع صحيحاً لما كان ثمة حاجة إلى إرجاعها وتطليقها ثانية.

۞ ۞ ۞ ۞ ۞

وقوله: واليهود ليس لنسائهم صداق، وإنما يتمتعون متعة، وكذلك الرافضة يستحلّون المتعة.

جوابه: أن الشيعة يرون وجوب الصداق في النكاح، وهذا معلوم في فقههم، وأما مسألة المتعة فإن أراد بها ما تُعطاه المرأة بعد طلاقها فهذا قد نصَّ عليه القرآن الكريم في أكثر من آية، منها قوله تعالى﴿**لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا**

(١) المغني ٨/ ٢٣٧، ٢٣٨.

بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾[١].

قال ابن كثير في تفسيره: أباح تبارك وتعالى طلاق المرأة بعد العقد عليها وقبل الدخول بها... ولهذا أمر تعالى بإمتاعها وهو تعويضها عما فاتها بشيء تُعطاه من زوجها بحسب حاله، على الموسع قدره، وعلى المقتر قدره.

وقال سفيان الثوري: عن إسماعيل بن أمية عن عكرمة عن ابن عباس قال: متعة الطلاق أعلاه الخادم، ودون ذلك الوَرِق [أي الفضة]، ودون ذلك الكسوة. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: إن كان موسراً متَّعها بخادم أو نحو ذلك، وإن كان معسراً أمتعها بثلاثة أثواب.

وقال الشعبي: أوسط ذلك درع وخمار وملحفة وجلباب. قال: وكان شريح يمتع بخمسمائة.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال: كان يمتع بالخادم أو بالنفقة أو بالكسوة. قال: ومتع الحسن بن علي بعشرة آلاف، ويروى أن المرأة قالت: متاع قليل من حبيب مفارق[٢]. وذهب أبو حنيفة إلى أنه متى تنازع الزوجان في مقدار المتعة وجب لها عليه نصف مهر مثلها.

وقال الشافعي في الجديد: لا يجبر الزوج على قدر معلوم، إلا على أقل ما يقع عليه اسم المتعة، وأَحَبُّ ذلك إلي أن يكون أقلّه ما تجزئ فيه الصلاة.

وقال في القديم: لا أعرف في المتعة قدراً، إلا أني أستحسن ثلاثين درهماً كما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وقد اختلف العلماء أيضاً هل تجب المتعة لكل مطلقة، أو إنما تجب المتعة لغير

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٣٦.

(٢) راجع المصنف لعبد الرزاق ٧/ ٥٤ ـ ٥٥.

المدخول بها التي لم يُفْرَض لها، على أقوال...إلى آخر ما قال[١].

إذن، فالمتعة بهذا المعنى مما اتفق المسلمون كافة على أنها حق لبعض المطلقات على الخلاف بينهم في التفاصيل.

وأما إن أراد أن الشيعة يستحلّون نكاح المتعة، فالمتعة بالمعنى السابق تختلف عن المتعة بهذا المعنى، فإن المتعة في المهور هي ما أوضحناها آنفاً، وأما المتعة في النكاح فهي الزواج بالمرأة إلى أجل مسمّى بمهر معلوم.

وهذا النكاح قد اتفق المسلمون سنّة وشيعة على أنه كان مشرَّعاً في زمن النبي ﷺ، وفَعَلَه بعض الصحابة كما دلَّت على ذلك الآثار الصحيحة، إلا أن النزاع قد وقع في أن المتعة هل نُسِخت في زمان النبي ﷺ كما يقوله أهل السنة، أم أنها بقيت محلَّلة إلى زمان عمر بن الخطاب الذي منع منها، وتهدّد بالرجم كل من يفعلها، وهذا هو الصحيح الذي عليه أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم.

ويدلّ على حلّيّتها الكتاب والسنة.

أما الكتاب فقوله تعالى ﴿**فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾[٢].

قال ابن كثير: وقد استُدل بعموم هذه الآية على نكاح المتعة، ولا شك أنه كان مشروعاً في ابتداء الإسلام ثم نُسخ بعد ذلك، وقد ذهب الشافعي وطائفة من العلماء إلى أنه أبيح ثم نُسخ، ثم أبيح ثم نُسخ مرتين. وقال آخرون أكثر من ذلك، وقال آخرون: إنما أبيح مرة ثم نسخ، ولم يبح بعد ذلك. وقد روي عن ابن عباس وطائفة من الصحابة القول بإباحتها للضرورة، وهو رواية عن الإمام أحمد، وكان ابن عباس وأبيّ بن كعب وسعيد بن جبير والسدي يقرؤون ﴿**فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ**

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٢) سورة النساء، الآية ٢٤.

مُسَمًّى فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾. وقال مجاهد: نزلت في نكاح المتعة...[١].

وجاء في تفسير الطبري بسنده عن مجاهد: ﴿**فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ**﴾، قال: يعني نكاح المتعة.

وروى بسنده عن أبي نضرة، قال: سألت ابن عباس عن متعة النساء. قال: أما تقرأ سورة النساء؟ قال: قلت: بلى. قال: فما تقرأ فيها ﴿**فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى**﴾؟ قلت: لا، لو قرأتها هكذا ما سألتك. قال: فإنها كذا.

وفي رواية أخرى قال: والله لأنزلها الله كذلك (ثلاث مرات).

وقال: قال الحكم: وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لولا أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي[٢].

وقد ذهب إلى حليّتها جمع من الصحابة.

قال القرطبي في تفسيره: قال أبو بكر الطرطوسي: ولم يُرخِّص في نكاح المتعة إلا عمران بن حصين وابن عباس وبعض الصحابة وطائفة من أهل البيت، وفي قول ابن عباس يقول الشاعر:

أقولُ للرّكبِ إذ طالَ الثواءُ بنا ... يا صاحِ هلْ لكَ في فُتيا ابنِ عباسِ
في بَضَّةٍ رخصةِ الأطرافِ ناعمةٍ ... تكونُ مثواكَ حتى مرجعِ الناسِ[٣]

وأما ما دلَّ على حلّية نكاح المتعة من السُّنة فقد رووه في صحاحهم وغيرها، وهي أحاديث كثيرة عندهم.

منها: ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن عطاء قال: قدم جابر بن عبد الله معتمراً، فجئناه في منزله، فسأله القوم عن أشياء، ثم ذكروا المتعة، فقال: نعم استمتعنا

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٤٧٤.

(٢) تفسير الطبري ٥/ ٩.

(٣) تفسير القرطبي ٥/ ١٣٣.

على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر.

ومنها: ما أخرجه مسلم في صحيحه أيضاً عن جابر بن عبد الله، قال: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر، حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث[١].

ومنها: ما أخرجه فيه كذلك بسنده عن أبي نضرة، قال: كنت عند جابر بن عبد الله، فأتاه آت فقال: ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين، فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله ﷺ، ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما[٢].

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة الدالة على مشروعية نكاح المتعة في الإسلام، إلا أن عمر بن الخطاب نهى عنها كما هو ظاهر من الأحاديث السابقة وغيرها[٣].

وقد نسب عمر بن الخطاب هذا النهي إلى نفسه فيما أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، والطحاوي في شرح معاني الآثار وغيرهما، حيث قال: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ، وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما[٤].

وقد نصَّ السيوطي في تاريخ الخلفاء[٥]، وأبو هلال العسكري في كتاب الأوائل[٦] وغيرهما على أن عمر بن الخطاب هو أول من حرَّم متعة النساء.

ثم إن نكاح المتعة لا بد فيه من صداق أيضاً كالنكاح الدائم، وهذا مبسوط في الكتب الفقهية، من أراده فليطلبه من مظانّه.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٠٢٣.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٠٢٥.

(٣) راجع مسند أحمد ٣/ ٣٨٠، ٤/ ٤٢٩، ٤٣٨، ٤٣٩. المصنف لعبد الرزاق ٧/ ٤٩٧، ٤٩٩.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ٧/ ٢٠٦. كتاب السنن لسعيد بن منصور، ص ٢٥٢. شرح معاني الآثار ٢/ ١٤٤، ١٤٦. مسند أحمد ١/ ٥٢ إلا أنه لم يذكر النهي عنهما والعقاب عليهما.

(٥) تاريخ الخلفاء، ص ١٠٨.

(٦) الأوائل ١/ ٢٤٠، ص ١١٢ ط الباز.

وقوله: واليهود لا يرون العزل عن السراري، وكذلك الرافضة.

جوابه: أن الشيعة يرون جواز العزل عن السراري وغيرهن، نعم لا يجوز العزل عن الحرة إلا بإذنها أو يكره على الخلاف عندهم.

وقد نصَّ على ذلك جمع من أعلام الشيعة في مصنفاتهم:

قال الشيخ الطوسي في كتابه المبسوط:

العزل: أن يولج الرجل ويجامع، فإذا جاء وقت الإنزال نزع فأنزل خارج الفرج، فإذا ثبت هذا فإن كان تحته مملوكة جاز له أن يعزل بغير أمرها بلا خلاف، وإن كانت زوجة فإن كانت أمة كان له العزل أيضاً، وإن كانت حرَّة فإن أذنت له فلا بأس، وإن لم تأذن فهل له العزل؟ على وجهين: أحدهما: ليس له ذلك، وهو الأظهر في رواياتنا، لأنهم أوجبوا في ذلك كفارة، والثاني: أنه مستحب وليس بمحظور[١].

وقال المحقق الحلي في شرائع الإسلام:

العزل عن الحرة إذا لم يُشترط في العقد ولم تأذن، قيل: هو محرم، ويجب معه دية النطفة عشرة دنانير. وقيل: هو مكروه وإن وجبت الدية. وهو أشبه[٢].

وقال الآبي في كشف الرموز:

العزل عن الحرة بغير إذنها قيل: يحرم، وتجب به دية النطفة عشرة دنانير. وقيل: مكروه. القول الأول للمفيد، والشيخ ذهب إلى كراهية العزل في كتاب النكاح، واختاره سلار، وإلى إيجاب الدية في كتاب الديات محيلاً على الروايات، وهو اختيار أبي الصلاح، وذهب المتأخر إلى كراهية العزل وسقوط الدية متمسكاً بالأصل، وهو حسن، لأن الأصل حفظ المال على المسلم، فلا يُتهجَّم عليه في موضع الخلاف. ويؤيد ذلك ما رواه ابن بابويه عن محمد بن مسلم، أنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن العزل. فقال:

---

(١) كتاب المبسوط ٤/ ٢٦٦.

(٢) شرائع الإسلام ٢/ ٢٧٠.

الماء للرجل يصرفه حيث يشاء[١].

وقال الشهيد الثاني قدس سره في مسالك الأفهام:

المراد بالعزل أن يجامع فإذا جاء وقت إنزال الماء نزع فأنزل الماء خارج الفرج. وقد اختلفوا في جوازه وتحريمه، فذهب الأكثر ومنهم المصنّف إلى جوازه على كراهية، وتمسَّكوا في أصل الإباحة بأصالة الجواز، وبصحيحة محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العزل، قال: ذاك إلى الرجل يصرفه حيث يشاء[٢]. وبأن حقّها في الوطء دون الإنزال، ولهذا تنقطع المطالبة به في الفئة وإن لم ينزل. وفي الكراهة بصحيحة محمد بن مسلم أيضاً عن أحدهما عليهما السلام أنه سُئل عن العزل فقال: أما الأمة فلا بأس، وأما الحرة فإني أكره ذلك، إلا أن يشترط عليها حين تزوجها[٣]. وقال في حديث آخر: إلا أن ترضى أو يشترط ذلك عليها حين يتزوجها[٤]. وذهب الشيخان وجماعة إلى التحريم، لما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن يعزل من الحرة إلا بإذنها. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في العزل: إنه الوأد الخفي. والمراد بالوأد قتل الولد. ولأن حكمة النكاح الاستيلاد، ولا يحصل غالباً مع العزل، فيكون منافياً لغرض الشارع[٥].

هذه هي أقوال علماء الشيعة الإمامية في هذه المسألة، وهي متَّفقة مع أحاديث أهل السنة المروية في كتبهم.

فمما رووه في جواز العزل ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، والترمذي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والطيالسي والبيهقي والطحاوي

---

(١) كشف الرموز ٢/ ١٠٧.

(٢) الكافي ٥/ ٥٠٤.

(٣) تهذيب الأحكام ٧/ ٤١٧. وسائل الشيعة ١٤/ ١٠٥ باب ٧٦ من أبواب مقدمات النكاح، ح ١.

(٤) تهذيب الأحكام ٧/ ٤١٧. وسائل الشيعة ١٤/ ١٠٦ ب ٧٦ ح ٢.

(٥) مسالك الأفهام ٧/ ٦٤. ط حجرية ٢/ ٤٣٩.

بأسانيدهم عن جابر، قال: كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل[١].

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن جابر رضي الله عنه، قال: كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فلم ينهنا عنه[٢].

وعنه قال: كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ، فلم ينهنا عنه[٣].

ومما رووه في استئذان الحرة دون الأمة ما أخرجه ابن ماجة في سننه، وأحمد في مسنده، والبيهقي في سننه الكبرى وغيرهم، بأسانيدهم عن عمر بن الخطاب قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُعزل عن الحرَّة إلا بإذنها[٤].

وأفتى بهذا المضمون جمهور علماء أهل السنة وأصحاب مذاهبهم.

قال مالك: لا يعزل الرجل عن المرأة الحرة إلا بأذنها، ولا بأس أن يعزل عن أمته بغير إذنها، ومن كان تحته أمة قوم فلا يعزل إلا بإذنهم[٥].

وقال ابن قدامة في المغني: ويجوز العزل عن أمته بغير إذنها، نصَّ عليه أحمد، وهو قول مالك وأبي حنيفة والشافعي، وذلك لأنه لا حقّ لها في الوطء ولا في الولد، ولذلك لم تملك المطالبة بالقسم ولا الفيئة، فلأن لا تملك المنع من العزل أولى، ولا يعزل عن زوجته الحرة إلا بإذنها[٦].

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ١٦٧٦. صحيح مسلم ٢/ ١٠٦٥. سنن الترمذي ٣/ ٤٤٣ وصحّحه. سنن ابن ماجة ١/ ٦٢٠. صحَّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ١/ ٣٢٥. مسند أحمد ٣/ ٣٠٩. السنن الكبرى للبيهقي ٧/ ٢٢٨. المصنف لابن أبي شيبة ٣/ ٥٠٢. شرح معاني الآثار ٣/ ٣٥. مسند الطيالسي، ص ٢٣٦.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٠٦٥. السنن الكبرى للبيهقي ٧/ ٢٢٨. الجمع بين الصحيحين ٢/ ٣٢٢.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٠٦٥. شرح معاني الآثار ٣/ ٣٥. صحيح ابن حبان ٩/ ٥٠٧. السنن الكبرى للبيهقي ٧/ ٢٢٨. الجمع بين الصحيحين ٢/ ٣٢٢. مسند أبي يعلى ٤/ ١٧٧.

(٤) سنن ابن ماجة ١/ ٦٢٠. مسند أحمد ١/ ٣١. السنن الكبرى للبيهقي ٧/ ٢٣١. المصنف ٣/ ٥١٢. المعجم الأوسط للطبراني ٤/ ٨٧.

(٥) الموطأ، ص ٣١٨.

(٦) المغني ٨/ ١٣٤.

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى[١]، وابن أبي شيبة في المصنف أنه أيضاً قول عطاء[٢].

وأخرج الأخير كذلك أنه قول سعيد بن جبير، وإبراهيم التيمي وعمرو بن مرة[٣].

ثم إنّا لو تأملنا أقوال أعلام الصحابة وغيرهم لرأينا أن جمعاً منهم كانوا ينهون عن العزل أو يكرهونه.

فقد أخرج البيهقي في سننه الكبرى وغيره بسنده عن الزهري قال: قال سالم بن عبد الله: كان عمر رضي الله تعالى عنه ينهى عن العزل، وكان عبد الله بن عمر ينهى عن ذلك...

وبسنده عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه كان يضرب بنيه على العزل، أي ينهى عنه[٤].

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف بسنده عن ميمون بن مهران، أن ابن عمر اشترى جارية لبعض بنيه، فقال: ما لي لا أراها تحمل؟ لعلك تعزل عنها، ولو أعلم ذلك لأوجعت ظهرك.

وعن أبي أمامة في العزل: ما كنت أرى أن مسلماً يفعله.

وعن سالم في العزل قال: هي الموؤدة الخفية[٥].

وقال ابن قدامة في المغني: ورُويت كراهته ـ أي العزل ـ عن عمر وعلي وابن عمر وابن مسعود، وروي ذلك عن أبي بكر الصديق أيضاً، لأن فيه تقليل النسل،

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٧/ ٢٣١. المصنف ٣/ ٥١٣.

(٢) المصنف ٣/ ٥٠٥.

(٣) المصنف ٣/ ٥٠٤.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ٧/ ٢٣١.

(٥) المصنف ٣/ ٥٠٣.

وقطع اللذة عن الموطوءة...[١].

بل ذهب بعضهم إلى حرمته.

قال ابن القيم: وقالت طائفة من أصحاب أحمد وغيرهم: يحرم كل عزل[٢].

وقال الصنعاني في سبل السلام: وقوله ـ يعني النبي ﷺ ـ في جواب سؤالهم: (إنه الوأد الخفي)[٣] دال على تحريمه، لأن الوأد دفن البنت حيّة، وبالتحريم جزم ابن حزم محتجّاً بحديث الكتاب هذا[٤].

فإذا اتّضح كل ذلك نتساءل:

---

(١) المغني ٨/ ١٣٣.

(٢) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ٦/ ١٥٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ١٠٦٧. وابن ماجة في السنن ١/ ٦٤٨. وأحمد في المسند ٦/ ٣٦١، ٤٣٤. والحاكم في المستدرك ٤/ ٦٩. والبيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٢٣١. وعبد الرزاق في المصنف ٧/ ١٤٧. والطبراني في معجمه الكبير ٢٤/ ٢٠٩ وغيرهم، وصحّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ١/ ٣٤٠.

(٤) سبل السلام ٣/ ٣٠٥. قال ابن حزم في كتابه (المحلى) ١٠/ ٧١: فصح أن خبر جدامة بالتحريم هو الناسخ لجميع الإباحات المتقدمة التي لا شك في أنها قبل البعث وبعد البعث، وهذا أمر متيقن، لأنه إذ أخبر عليه الصلاة والسلام أنه الوأد الخفي، والوأد محرَّم، فقد نسخ الإباحة المتقدمة بيقين. فمن ادَّعى أن تلك الإباحة المنسوخة قد عادت، وأن النسخ المتيقن قد بطل، فقد ادعى الباطل، وقفا ما لا علم له به، وأتى بما لا دليل له عليه... وقد جاءت الإباحة للعزل صحيحة عن جابر بن عبد الله وابن عباس وسعد بن أبي وقاص وزيد بن ثابت وابن مسعود. وصح المنع منه عن جماعة كما روينا عن حماد بن سلمة عن عبيد الله بن عمر عن نافع أن ابن عمر كان لا يعزل، وقال: لو علمت أحداً من ولدي يعزل لنكلته. قال أبو محمد: لا يجوز أن ينكل على شيء مباح عنده... ومن طريق الحجاج بن المنهال... عن زر بن حبيش أن علي بن أبي طالب كان يكره العزل. ورويناه أيضاً من طريق شعبة... عن عبد الله بن مسعود أنه قال في العزل: هي الموؤدة الخفية. وروينا هذا الخبر من طريق سعيد بن منصور... عن ابن مسعود أنه قال في العزل: هي الموؤدة الصغرى. وبه إلى محمد بن بشار... عن سليمان بن عامر قال: سمعت أبا أمامة الباهلي يقول وقد سُئل عن العزل فقال: ما كنت أرى مسلماً يفعله. ومن طريق سعيد بن منصور... عن ابن عمر قال: ضرب عمر على العزل بعض بنيه. ومن طريق سعيد بن منصور... عن سعيد بن المسيب قال: كان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ينكران العزل.

كيف يكون الروافض مثل اليهود مع أنهم لا يقولون بحرمة العزل، ولا يكون مثل اليهود مَن منع مِن العزل مثل عمر وابنه وعثمان وغيرهم من الصحابة والتابعين وغيرهم؟

إن هذا لشيء عجاب!

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقوله: واليهود يحرمون الجرّي والمرماهي، وكذلك الرافضة. واليهود حرَّموا الأرنب والطحال، وكذلك الرافضة.

جوابه: أن الشيعة يحرِّمون أكل الخبائث بجميع أنواعها امتثالاً لقوله تعالى ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ**﴾[1]، والخبائث أشياء كثيرة جداً، ولا شأن للشيعة باليهود الذين كانوا يتناولون الخبائث.

وعليه، فيحرم الطحال لأنه بيت الدم، والدم من الخبائث كما هو معلوم، وأما الجرّي والمرماهي فإنهما من الخبائث وهما شبيهتان بالحيات، وتحرم الأرنب لأنها من السباع ذوات الأنياب، ولأنها من المسوخ.

أما الطحال والجري فقد دلَّ عليه عندهم ما أخرجه عبد الرزاق في المصنف بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ يعاف الطحال.

وعن خلاس بن عمرو أن علياً كان يكره من الشاة الطحال، ومن السمك الجرّي، ومن الطير كل ذي مخلب[2].

قلت: بقرينة عطف ذي المخلب من الطير الذي يحرم أكله كما سيأتي على الطحال والجري يستفاد أن كراهة الجري والطحال كراهة تحريمية لا كراهة تنزيهية.

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

(٢) المصنف لعبد الرزاق ٤/ ٥٣٦.

وأخرج أيضاً بسنده عن محمد بن إسحاق قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي بلغه أن علياً كان لا يأكل لحم الجرّيث، ولا يدخل بيتاً فيه صورة، ولا يأكل الطحال. قال: أما الطحال فإن رسول الله ﷺ قذره ولم يأكله، وقال: إنما هو مجمع الدم. فكان علي لا يأكله، وأما بيت فيه صورة فإن النبي ﷺ كان لا يدخل بيتاً فيه صورة، وأما الجرّيث فإنه حوت لا يأكله أهل الكتاب[١].

وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه بسنده عن أبي جعفر عن علي بن أبي طالب قال: كان لا يأكل الجرّيث والطحال.

وعن علي قال: الطحال لقمة الشيطان[٢].

وقال ابن حجر في فتح الباري: وقال ابن حبيب من المالكية: أنا أكرهه [يعني الجري]، لأنه يقال: إنه من الممسوخ. وقال الأزهري: الجريث نوع من السمك يشبه الحيات، وقيل: سمك لا قشر له، ويقال له أيضاً: المرماهي[٣].

فإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يكره الطحال والجري، ووافقه بعض المالكية كما مرَّ، فإن الشيعة لم يذهبوا شططاً بتحريمهما لخبثهما.

وأما الأرنب فذهب بعض الصحابة والتابعين إلى حرمة أكل لحمها.

قال القرطبي: والجمهور من الخلف والسلف على جواز أكل الأرنب، وقد حُكي عن عبد الله بن عمرو بن العاص تحريمه، وعن ابن أبي ليلى كراهته[٤]. قال عبد الله بن عمرو: جيء بها إلى رسول الله ﷺ وأنا جالس فلم يأكلها، ولم ينه عن أكلها،

---

(١) المصدر السابق ٤/ ٥٣٧.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ٥/ ١٢٥.

(٣) فتح الباري ٩/ ٥٠٥.

(٤) ذكر ذلك عنه ابن أبي شيبة في المصنف ٥/ ١١٧. ونقل كراهته أيضاً عن عكرمة. وذكر ابن حجر في فتح الباري ٩/ ٥٤٤ القول بالكراهة عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعكرمة وابن أبي ليلى.

وزعم أنها تحيض. ذكره أبو داود(١)(٢).

وقال الترمذي في السنن: أكثر أهل العلم لا يرون بأكل الأرنب بأساً، وقد كره بعض أهل العلم أكل الأرنب، وقالوا: إنها تدمي(٣).

وقال ابن حجر في فتح الباري: وحكى الرافعي عن أبي حنيفة أنه حرَّمها، وغلطه النووي في النقل عن أبي حنيفة(٤).

ثم إن كل أحاديثهم تنص على أن النبي ﷺ لم يأكل من لحم الأرنب وإن كانوا يزعمون أنه رخَّص لهم في أكله، فالشيعة لا يأكلونه اقتداءً برسول الله ﷺ، وهذا لا محذور فيه.

هذا مضافاً إلى أنهم رووا عن النبي ﷺ أنه حرَّم لحم كل ذي ناب، والأرنب من ذوات الأنياب، فيكون محرَّماً بهذا العموم.

فقد أخرج مسلم في صحيحه، والترمذي وابن ماجة وأبو داود والنسائي الدارمي في سننهم، وأحمد وابن حبان والبيهقي والضياء المقدسي وغيرهم بأسانيدهم عن عبد الله بن عباس أنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير(٥).

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما، ومالك في الموطأ، والترمذي وابن

---

(١) سنن أبي داود ٣/ ٣٥٢. وكذا في السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٣٢١.

(٢) تفسير القرطبي ٧/ ١٢٣.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٢٥١.

(٤) فتح الباري ٩/ ٥٤٤.

(٥) صحيح مسلم ٣/ ١٥٣٣ ـ ١٥٣٤. سنن الترمذي ٤/ ٧٣. سنن أبي داود ٣/ ٣٥٥. سنن ابن ماجة٣/ ١٠٧٧. صحيح ابن حبان ١٢/ ٨٥. سنن الدارمي ١/ ٥١٥. شعب الإيمان ٥/ ١٩. السنن الكبرى للبيهقي ١/ ٢٥، ٩/ ٣١٥. سنن النسائي بشرح السيوطي ٧/ ٢٣٥. مسند أحمد ١/ ٢٤٤، ٢٨٩، ٣٠٢، ٣٢٧. الأحاديث المختارة ٢/ ١٥٧، ١٥٨. صحيح سنن أبي داود ٢/ ٧٢٣. صحيح سنن ابن ماجة ٢/ ٢١٩. صحيح سنن النسائي ٣/ ٩٠٨. إرواء الغليل ٨/ ١٣٨ ـ ١٤١.

ماجة وأبو داود والدارمي وأحمد والبيهقي والحاكم والطبراني في الكبير وغيرهم بأسانيدهم عن أبي ثعلبة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع[١].

وأخرج مالك بن أنس في الموطأ، وابن ماجة والنسائي في السنن، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي في السنن الكبرى، وغيرهم بأسانيدهم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: أكل كل ذي ناب من السباع حرام[٢].

قال مالك: وهو الأمر عندنا[٣].

وقال الترمذي: هذا حديث حسن، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، وهو قول عبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق[٤].

وقوله: واليهود لا يرون المسح على الخفين، وكذلك الرافضة.

جوابه: أن كثيراً من البدع كانت غير معروفة عند اليهود، بل ابتدعها بعض المسلمين، كالمسح على الخفين وصلاة التراويح وغيرهما، فمن لا يراها لا يكون مشابهاً

(١) صحيح البخاري ٥/ ١٧٧٧، ١٨٤٤. صحيح مسلم ٣/ ١٥٣٣. صحيح ابن حبان ١٢/ ٨٤. الموطأ، ص ٢٥٧. سنن الترمذي ٤/ ٧٣، ٢٥٤ وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. سنن أبي داود ٣/ ٣٥٥. سنن ابن ماجة ٣/ ١٠٧٧. سنن النسائي بشرح السيوطي ٧/ ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٣، ٣٠١. مسند أحمد ٤/ ١٩٣، ١٩٤. سنن الدارمي ١/ ٥١٥. السنن الكبرى للبيهقي ٥/ ٣٣٨، ٩/ ١٢٥، ٣١٥، ٣٣١، ٣٣٤. المستدرك ٢/ ٤٠، ٥٦، ١٣٧. المعجم الكبير للطبراني ٢٢/ ٢٠٨ ـ ٢١٣. صحيح سنن أبي داود ٢/ ٧٢٣. صحيح سنن ابن ماجة ٣/ ٢١٩. صحيح سنن النسائي ٣/ ٩٠٥، ٩٠٧. إرواء الغليل ٨/ ١٣٨.

(٢) الموطأ، ص ٢٥٧. سنن النسائي ٧/ ٢٢٨. سنن ابن ماجة ٣/ ١٠٧٧. صحيح ابن حبان ١٢/ ٨٤. السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٣١٥.

(٣) الموطأ، ص ٢٥٧.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ٧٤.

لليهود، إنما المشابهة في الأفعال لا في التروك، فإن التروك كثيرة لا حصر لها.

ومن يقول بجواز المسح على الخفين يحتاج إلى إقامة الدليل عليه، ولا سيما أنه مخالف لنص القرآن الكريم بالمسح على الأرجل في قوله تعالى ﴿**إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾[١].

هذا مع أن بعض الصحابة كانوا لا يرون المسح على الخفين، ومنهم ابن عباس.

قال الكاساني في بدائع الصنائع: فالمسح على الخفّين جائز عند عامة الفقهاء وعامة الصحابة رضي الله عنهم إلا شيئاً قليلاً، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لا يجوِّز، وهو قول الرافضة. وقال مالك: يجوز للمسافر ولا يجوز للمقيم.

ثم قال: وروي أنه سئل ابن عباس رضي الله عنهما: هل مسح رسول الله على الخفين؟ فقال: والله ما مسح رسول الله على الخفين بعد نزول المائدة، ولأن أمسح على ظهر عير في الفلاة أحب إلي من أن أمسح على الخفين.

وفي رواية قال: لأن أمسح على جلد حمار أحب إليَّ من أن أمسح على الخفين[٢].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقوله: واليهود لا يلحدون، وكذلك الرافضة، وقد أُلحد لنبينا ﷺ.

جوابه: أن اللحد[٣] مستحب أيضاً عند الشيعة الإمامية، ودلّت على ذلك

(١) سورة المائدة، الآية ٦.

(٢) بدائع الصنائع ١/ ٧.

(٣) اللحد هو شق في ناحية القبر مما يلي القبلة يوضع فيه الميت، والشق هو حفيرة في وسط القبر. واللحد مستحب عند الشيعة وأهل السنة، وقد وردت فيه أحاديث، منها ما أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٢٤، =

أحاديثهم وكلمات علمائهم.

قال المحقق الحلي في المعتبر: و[يستحب] أن يجعل له (لحد)، ومعناه أن الحافر إذا انتهى إلى أرض القبر حفره مما يلي القبلة حفراً واسعاً قدر ما يجلس فيه الجالس، كذا ذكره الشيخان في النهاية والمبسوط والمقنعة، وابن بابويه في كتابه، لقوله عليه السلام: اللحد لنا والشق لغيرنا[١]. ومن طريق الأصحاب ما رواه الحلبي[٢] عن أبي عبد الله عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لحد له أبو طلحة[٣].

وقال السيد علي الطباطبائي في رياض المسائل: (وأن يجعل له لحداً) أي حفيرة واسعة بقدر ما يجلس الميت مما يلي القبلة، إجماعاً كما عن الخلاف[٤] والغنية[٥] والتذكرة[٦]، للمعتبرة، منها النبوي: اللحد لنا والشق لغيرنا. وفي الصحيح: أن رسول

= ٦/ ١٣٦ بسنده عن عائشة وابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم أُلحد له لحد. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٤٢: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وللإطلاع على المزيد من الأحاديث راجع المصنف لابن أبي شيبة ٣/ ١٤ ـ ١٥. والمصنف لعبد الرزاق ٣/ ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٩. وصحيح ابن حبان ١٤/ ٦٠٠. ومسند أبي يعلى ٤/ ٣٩٦. ومسند إسحاق بن راهويه ٢/ ٥٥٤. والمعجم الأوسط للطبراني ٦/ ٥٢.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم ٧/ ٣٤: قوله: (ألحدوا لي لحداً وانصبوا عليّ اللبن نصباً كما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم) فيه استحباب اللحد ونصب اللبن، وأنه فعل ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم باتفاق الصحابة رضي الله عنهم.

(١) سنن أبي داود ٣/ ٢١٣. صحيح سنن أبي داود ٢/ ٦١٨. سنن الترمذي ٣/ ٣٦٣. سنن ابن ماجة ١/ ٤٩٦. صحيح سنن ابن ماجة ١/ ٢٥٩. سنن النسائي ٤/ ٣٨٤. صحيح سنن النسائي ٢/ ٤٣١. السنن الكبرى للبيهقي ٣/ ٤٠٨. مشكاة المصابيح ١/ ٥٣٣. المصنف لابن أبي شيبة ٣/ ١٤. مسند أحمد ٤/ ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٢. مسند الحميدي ٢/ ٣٥٣. مسند الطيالسي، ص ٩٢. المعجم الكبير للطبراني ٢/ ٣١٧ ـ ٣٢٠، ١٢/ ٣٦.

(٢) وسائل الشيعة ٢/ ٨٣٦ ب ١٥ من أبواب الدفن ح ١.

(٣) المعتبر ١/ ٢٩٦.

(٤) الخلاف ١/ ٧٠٦ كتاب الجنائز مسألة ٥٠٣.

(٥) غنية النزوع (ضمن الجوامع الفقهية)، ص ٥٠٢، كتاب الصلاة في صلاة الأموات.

(٦) تذكرة الفقهاء ١/ ٥٢ كتاب الطهارة في الدفن.

الله صلى الله عليه وآله لحد له أبو طلحة الأنصاري[١].

وقال العلامة الحلي في كتابه تذكرة الفقهاء: ويستحب أن يجعل له لحد، ومعناه: أنه إذا بلغ الحافر أرض القبر حفر في حائطه مما يلي القبلة مكاناً يوضع فيه الميت، وهو أفضل من الشق ومعناه: أن يحفر في قعر القبر شقاً شبه النهر يوضع الميت فيه ويسقف عليه بشيء، ذهب إليه علماؤنا، وبه قال الشافعي، وأكثر أهل العلم، لقول ابن عباس: إن النبي صلى الله عليه وآله قال: (اللحد لنا والشق لغيرنا). ومن طريق الخاصة: قول الصادق عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لحد له أبو طلحة الأنصاري[٢].

إلى غير ذلك من كلمات الأعلام الدالة على استحباب اللحد عند الشيعة الإمامية، بل هي من المسائل التي ادّعى عليها الإجماع غير واحد من فقهاء المذهب، فمن الغريب قوله: (إن الشيعة لا يلحدون موتاهم)، إنّ هذا لشيء عجاب، نعوذ بالله من قول السوء والافتراء بغير حياء.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقوله: واليهود يدخلون مع موتاهم في الكفن سعفة رطبة، وكذلك الرافضة.

جوابه: أنه يريد بالسعفة الرطبة: الجريدة، ووضع الجريدة من المستحبات التي وردت فيها أحاديث صحيحة من طرق الشيعة وأهل السنة، ونصّ الأعلام على استحبابها، وأنها يؤتى بها للتأسي بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما، والنسائي والدارمي والبيهقي وابن أبي شيبة والحميدي وعبد الرزاق والطبراني وغيرهم، بأسانيدهم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مرَّ بقبرين يُعذَّبان، فقال: إنهما ليعذَّبان، وما يعذَّبان

(١) رياض المسائل ١/ ٣٥٩.

(٢) تذكرة الفقهاء ٢/ ٨٩.

في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشقَّها بنصفين، ثم غرز في كل قبر واحدة، فقالوا: يا رسول الله لم صنعت هذا؟ فقال: لعلّه أن يخفَّف عنهما ما لم ييبسا[١].

وأخرج النسائي في سننه الكبرى، وابن حبان في صحيحه ـ واللفظ له ـ عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنا نمشي مع رسول الله ﷺ، فمررنا على قبرين، فقام فقمنا معه، فجعل لونه يتغير، حتى رعد كُمُّ قميصه، فقلنا: ما لك يا رسول الله؟ قال: ما تسمعون ما أسمع؟ قلنا: وما ذاك يا نبي الله؟ قال: هذان رجلان يعذَّبان في قبورهما عذاباً شديداً في ذنب هيِّن. قلنا: مِمَّ ذلك يا نبي الله؟ قال: كان أحدهما لا يستنزه من البول، وكان الآخر يؤذي الناس بلسانه، ويمشي بينهم بالنميمة. فدعا بجريدتين من جرائد النخل، فجعل في كل قبر واحدة، قلنا: وهل ينفعهما ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، يخفَّف عنهما ما داما رطبتين[٢].

قال ابن عابدين في حاشيته بعد أن ذكر استحباب وضع الجريدة مع الميت: ودليله ما ورد في الحديث من وضعه عليه الصلاة والسلام الجريدة الخضراء بعد شقِّها نصفين على القبرين اللذين يعذبان، وتعليله بالتخفيف عنهما ما لم ييبسا، أي يخفَّف عنهما ببركة تسبيحهما، إذ هو أكمل من تسبيح اليابس، لما في الأخضر من نوع حياة، وعليه فكراهة قطع ذلك وإن نبت بنفسه ولم يُملَك، لأن فيه تفويت حق الميت.

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٩١، ٤٠٤. وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٣٠٧ إلا أنه ذكر غصنين من شجرتين، ولم يذكر خصوص الجريدتين. سنن النسائي ٤/ ٤١١، ٤١٢. صحيح سنن النسائي ٢/ ٤٤٤. سنن الدارمي ١/ ٢٠٠. مجمع الزوائد ١/ ٢٠٧، ٣/ ٥٦، ٥٧ قال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. السنن الكبرى للبيهقي ٢/ ٤١٢. السنن الكبرى للنسائي ١/ ٦٦٤. الجمع بين الصحيحين للحميدي ٢/ ٢٠. المصنف لابن أبي شيبة ٣/ ٥٥. المصنف لعبد الرزاق ٣/ ٥٨٩. المعجم الأوسط للطبراني ٤/ ٣٤٦.

(٢) سنن النسائي ٤/ ١٠٦. السنن الكبرى للنسائي ١/ ٦٦٣. صحيح ابن حبان ٣/ ١٠٦.

ويؤخذ من ذلك ومن الحديث ندب وضع ذلك للاتباع[١].

وقال أيضاً: وقد أفتى بعض الأئمة من متأخري أصحابنا بأن ما اعتيد من وضع الريحان والجريد سُنّة، لهذا الحديث[٢].

وقال ابن حجر في فتح الباري: وقد تأسَّى بريدة بن الحصيب الصحابي بذلك، فأوصى أن يوضع على قبره جريدتان كما سيأتي في الجنائز من هذا الكتاب، وهو أولى أن يتبع من غيره[٣].

وقال ابن سعد في الطبقات الكبرى، والذهبي في سير أعلام النبلاء: وروى حماد بن سلمة عن عاصم الأحول أن أبا العالية أوصى مورقاً العجلي، وأمره أن يضع في قبره جريدتين.

وقال مورق: وأوصى بريدة الأسلمي أن توضع في قبره جريدتان، ومات بأدنى خراسان، فلم توجدا إلا في جوالق حمّار، فلما وضعوه في قبره وضعوهما في قبره[٤].

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: وقد ذكر البخاري في صحيحه أن بريدة بن الحصيب الأسلمى الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أوصى أن يجعل في قبره جريدتان[٥]، ففيه أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تبرك بفعل مثل فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٦].

أقول: من ذلك كله يتَّضح أن وضع الجريدتين في القبر سُنَّة، ومن فعلها فقد تأسَّى بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ومن رغب عنها فقد رغب عن سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) حاشية ابن عابدين على رد المحتار على الدر المختار ١/ ٢٤٥.

(٢) حاشية ابن عابدين على مراقي الفلاح ٢/ ٤١٥.

(٣) فتح الباري ١/ ٢٥٦.

(٤) الطبقات الكبرى ٧/ ١١٧. سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٣.

(٥) صحيح البخاري ١/ ٤٠٤. وذكر ذلك أيضاً الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٧٠.

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم ٣/ ٢٠٢.

قال: ثم قال لي: يا مالك وفضلتهم اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود: مَن خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى. وقيل للنصارى: مَن خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى. وقيل للرافضة: مَن شر أهل ملتكم؟ قالوا: حواري محمد. يعنون بذلك طلحة والزبير، أُمروا أن يستغفروا لهم فسبّوهم.

ونحن نقول: مَن هم هؤلاء الرافضة الذين أجابوا بذلك؟ لعلّهم من جهّال الرافضة لا من علمائهم، وذلك لأن أشقى هذه الأمّة ليس حواريي النبي ﷺ كما قال، بل أشقاها هو عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين عليه السلام، كما وردت بذلك الأحاديث الكثيرة.

فقد أخرج الحاكم في المستدرك، والبيهقي في السنن الكبرى وغيرهما عن علي عليه السلام أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ الصادق المصدوق يقول: إنك ستُضرب ضربة ههنا وضربة ههنا ـ وأشار إلى صدغيه ـ فيسيل دمها حتى تختضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود[1].

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ولم يتعقّبه الذهبي بشيء.

كما أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن[2].

وأخرج أحمد وأبو يعلى والهيثمي وغيرهم عن عبد الله بن سبيع، قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: لتخضبنّ هذه من هذه، فما ينتظرني الأشقى... [3].

وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه بسنده عن عبيدة قال: قال علي: ما يحبس

---

(١) المستدرك ٣/ ١١٣. السنن الكبرى ٨/ ٥٨.

(٢) مجمع الزوائد ٩/ ١٣٧. المعجم الكبير للطبراني ١/ ١٠٦.

(٣) مجمع الزوائد ٩/ ١٣٧. قال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الله بن سبيع، وهو ثقة، ورواه البزار بإسناد حسن. مسند البزار ٣/ ٩٢.

أشقاها أن يجيء فيقتلني؟ اللهم إني قد سئمتهم وسئموني، فأرحني منهم وأرحهم مني[١].

وهذا ما دلّت عليه أيضاً أخبار الشيعة الإمامية، فقد ذكر الحر العاملي في وسائل الشيعة عن علل الشرائع للصدوق بسنده عن الأصبغ بن نباتة قال: قلت لأمير المؤمنين عليه السلام: ما يمنعك من الخضاب وقد اختضب رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: أنتظر أشقاها أن يخضب لحيتي من دم رأسي، بعهد معهود أخبرني به حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

وروى الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد بسنده عن أبي الطفيل عامر بن واثلة رحمة الله عليه، قال: جمع أمير المؤمنين عليه السلام الناس للبيعة، فجاء عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله، فردَّه مرتين أو ثلاثاً ثم بايعه، فقال عند بيعته له: ما يحبس أشقاها! فوالذي نفسي بيده لتخضبنَّ هذه من هذا. ووضع يده على لحيته ورأسه، فلما أدبر ابن ملجم منصرفاً عنه قال عليه السلام متمثلاً:

اشدُدْ حيازيمَك للموتِ ... فإنَّ الموتَ لاقيك
ولا تجزعْ مِنَ الموتِ ... إذا حلَّ بواديك
كما أضحككَ الدهرُ ... كذاك الدهرُ يُبكيك[٣]

وهي كثيرة في مصادر الشيعة، وفيما ذكرناه كفاية[٤].

---

(١) المصنف ٧/ ٤٤٤.

(٢) وسائل الشيعة ١/ ٤٠١، ٢/ ٨٤. علل الشرائع ١/ ٢٠٦.

(٣) كتاب الإرشاد ١/ ١٣. وأخرج هذا الخبر بألفاظ متقاربة الطبراني في المعجم الكبير ١/ ١٠٥.

(٤) راجع إن شئت كتاب الغارات ١/ ٧، ١٤، ٢٠، ٢/ ٦٧٧. مناقب أمير المؤمنين للكوفي ٢/ ٣٧، ٦٣، المسترشد للطبري الشيعي، ص ٧٧. شرح الأخبار للقاضي النعمان ١/ ١٦٠، ٢/ ٣٩، ٢٨٧، ٢٩١، ٢٩٢، ٣/ ٤٤٥، ٤٥٠. أمالي الشيخ الطوسي، ص ٢٦٧. إعلام الورى بأعلام الهدى، ص ١٦١. التوحيد للصدوق، ص ٣٦٨. كمال الدين وتمام النعمة، ص ٢٩٨. روضة الواعظين، ص ١٤٧. =

هذا ما دلَّت عليه الأحاديث التي رواها الفريقان، فكيف يُدان الرافضة بقول من لا يكون قوله حجة عليهم؟

ثم لماذا تغيَّرت صيغة السؤال؟ فلمَ لم يُسأل الروافض: مَنْ خير أهل ملّتكم؟

والجواب واضح، فإن الرافضة سيجيبون بأن خير أهل الملة أهل بيت نبيّنا. وهذا لا إشكال فيه على الروافض، ولا قدح فيه على الشيعة، والذي اختلق هذه القصة أراد بها الطعن في الشيعة، فلا بد من تغيير صيغة السؤال ليتم له المطلوب، فإلى الله المشتكى من قوم يختلقون الكذب ثم يحتجّون به على أهل الحق، ويُدينونهم به.

وأما رأي الشيعة الإمامية في صحابة النبي ﷺ عامّة فهو أعدل الآراء وأوسطها، فإنهم لم يقولوا بعدالة كل من رأى النبي ﷺ كما عليه الحشوية، ولم يقولوا بكفر عامة الصحابة كما عليه بعض الطوائف، وإنما قالوا: إن الصحابة ثلاث فئات نصَّ عليها الكتاب العزيز:

الفئة الأولى: هم الذين مدحهم الله في كتابه وأثنى عليهم بقوله ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[١].

وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتَّبعوهم بإحسان، وهم المؤمنون المخلصون، الذين اتَّبعوا النبي ﷺ، وجاهدوا معه في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، حتى جعلوا كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

وهؤلاء نعتقد أن الله سبحانه قد رضي عنهم ووعدهم بالجنة كما نصّت الآية

= الاحتجاج ١/ ٢٥٦. الخرائج والجرائح ١/ ٢٠١. مناقب آل أبي طالب لابن شهراشوب ٣/ ٣٥٤. كشف الغمة ١/ ١٨٩، ٢٧٩. العدد القوية للعلامة الحلي، ص ٢٣٧. حلية الأبرار ١/ ١٨٣. بحار الأنوار ٥/ ١١٤، ٣٢/ ٢١٦، ٣٣/ ٣٦٦، ٣٦/ ٢٢١، ٣٧٦، ٤١/ ٢، ١٦٤، ٣٠٠، ٣٥٤، ٤٢/ ١٩٠ـ ١٩٣، ١٩٥، ١٩٨، ٢٧٧، ٦٧/ ١٥٦، ١٧٢ وغيرها كثير.

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٠ .

المباركة السابقة. ونحن نتولاهم وندعو الله لهم بإجزال المثوبة وبالمغفرة والتوبة، ولا نرى لمؤمن أن يمسّهم بقدح أو بذم أو أن يغتابهم على ما بدر منهم.

والفئة الثانية: هم الذين ذكرهم الله سبحانه بقوله ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾[1].

وهم المنافقون الذين كانوا يكيدون للإسلام المكائد، ويتربصون به الدوائر، وكانوا يمالئون اليهود والنصارى والمشركين ويتواطؤون معهم ضد المسلمين.

وهؤلاء نعتقد بكفرهم، وبأنهم في الدرك الأسفل من النار كما نصَّ القرآن الكريم، ونتبرَّأ منهم في الدنيا والآخرة وإن نُسبت لهم الصحبة ووُضعت لهم الفضائل والمناقب، فإنها لا تساوي عندنا جناح بعوضة.

وقد دلَّت أحاديث كثيرة على أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا منافقين.

ومن تلكم الأحاديث ما أخرجه مسلم وأحمد والبيهقي وابن كثير وغيرهم عن حذيفة أنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: في أصحابي اثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سَم الخياط، ثمانية منهم تكفيكهم الدُّبيلة[2]، وأربعة لم أحفظ ما قال شعبة فيهم[3].

وأما الفئة الثالثة: فهم الذين وصفهم الله سبحانه بقوله ﴿**وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ**

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٠١.

(٢) قال في لسان العرب ١١/ ٢٣٥: الدبيلة: خُرَّاج ودُمَّل كبير تظهر في الجوف، فتقتل صاحبها غالباً. وورد تفسيرها في بعض الأحاديث كما في البداية والنهاية ٥/ ١٩ ودلائل النبوة ٥/ ٢٦١ بأنها شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك.

(٣) صحيح مسلم ٤/ ٢١٤٣. مسند أحمد ٥/ ٣٩٠. السنن الكبرى للبيهقي ٨/ ١٩٨. تفسير ابن كثير ٢/ ٣٧٣. الآحاد والمثاني ٢/ ٤٩٥.

رَحِيمٌ﴾[١].

وهم الذين خلطوا أعمالا صالحة بأعمال سيئة، فلم تبلغ بهم أعمالهم أن يكونوا من الفئة الأولى، ولم تحطهم أوزارهم فيكونوا من الفئة الثانية.

وهؤلاء ندعو لهم ونرجو لهم المغفرة والتوبة، ولا نعتقد أن لهم في الإسلام قداسة تجعلهم بمنأى من القدح والذم على سوء أعمالهم، أو أن لهم عند الله منزلة لم يبلغها غيرهم ممن جاء بعدهم.

هذا ما يعتقده الشيعة الإمامية في صحابة النبي ﷺ، وكل من نسب إليهم غير ذلك فهو إما جاهل بعقيدتهم غير متثبِّت في نقلها، أو كاذب مفترٍ عليهم.

وما قلناه هو الذي قرَّره علماؤنا الأعلام في كتبهم وأوضحوه في تآليفهم.

قال السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي أعلى الله مقامه:

إن مَن وقف على رأينا في الصحابة علم أنه أوسط الآراء، إذ لم نفرِّط فيه تفريط الغلاة الذين كفَّروهم جميعاً، ولا أفرطنا إفراط الجمهور الذين وثَّقوهم أجمعين، فإن الكاملية ومن كان في الغلو على شاكلتهم قالوا بكفر الصحابة كافة، وقال أهل السنة بعدالة كل فرد ممن سمع النبي ﷺ أو رآه من المسلمين مطلقاً، واحتجوا بحديث كل من دبَّ أو درج منهم أجمعين أكتعين أبصعين.

أما نحن فإن الصحبة بمجرَّدها وإن كانت عندنا فضيلة جليلة، لكنها ـ بما هي ومن حيث هي ـ غير عاصمة، فالصحابة كغيرهم من الرجال فيهم العدول، وهم عظماؤهم وعلماؤهم، وأولياء هؤلاء، وفيهم البغاة، وفيهم أهل الجرائم من المنافقين، وفيهم مجهول الحال، فنحن نحتج بعدولهم ونتولاهم في الدنيا والآخرة، أما البغاة على الوصي أخي النبي، وسائر أهل الجرائم والعظائم كابن هند وابن النابغة وابن الزرقاء وابن عقبة وابن أرطاة وأمثالهم فلا كرامة لهم، ولا وزن لحديثهم، ومجهول الحال نتوقف

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٢.

فيه حتى نتبيَّن أمره[١].

وأما ما قاله في طلحة والزبير من أن الشيعة أُمروا بحبِّهم فسبّوهم، فهو باطل من جهتين:

أما من جهة أنّا أُمرنا بحبِّهما فهذا لم نجده في أحاديثهم الصحيحة المروية في كتبهم، فلم نعثر على حديث واحد يأمر بحبِّهما في الصحيحين ولا في السنن الأربعة، ولو كان شيء من ذلك لذكروه.

وأما من جهة سبّهما فالشيعة الإمامية يعتقدون أن كل من خرج على أمير المؤمنين عليه السلام وأعلن عليه الحرب فهو باغٍ محارب لله ولرسوله بنصّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كائناً من كان، ويكون بذلك فاسقاً ساقط العدالة مختل الوثاقة وإن كان له في الإسلام نصيب، وكانت له خدمات سابقة وجهود مشكورة.

ويدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام: أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم[٢].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق[٣].

---

(١) أجوبة مسائل جار الله، ص ١٤ ـ ١٥ .

(٢) سنن الترمذي ٥/٦٩٨. سنن ابن ماجة ١/ ٥٢. مسند أحمد ٢/ ٤٤٢. المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٤٩ قال الحاكم: هذا حديث حسن. ولم يتعقبه الذهبي بشيء. موارد الظمآن ٢/ ١٠٠٨. صحيح ابن حبان ١٥/ ٤٣٤. مجمع الزوائد ٩/ ١٦٩. المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ٣٨١. المعجم الكبير للطبراني ٣/ ٣٠ ـ ٣١، ٥/ ٥٠٣٠. تاريخ بغداد ٧/ ١٣٧.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٦٤٣ قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. سنن ابن ماجة ١/ ٤٢. سنن النسائي ٨/ ٤٩٠. مسند أحمد ١/ ٨٤، ٩٥، ١٢٨، ٦/ ٢٩٣. السنن الكبرى للنسائي ٥/ ٤٧، ١٣٧، ٦/ ٥٣٥. مجمع الزوائد ٩/ ١٣٣ قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ٣٦٨، ٣٧٤. مسند أبي يعلى ١/ ٢١٧. تاريخ بغداد ١٤/ ٤٢٦. مشكاة المصابيح ٣/ ١٧١٩، ١٧٢٢. صحّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ١/ ٢٥، وصحيح سنن النسائي ٣/ ١٠٣٣، وسلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٧٢٠.

وقوله ﷺ: من آذى علياً فقد آذاني[١].

وقوله ﷺ: من سبَّ عليّاً فقد سبَّني، ومن سبَّني فقد سبَّ الله تعالى[٢].

وقوله ﷺ: من أحبَّ عليّاً فقد أحبَّني، ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني[٣].

فلا ندري ماذا يقول المنصفون بعد هذا كله:

هل يكون المحارب لعلي عليه السلام المبغض له، مؤمناً يحبّه الله ورسوله؟ أو فاسقاً منافقاً يبغضه الله ورسوله؟

والغريب أنهم في الوقت الذي يُفتون بأن من سبَّ أبا بكر أو عمر أو عثمان لا نصيب له في الإسلام، ولا يقبلون له أي عذر مهما كان، فيردّون رواياته ولا يأخذون بأقواله، يوثّقون جماعات يقعون في أمير المؤمنين عليه السلام ويعملون برواياتهم، وكأنهم آلوا على أنفسهم أن يخالفوا النبي ﷺ بضد ما يقول.

قال يحيى بن معين: كل من شتم عثمان أو أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ دجّال فاسق ملعون، لا يُكتب حديثه، و عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[٤].

ولهذا قالوا بتضعيف جماعة من الرواة كانوا يقعون في عثمان:

منهم: تليد بن سليمان أبو إدريس المحاربي الكوفي:

قال الذهبي في ميزان الاعتدال: قال أحمد: شيعي، لم نر به بأساً. وقال ابن

---

(١) صحيح ابن حبان ١٥/ ٣٦٥. مسند أحمد ٣/ ٤٨٣. مجمع الزوائد ٩/ ١٢٩ قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني باختصار، والبزار أخصر منه، ورجال أحمد ثقات. المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ٣٧٤.

(٢) مجمع الزوائد ٩/ ١٣٣ قال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن. وزاد فيه: (ومن أبغضني فقد أبغض الله). مشكاة المصابيح ٣/ ١٧٢٢.

(٣) مجمع الزوائد ٩/ ١٣٣ قال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن. وزاد فيه: (ومن أبغضني فقد أبغض الله).

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال ٢/ ٢٨٤. وقال في تهذيب الكمال ٤/ ٣٢٢ وتهذيب التهذيب ١/ ٤٤٧: وكل من شتم عثمان أو طلحة أو أحداً من أصحاب رسول الله... الخ.

معين: كذّاب يشتم عثمان، قعد فوق سطح فتناول عثمان، فقام إليه بعض أولاد موالي عثمان، فرماه فكسر رجليه. وقال أبو داود: رافضي يشتم أبا بكر وعمر. وفي لفظ: خبيث. وقال النسائي: ضعيف[١].

وقال يحيى بن معين: تليد بن سليمان كان كذاباً، وكان يشتم عثمان بن عفان[٢].

ومنهم: يونس بن خباب:

قال يحيى بن معين: يونس بن خباب رجل سوء، كان يشتم عثمان بن عفان.

وقال فيه أيضاً: يونس بن خباب ضعيف.

وقال: ليس بشيء.

وقال النسائي: ضعيف.

وقال السعدي: يونس بن خباب كذاب مفترٍ[٣].

ومنهم: إسماعيل بن أبي إسحاق أبو إسرائيل الملائي الكوفي:

قال ابن عدي في الكامل: إسماعيل بن أبي إسحاق خليفة ضعَّفوه، وقد كان شيعياً بغيضاً من الغلاة الذين يكفّرون عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقال أبو حاتم: لا يُحتَج به، وهو حسن الحديث، له أغاليط.

وقال أبو زرعة: صدوق في رأيه غلو.

وقال البخاري: تركه ابن مهدي...

وقال ابن معين: ضعيف.

وقال مرة: هو ثقة، وأصحاب الحديث لا يكتبون حديثه.

---

(١) ميزان الاعتدال ٢/ ٧٧.

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال ٢/ ٢٨٤.

(٣) راجع هذه الأقوال في الكامل في ضعفاء الرجال ٨/ ٥١٦.

وقال الفلاس: ليس هو من أهل الكذب.

وقال بهز بن أسد: سمعته يشتم عثمان، ويقول: قُتل كافراً[١].

وغير هؤلاء كثير يعسر تعدادهم...

بينما وثقوا جماعات كانوا يقعون في أمير المؤمنين عليه السلام ويلعنونه:

منهم: حريز بن عثمان أبو عثمان الرحبي الذي كان يلعن أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم كل صباح ومساء.

عدَّه الذهبي[٢] والسيوطي[٣] وابن العماد الحنبلي[٤] من حفَّاظ الحديث، وروى له البخاري في صحيحه، والترمذي و أبو داود والنسائي وابن ماجة في سننهم.

وسُئل عنه أحمد بن حنبل عنه فقال: ثقة ثقة. وقال: ليس بالشام أثبت من حريز. ووثّقه ابن معين ودحيم وأحمد بن يحيى والمفضل بن غسان والعجلي وأبو حاتم وابن عدي والقطان. قال ابن المديني: لم يزل من أدركناه من أصحابنا يوثّقونه. كان يلعن أمير المؤمنين عليه السلام وينتقصه وينال منه. قال ابن حبان : كان يلعن عليًّا بالغداة سبعين مرة، وبالعشي سبعين مرة[٥].

فانظر أيّها القارئ العزيز كيف وثّقوا من لا يجوز توثيقه، وضعّفوا من لا دليل على ضعفه، وما ذاك إلا لأنهم تركوا العمل بالأحاديث الصحيحة، وعملوا بالأهواء والعصبيات، نسأل الله السلامة.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) راجع هذه الأقوال في ميزان الاعتدال ٧/ ٣٢٦.

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٦. سير أعلام النبلاء ٧/ ٧٩.

(٣) طبقات الحفاظ ، ص ٧٨ .

(٤) شذرات الذهب ١/ ٢٥٧ .

(٥) راجع تهذيب التهذيب ٢/ ٢٠٧. ميزان الاعتدال ١/ ٤٧٥. تهذيب الكمال ٥/ ٥٦٨. سير أعلام النبلاء ٧/ ٧٩. تاريخ بغداد ٨/ ٢٦٥ .

قال: فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، ودعوتهم مدحوضة، ورايتهم مهزومة، وأمرهم متشتت، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، ويسعون في الأرض فساداً، والله لا يحب المفسدين.

جوابه: أنه اتَّهم الشيعة فيما تقدم كذباً وزوراً بأنهم يستحلون دم كل مسلم كاليهود، ثم قال: (إن السيف على الروافض مسلول إلى يوم القيامة)؟ فاستحل دماء طائفة من طوائف المسلمين يشهدون الشهادتين، ويقيمون شعائر الإسلام، فوقع فيما ألصقه بغيره.

فإن قال: إن الروافض ليسوا بمسلمين، فلذا جاز سل السيف عليهم.

قلنا: هذا مخالف لما نصَّ عليه أعلام أهل السنة من أنه لا يجوز تكفير أحد من أهل القبلة بذنب، لا الروافض ولا غيرهم.

فقد ذكر اللالكائي في كتابه (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) بسنده عن الإمام البخاري صاحب الصحيح أنه قال:

لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر، لقيتهم كرَّات قرناً بعد قرن، ثم قرناً بعد قرن، أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من ست وأربعين سنة، أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين، والبصرة أربع مرات في سنين ذوي عدد، بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثي أهل خراسان...

إلى أن قال: ولم يكونوا يكفِّرون أحداً من أهل القبلة بالذنب، لقوله ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء**﴾[١].

وروى بسنده عن ابن أبي حاتم قال:

سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ١٩٥، ١٩٦.

العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار: حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً، فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته...

إلى أن قالا: ولا نكفّر أهل القبلة بذنوبهم، ونكل أسرارهم إلى الله عز وجل[١].

وقال أبو الحسن الأشعري في كتابه (الإبانة): وندين بأن لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه ما لم يستحله كالزنا والسرقة وشرب الخمر، كما دانت بذلك الخوارج، وزعمت بأنهم كافرون[٢].

وقال في مقالات الإسلاميين في بيان عقيدة أهل السنة: ولا يكفِّرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر، وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر[٣].

وقال أحمد بن حنبل في كتابه (العقيدة) في بيان عقيدة أهل السنة: والكف عن أهل القبلة، ولا نكفِّر أحداً منهم بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل[٤].

وقال ابن تيمية في العقيدة الواسطية: ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل...

إلى أن قال: وهم مع ذلك لا يكفِّرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه في آية القصاص **﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾**، قال **﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾**...[٥].

---

(١) المصدر السابق ١/ ١٩٨ ـ ١٩٩.

(٢) الإبانة، ص ٢٠. ونقله عنه ابن عساكر في كتابه (تبيين كذب المفتري)، ص ١٦٠.

(٣) مقالات الإسلاميين، ص ٢٩٣.

(٤) العقيدة ٢/ ٧٦.

(٥) شرح العقيدة الواسطية، ص ١٦٢.

وقال في كتابه بيان تلبيس الجهمية: ونرى ألا نكفِّر أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنا والسرقة وشرب الخمر كما دانت بذلك الخوارج وزعمت أنهم بذلك كافرون[١].

وقال صاحب العقيدة الطحاوية: ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله[٢].

وقال ابن قدامة المقدسي في كتابه (لمعة الاعتقاد): ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار، إلا من جزم له الرسول ﷺ، لكنا نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء. ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل[٣].

وقال ابن تيمية في كتابه (بيان تلبيس الجهمية): حكى الحاكم صاحب المختصر في كتاب المنتقى عن أبي حنيفة أنه لم يكفّر أحداً من أهل القبلة، وحكى الرازي عن الكرخي وغيره مثل ذلك[٤].

وأخرج ابن عساكر في كتابه تبيين كذب المفتري طائفة من الأخبار الدالة على أنه لا يجوز تكفير أحداً من المسلمين:

منها: ما رواه بسنده عن نافع أن رجلاً قال لابن عمر: إن لي جاراً يشهد عليَّ بالشرك. فقال: قل (لا إله إلا الله) تكذّبه.

ومنها: ما رواه عن سوار بن شبيب الأعرجي، قال:كنت قاعداً عند ابن عمر، فجاء رجل فقال: يا ابن عمر، إن أقواماً يشهدون علينا بالكفر والشرك. فقال: ويلك، أفلا قلت (لا إله إلا الله). قال: فقال أهل البيت: (لا إله إلا الله). حتى ارتجَّ البيت.

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ١/ ٤٢٣.

(٢) العقيدة الطحاوية، ص ٣٢٠.

(٣) لمعة الاعتقاد، ص ١٤٤، ١٤٨.

(٤) بيان تلبيس الجهمية ١/ ٣٨١.

ومنها: ما رواه بسنده عن الأعمش عن أبي سفيان قال: أتينا جابر بن عبد الله، وكان مجاوراً بمكة، وكان نازلاً في بني فهر، فسأله رجل فقال: هل كنتم تدعون أحداً من أهل القبلة مشركاً؟ قال: معاذ الله. وفزع لذلك، قال: هل كنتم تدعونه كافراً؟ قال: لا.

قال ابن عساكر: فهذه الأخبار تمنع من تكفير المسلمين، فمن أقدم على التكفير فقد عصى سيد المرسلين[(١)].

إلى غير ذلك مما يطول ذكره.

ثم إن كلمات أعلام أهل السنة تصدح بأن المخالفين لأهل السنة مؤمنون، وإليك بعضاً منها:

روى البيهقي في كتابه (الاعتقاد) بسنده عن سفيان الثوري أنه قال: خالفنا المرجئة في ثلاث: نحن نقول: الإيمان قول وعمل، وهم يقولون قول بلا عمل، ونحن نقول يزيد وينقص، وهم يقولون لا يزيد ولا ينقص، ونحن نقول أهل القبلة عندنا مؤمنون، أما عند الله فالله أعلم، وهم يقولون نحن عند الله مؤمنون[(٢)].

وقال ابن تيمية في كتابه بيان تلبيس الجهمية في بيان ما يعتقده أهل السنة: ولا يكفّرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر، وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر، والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره حلوه ومُرّه، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، والإسلام هو أن تشهد أن لا إله إلا الله على ما جاء في الحديث[(٣)].

---

(١) تبيين كذب المفتري، ص ٤٠٥.

(٢) الاعتقاد ٢/ ١٨٣.

(٣) بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٢٩.

وقال شارح العقيدة الطحاوية: ونسمّي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ماداموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدّقين[١].

وجاء في الأحاديث بيان مصداق المسلم فيما أخرجه البخاري في صحيحه وأبو داود في سننه وغيرهما عن أنس قال : مَن شهد أن لا إله إلا الله، واستقبل قبلتنا، وصلّى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم، له ما للمسلم، وعليه ما على المسلم[٢].

قال السندي في حاشيته على سنن النسائي: قوله (من صلى صلاتنا) أي من أظهر شعائر الإسلام[٣].

وأخرج البخاري عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: مَن صلَّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذاك المسلم الذي له ذمَّة الله وذمَّة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمَّته[٤].

فإذا اتضح كل ذلك، وثبت أن معتقد أهل السنة هو أن أهل القبلة مسلمون مؤمنون، سواء أكانوا من الروافض أم من غيرهم، فحينئذ يثبت أنه لا يجوز سل السيف عليهم، وهذا ما نصَّ عليه أعلام أهل السنة من أنهم لا يرون سل السيف على أحد من المسلمين.

قال صاحب العقيدة الطحاوية: ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف[٥].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣١٣.

(٢) صحيح البخاري ١/ ١٤٤. سنن النسائي ٧/ ٧٦، ٨/ ١٠٥. ط مرقمة ٥/ ٨٨، ٤٧٩. السنن الكبرى للنسائي ٦/ ٥٣٠. ط مرقمة ٥/ ٤٧٩.

(٣) سنن النسائي ٨/ ١٠٥.

(٤) صحيح البخاري ١/ ١٤٣. الفتح الكبير ٢/ ٤٢٩. صحيح الجامع الصغير ٢/ ١٠٨٧. السنن الكبرى للبيهقي ٢/ ٣.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٧٩.

وقال اللالكائي فيما حكاه عن عقيدة الإمام البخاري صاحب الصحيح: وأن لا يُرى السيف على أمة محمد ﷺ[١].

وقال أبو أحمد الحاكم في كتابه شعار أصحاب الحديث: ونبرأ من كل من يرى السيف على المسلمين كائناً من كان[٢].

إلى غير ذلك مما يطول بيانه، وفيما ذكرناه كفاية.

والخلاصة أن ما قاله من أن السيف على الروافض مسلول إلى يوم القيامة مخالف لمعتَقَد أعلام أهل السنة ومباين لصريح أقوالهم.

وأما قوله: (وحجَّتهم مدحوضة)، فهذا كذب لا يخفى على من خالط الشيعة واطلع على ما كتبوه في المناظرات والمحاجّة مع خصومهم،حتى ألّفوا المصنفات الكثيرة في ذلك، فدونك كتاب (الاحتجاج) للطبرسي في مجلدين كبيرين، والمجلد الرابع[٣] من موسوعة (بحار الأنوار) للمولى محمد باقر المجلسي، وكتاب (المراجعات) لآية الله السيد شرف الدين، وكتاب (الفصول المختارة) للشيخ المفيد، و(الاحتجاجات العشرة) لآية الله السيد عبد الله الشيرازي، و(مناظرات في الحرمين الشريفين) للبطحائي، وكتاب (ليالي بيشاور) للسيد محمد الموسوي الشيرازي، وكتاب (مناظرات في الإمامة) و(مناظرات في العقائد والأحكام) كلاهما لصديقنا العلامة الشيخ عبد الله الحسن... إلى غيرها من الكتب الكثيرة التي اشتملت على مناظرات بين الشيعة الإمامية وأهل السنة.

وكان علماء المذهب على مرّ العصور وما زالوا يدْعون خصومهم إلى المناظرة والمحاججة في المسائل الخلافية، إلا أن علماء أهل السنة يفرّون من ذلك فراراً، وحق

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ١٩٧.

(٢) شعار أصحاب الحديث ١/ ٣١.

(٣) يوافق المجلدين التاسع والعاشر من الطبعة الحديثة.

لهم ذلك، فإن مذاهبهم لم تستند إلى ركن وثيق، ولا حصن منيع، بل استندت إلى آراء الرجال، وظنون وخيالات لا تغني من الحق شيئاً.

وأما قوله: (وأمرهم متشتّت) فيردّه أنه إن أراد بتشتت أمر الشيعة تفرّقهم في دينهم، فهذا واضح الفساد، فإن مذهب الشيعة الإمامية مذهب واحد في أصوله وفروعه، وكان الشيعة وما زالوا يرجعون إلى إمام واحد ومرجع واحد، وأما أهل السنة فاختلفوا إلى مذاهب عديدة في الفروع والأصول:

فمن مذاهبهم الباقية في الفروع مذاهبهم الأربعة المشهورة: الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي..

ومن مذاهبهم في الأصول: مذهب أبي الحسن الأشعري، ومذهب أهل الحديث، ومذهب أبي منصور الماتريدي(١).

فمن هم الذين فرّقوا دينهم وكانوا شِيَعا: أهل السنة أم الشيعة الإمامية؟

وأما إن أراد بتشتتهم تفرقهم في دنياهم، فهذا لا يضرّهم، ولم يُنهَوا عنه في كتاب أو سُنّة، بل لعل صلاح الشيعة في تفرّقهم كما يظهر من بعض الأخبار أن الأئمة سلام الله عليهم كانوا يُحْدِثون الخلاف في شيعتهم خوفاً عليهم.

هذا مع أن أهل السنة أكثر فرقة وتشتتاً، فقد انقسموا منذ زوال الدولة العباسية إلى يومنا هذا إلى دول وممالك كثيرة، قد ضعضعتها الحروب فيما بينها، وزعزعتها الفتن، فأين اجتماعهم واتفاقهم يا أيها المنصفون؟

وأما قوله: (ورايتهم مهزومة... كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله).

---

(١) قال السفاريني في لوامع الأنوار البهية ١/ ٧٣: أهل السنة والجماعة ثلاث فرق: الأثرية وإمامهم أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، والأشعرية وإمامهم أبو الحسن الأشعري، والماتريدية وإمامهم أبو منصور الماتريدي.

ثم قال ما محصّله ١/ ٧٦: إن قوله ﷺ: (إلا فرقة) ينافي التعدُّد، فالفرقة الناجية هي الأثرية، دون الأشعرية والماتريدية اللتين هما من فرق أهل الحديث.

فجوابه: أن الشيعة الإمامية أقل عدداً من أهل السنة، فإن المؤمنين وأهل الحق كانوا وما زالوا أقل عدداً من غيرهم على مرّ العصور، وجنود الشيطان وأعوان إبليس في الناس لا حصر لهم، وقد وصف الله سبحانه المؤمنين في كتابه بالقلّة، فقال جل شأنه **﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾**[١]، **﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾**[٢]، **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۞ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾**[٣]، **﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾**[٤]، **﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۞ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۞ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞ ثُلَّةٌ مِنْ الأَوَّلِينَ ۞ وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾**[٥]، **﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورُ﴾**[٦]، **﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾**[٧].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك.

كما أنه سبحانه ذمَّ الكثرة في كتابه العزيز في مواضع كثيرة، فقال عزَّ من قائل **﴿إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾**[٨]، **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾**[٩]، **﴿إِنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ**

---

(١) سورة البقرة، الآية ٨٣.

(٢) سورة هود، الآية ٤٠.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان ٦١، ٦٢.

(٤) سورة ص، الآية ٢٤.

(٥) سورة الواقعة، الآيات ١٠ ـ ١٤.

(٦) سورة سبأ، الآية ١٣.

(٧) سورة البقرة، الآية ٢٤٦.

(٨) سورة البقرة، الآية ٢٤٣.

(٩) سورة الأعراف، الآية ١٨٧. سورة يوسف، الآية ٢١، ٤٠، ٦٨. سورة الروم، الآية ٦، ٣٠. سورة سبأ، الآية ٢٨، ٣٦. سورة غافر، الآية ٥٧. سورة النحل، الآية ٣٨. سورة الجاثية، الآية ٢٦.

يُؤْمِنُونَ﴾[١]، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، ﴿وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[٣]، ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[٤]، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَليمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[٥]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[٦]، ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَام بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[٧]، ﴿ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾[٨]، ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبيلِ الله إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾[٩]، ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[١٠]، ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ﴾[١١]...

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الذامة للكثرة.

ثم إن الله سبحانه أخبر عن الكافرين بأنهم أكثر جنداً وأشد قوة، فقال سبحانه ﴿أَفَلَمْ يَسيرُوا في الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١٢]، ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ

---

(١) سورة هود، الآية ١٧.

(٢) سورة يوسف، الآية ١٠٣.

(٣) سورة الرعد، الآية ١.

(٤) سورة الزخرف، الآية ٧٨.

(٥) سورة يونس، الآية ٣٦.

(٦) سورة المؤمنون، الآية ٧٠.

(٧) سورة الفرقان، الآية ٤٤.

(٨) سورة الروم، الآية٤٢.

(٩) سورة الأنعام، الآية : ١١٦.

(١٠) سورة يس، الآية ٧.

(١١) سورة الصافات، الآية ٧١.

(١٢) سورة غافر، الآية ٨٢.

وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[١]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذير إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۞ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[٢].

فإذا كان المؤمنون قلة وغيرهم كثرة، وكان غيرهم أكثر جنداً وأموالاً، فمن الطبيعي أن يكون المؤمنون مستضعفين في الأرض، يخافون أن يتخطفهم الناس.

وقد وصف الله سبحانه عباده المؤمنين بأمثال ذلك في كتابه العزيز، فقال سبحانه ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣].

وقد وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته بأنهم المستضعفون من بعده.

فقد أخرج أحمد في المسند والطبراني في المعجم الكبير بسندهما عن أم الفضل بنت الحارث وهي أم ولد العباس أخت ميمونة، قالت: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه، فجعلت أبكي، فرفع رأسه فقال: ما يبكيك؟ قالت: خفنا عليك، ولا ندري ما نلقى من الناس بعدك يا رسول الله. قال: أنتم المستضعفون بعدي[٤].

---

(١) سورة الكهف، الآية ٣٤.

(٢) سورة سبأ، الآية ٣٥.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٢٦.

(٤) مسند أحمد ٦/ ٣٣٩. المعجم الكبير للطبراني ٢٥/ ٢٣. مجمع الزوائد ٩/ ٣٤ قال الهيثمي: رواه أحمد وفيه يزيد بن أبي زياد وضعفه جماعة. قلت: صحَّح الترمذي حديثه في سننه ١/ ١٩٣، ٣/ ١٤٧، ٥/ ٥٣٤، ٦٥٢، ٦٥٦. ونقل الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٢٢٠ توثيقه عن ابن المبارك. وقال في ٥/ ٢٦٣: قال داود: لا أعلم أحداً ترك حديثه، وغيره أحب إليّ منه، وروى له مسلم مقروناً، والبخاري تعليقاً. وقال الهيثمي في ٨/ ٢٥٨: وهو حسن الحديث. وقال أيضاً ٨/ ٧٣: وحديثه حسن، وفيه خلاف. وقال في ٨/ ٨٦، ٩/ ٣٦: وهو على ضعفه حسن الحديث. وقال الحاكم في المستدرك ٣/ ٣٧٥: ويزيد وإن لم يخرجاه فإنه أحد أركان الحديث في الكوفيين.

قلت: ذكره ابن حبان في كتاب الثقات ٧/ ٦٢٢. ووثقه ابن شاهين في تاريخ أسماء الثقات ، ص ٣٤٩ =

وأما قوله : (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله)، فهذه اتّهامات معلومة البطلان، فإن الشيعة الإمامية لم يثيروا حرباً، ولم يشهروا على المسلمين سيفاً، مع ما لاقوا من ظلم الخلفاء والولاة والناس، بل هم أكثر الطوائف مسالمة ومهادنة مع غيرهم، فكان مسلكهم مع غيرهم هو التقية والمداراة.

وهذه هي تعاليم أئمة أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم، فإنهم عليهم السلام أمروهم بمداراة سائر الطوائف، والموادّة معهم، ومعاشرتهم بالمعروف وإن بدر منهم السوء.

ففي صحيحة معاوية بن وهب، قال: قلت له: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ممن ليسوا على أمرنا؟ قال: تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم، فتصنعون ما يصنعون، فوالله إنهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم، ويؤدّون الأمانة إليهم[1].

وفي صحيحة زيد الشحام، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: اقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام، وأوصيكم بتقوى الله عزَّ وجل، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله. أدّوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها برًّا أو فاجراً... صِلوا عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث، وأدَّى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا جعفري. فيسرُّني ذلك، ويدخل عليَّ منه السرور، وقيل: هذا أدَب جعفر. وإذا كان على غير ذلك دخل عليَّ بلاؤه وعاره، وقيل: هذا أدَب جعفر. فوالله لَحَدَّثني أبي عليه السلام أن الرجل

= وقال: قال أحمد بن صالح: يزيد بن أبي زياد ثقة، لا يعجبني قول من يتكلم فيه. وقال العجلي في معرفة الثقات ٢/ ٣٦٤: مولى بني هاشم، كوفي ثقة جائز الحديث، وكان بآخره يلقن. وقال الذهبي في الكاشف: مولى بني هاشم... شيعي عالم فهم صدوق رديء الحفظ.

قلت: الظاهر أنهم ضعّفوه لتشيعه ولكونه عالماً ومولى لبني هاشم، والله العالم.

(١) الكافي ٢/ ٦٣٦.

كان يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام فيكون زينها، آداهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرةَ عنه، فتقول: مَن مثل فلان؟ إنه لآدانا للأمانة، وأصدقنا للحديث[(١)].

وفي خبر أبي علي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن لنا إماماً مخالفاً، وهو يبغض أصحابنا كلهم. فقال: ما عليك من قوله، والله لئن كنتَ صادقاً لأنت أحق بالمسجد منه، فكن أول داخل وآخر خارج، وأحسن خلقك مع الناس، وقل خيراً[(٢)].

كما أن أئمة أهل البيت عليهم السلام نهوا شيعتهم عن القيام بالسيف.

ففي صحيحة عيص بن القاسم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له، وانظروا لأنفسكم، فوالله إن الرجل ليكون له الغنم فيها الراعي، فإذا وجد رجلاً هو أعلم بغنمه من الذي هو فيها يخرجه، ويجيء بذلك الرجل الذي هو أعلم بغنمه من الذي كان فيها، والله لو كانت لأحدكم نفسان، يقاتل بواحدة يجرِّب بها، ثم كانت الأخرى باقية يعمل على ما قد استبان لها، ولكن له نفس واحدة، إذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة، فأنتم أحق أن تختاروا لأنفسكم، إن أتاكم آتٍ منا فانظروا على أي شيء تخرجون، ولا تقولوا: (خرج زيد)، فإن زيداً كان عالماً، وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه، وإنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله، ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه، إنما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه، فالخارج منا اليوم إلى أي شيء يدعوكم؟ إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ فنحن نشهدكم أنّا لسنا نرضى به، وهو يعصينا اليوم وليس معه أحد، وهو إذا كانت الرايات والألوية أجدر أن لا يسمع منا، إلا من اجتمعت بنو فاطمة معه، فوالله ما صاحبكم إلا من اجتمعوا عليه... وكفاكم بالسفياني علامة[(٣)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) وسائل الشيعة ٥/ ٣٨٢.

(٣) وسائل الشيعة ١١/ ٣٥.

وفي معتبرة الفضل الكاتب قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فأتاه كتاب أبي مسلم فقال: (ليس لكتابك جواب، اخرج عنا). إلى أن قال: (إن الله لا يعجل لعجلة العباد، ولإزالة جبل عن موضعه أهون من إزالة ملك لم ينقض أجله). إلى أن قال: قلت: فما العلامة فيما بيننا وبينك جعلت فداك؟ قال: لا تبرح الأرض يا فضيل حتى يخرج السفياني، فإذا خرج السفياني فأجيبوا إلينا ـ يقولها ثلاثاً ـ وهو من المحتوم[1].

وفي خبر سدير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا سدير الزم بيتك، وكن حلساً من أحلاسه، واسكن ما سكن الليل والنهار، فإذا بلغك أن السفياني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك[2].

وفي (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في خطبة له: الزموا الأرض، واصبروا على البلاء، ولا تحرّكوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم، ولا تستعجلوا بما لم يعجّله الله لكم، فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله وأهل بيته مات شهيداً، ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام إصلاته لسيفه، وإن لكل شيء مدة وأجلاً[3].

بل إن بعض ما ورد من وصايا الأئمة عليهم السلام لشيعتهم تجاوزت حدّ النهي عن القيام إلى الأمر بالطاعة والدعاء للسلطان، ففي وصية الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لشيعته: لا تذلّوا رقابكم بترك طاعة سلطانكم، فإن كان عادلاً فاسألوا الله بقاه، وإن كان جائراً فاسألوا الله إصلاحه، فإن صلاحكم في صلاح سلطانكم، وإن السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم، فأحبّوا له ما تحبّون لأنفسكم، واكرهوا له ما تكرهون لأنفسكم[4].

---

(١) وسائل الشيعة ١١/ ٣٧.

(٢) وسائل الشيعة ١١/ ٣٦.

(٣) نهج البلاغة، ص ٢٢٦. وسائل الشيعة ١١/ ٤٠.

(٤) وسائل الشيعة ١١/ ٤٧٢.

فإذا كانت هذه هي تعاليم أئمة أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم، فهل يظن منصف بعد هذا كله أن الشيعة يثيرون فتنة، أو يوقدون ناراً للحرب؟

وأما قوله في الشيعة بأنهم يسعون في الأرض فساداً، والله لا يحب المفسدين.

فجوابه: أن الشيعة ما أباحوا هتك حرمة من الحرمات، فلم يبيحوا دماء المسلمين ولا أموالهم ولا أعراضهم، وما شهروا سيفاً على المسلمين، ولا أباحوا محرَّماً، أو أسقطوا واجباً، وأحوالهم معروفة، يعرفها كل من خالطهم.

قال الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه (تاريخ المذاهب الإسلامية): والاثنا عشرية يوجَدون الآن في العراق... وهم عدد كثير يقارب النصف، يسيرون على مقتضى المذهب الاثنا عشري في عقائدهم ونظمهم في الأحوال الشخصية والمواريث والوصايا والأوقاف والزكوات والعبادات كلها، وكذلك أكثر أهل إيران، ومنهم من ينبثون في بقاع من سوريا ولبنان وكثير من البلاد الإسلامية، وهم يتوددون إلى من يجاورونهم من السنّيين ولا ينافرونهم[1].

* * * * *

ومما تقدّم كله قد تبيَّن للقارئ العزيز أن كل ما لفَّقه الشعبي ـ إن صحَّ الخبر عنه ـ وقوّاه ابن تيمية وأضرابه من وجوه المشابهة بين الروافض واليهود ما هو إلا افتراءات واضحة، وأكاذيب فاضحة، لا يقولها منصف، ولا يتفوّه بها مُحِق، وما هي إلا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

بل إن كل ما ذكروه في نقد مذهب الشيعة الإمامية هو على هذه الشاكلة، فإن القوم سلكوا كل المسالك وأعيتهم كل السُّبُل، فلجؤوا إلى اختلاق الأكاذيب وتلفيق الافتراءات وإلصاقها بالشيعة، والاحتجاج عليهم بها، فحسبنا الله ونعم الوكيل، وإنا

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٤٨.

لله وإنا إليه راجعون.

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾

الفصل الرابع عشر

عقائد صحيحة
ليست من مبتدعات ابن سبأ

مرَّ في البحوث السابقة أن القوم نسبوا لعبد الله بن سبأ بعض عقائد الشيعة كالقول بالرجعة، والقول بالوصاية لأمير المؤمنين عليه السلام، وأنه دابة الأرض، وجعلوها من مبتدعاته، وزعموا أنه أول من قال بها، وأن الشيعة تلقَّوها منه، فجعلوها لهم عقيدة.

ولكنا قلنا فيما تقدم أن بعض عقائد الشيعة إنما نُسبت له من أجل الإمعان في الكيد للشيعة بنسبة عقائدهم إلى رجل اتفقت المذاهب على ذمّه والبراءة منه ومن كل ما يمت له بصلة.

ونحن سنبحث في هذه المعتقدات المنسوبة إليه، وسنبيِّن للقارئ العزيز أنها عقائد صحيحة دلّت عليها الأدلة الثابتة.

إلا أنَّا قبل كل شيء نود أن نذكِّر القارئ الكريم بما سبق أن قلناه من أن

الروايات التي نسبت لابن سبأ بعض عقائد الشيعة كلها قد رُويت من طريق سيف بن عمر الوضَّاع، وحسبك هذا دليلاً على أن تلكم العقائد لا تمت إلى عبد الله بن سبأ بصلة، ولا ترتبط به من أية جهة.

الرجعة

الاعتقاد بالرجعة هو الاعتقاد بأن أقواماً يرجعون في آخر الزمان إلى الدنيا بعد موتهم، ويحيون في هذه الدنيا حياة ثانية إلى أن يموتوا مرة ثانية أو يُقتلوا، لحكمة أرادها الله سبحانه.

وقد ذهبت الشيعة الإمامية إلى القول بالرجعة، وأن الرجعة وقعت في الأمم السالفة، وستقع أيضاً في هذه الأمة في آخر الزمان، واستدلوا على ذلك بطائفة كبيرة من الآيات الشريفة التي سيأتي بيان بعضها.

قال أمين الإسلام الطبرسي في مجمع البيان: وقد تظاهرت الأخبار عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ في أن الله تعالى سيعيد عند قيام المهدي قوماً ممن تقدَّم موتهم من أوليائه وشيعته، ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته، ويبتهجوا بظهور دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم، وينالوا بعض ما يستحقّونه من العذاب في القتل على أيدي شيعته، والذل والخزي بما يشاهدون من علو كلمته. ولا يشك عاقل أن هذا مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه، وقد فعل الله ذلك في الأمم الخالية، ونطق القرآن بذلك في عدة مواضع، مثل قصة عزير وغيره، على ما فسرناه في موضعه، وصحَّ عن النبي ﷺ قوله: سيكون في أمتي كل ما كان في بني إسرائيل حذو النعل

بالنعل والقذة بالقذة، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه[١].

وكان القول بالرجعة من جملة ما شنَّع به أهل السنّة على الشيعة، وجعلوا الاعتقاد بها من الأمور المستشنعة التي ضعّفوا بها جملة من الرواة مع أنهم ثقات في نقلهم متحرِّزون عن الكذب في مروياتهم.

ولذا ردّوا روايات جابر بن يزيد الجعفي لأنه كان يقول بالرجعة.

فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن جرير أنه قال: لقيت جابر بن يزيد الجعفي فلم أكتب عنه، كان يؤمن بالرجعة.

وبسنده عن مسعر قال: حدثنا جابر بن يزيد قبل أن يُحدِث ما أحدث.

وعن سفيان قال: كان الناس يحملون عن جابر قبل أن يُظهر ما أظهر، فلما أظهر ما أظهر اتَّهمه الناس في حديثه، وتركه بعض الناس. فقيل له: وما أظهر؟ قال: الإيمان بالرجعة[٢].

مع أن سفيان الثوري كان يقول: كان جابر ورعاً في الحديث، ما رأيت أورع في الحديث من جابر[٣].

وقال فيه شعبة: صدوق في الحديث.

وقال أيضاً: لا تنظروا إلى هؤلاء المجانين الذين يقعون في جابر ـ يعني الجعفي ـ هل جاءكم عن أحد بشيء لم يلقه؟[٤]

إلى غير ذلك من كلماتهم الدالة على وثاقته[٥].

---

(١) مجمع البيان ٥/ ٢٥٢، ط صيدا ٧/ ٢٣٤.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٢٠.

(٣) الجرح والتعديل ٢/ ٤٩٧، ١/ ٧٧.

(٤) الجرح والتعديل ١/ ١٣٦.

(٥) روى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢/ ٤٩٧: عن سفيان أنه قال: إذا قال جابر حدثنا وأخبرنا فذاك.

وعن يحيى بن أبي كثير قال: كنا عند زهير يعنى ابن معاوية، فذكروا جابراً الجعفي، فقال زهير: كان =

وعلى كل حال فإن القول بالرجعة لا تمنعه العقول، ولا تردّه الأدلة، بل إن جملة وافرة من آيات الكتاب العزيزة قد دلّت على الرجعة بأتم وأوضح دلالة، ولبيان ذلك ينبغي أن نبحث في أمور:

إمكان الرجعة عند العقل:

لقد تطابقت كلمة المسلمين على أن الله جلّت قدرته يبعث الأموات يوم القيامة بصُوَرهم وأجسادهم ويعيدهم للحياة، ليجزي المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته.

واتفقوا على أن منكر ذلك كافر، لأنه مما جاء به رسول الله ﷺ قطعاً، ونصَّت عليه آيات القرآن الكريم في مواضع كثيرة.

واتفقوا على أن الإعادة من بعد الموت ليست بمحال عقلاً، بل هي أمر ممكن لا مانع من وقوعها إذا اقتضت حكمة الله ذلك، وتعلقت بها القدرة الإلهية، وذلك لأن الله سبحانه على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه ممكن.

وعليه فلا مانع أيضاً عند العقل من وقوع الرجعة قبل يوم القيامة بقدرة الله تعالى، فيرجع أقوام بعد موتهم إلى الحياة لأمر اقتضته الحكمة الإلهية.

بل إن إمكان وقوع مثل ذلك يكون بالأولوية القطعية، باعتبار أن هذه الرجعة خاصة بأقوام مخصوصين، وأنها في الحياة الدنيا، وقد وقع نظائرها في الأزمنة السالفة، بخلاف البعث يوم القيامة، فإنه عام لجميع الناس، ولم يقع مثله.

وهذا كله واضح لا إشكال فيه، وإنكاره عناد ومكابرة واضحة.

وقوع الرجعة في القرآن:

الآيات القرآنية الدالة على الرجعة كثيرة، ويمكن أن تقسَّم إلى طائفتين:

= جابر إذا قال: (سمعت) أو (سألت) فهو من أصدق الناس. وفي ٢/ ٤٩٨ عن وكيع أنه قال: مهما شككتم في شيء فلا تشكّوا أن جابر بن يزيد أبا محمد الجعفي ثقة.

الطائفة الأولى منهما دلّت على وقوع الرجعة في الأمم السالفة في وقائع عديدة:

منها: قوله تعالى **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾**[١].

أخرج الحاكم في المستدرك بسنده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾** قال: كانوا أربعة آلاف، خرجوا فراراً من الطاعون، وقالوا: نأتي أرضاً ليس بها موت. **﴿فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا﴾** فماتوا، فمرَّ بهم نبي، فسأل الله أن يحييهم فأحياهم، فهم الذين قال الله عز وجل **﴿وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾**[٢].

ومنها: قوله تعالى **﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَام ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْم قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَام فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَام كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[٣].

قال ابن كثير في تفسيره: **﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾** اختلفوا في هذا المار مَن هو، فروى ابن أبي حاتم... عن ناجية بن كعب عن علي بن أبي طالب أنه قال: هو عزير. ورواه ابن جرير عن ناجية نفسه، وحكاه ابن جرير وابن

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٤٣.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٢/ ٢٨١، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. راجع تفسير الطبري ٢/ ٣٦٥. تفسير القرطبي ٣/ ٢٣٠. الدر المنثور ١/ ٧٤١. زاد المسير ١/ ٢٨٧. معاني القرآن للنحاس ١/ ٢٤٤. تفسير النيسابوري (بهامش تفسير الطبري) ٢/ ٣٩٠. الكشاف ١/ ١٤٧. التفسير الكبير ٦/ ١٦١.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٩.

أبي حاتم عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وسليمان بن بريدة، وهذا القول هو المشهور...

إلى أن قال: وأما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس، مرَّ عليها بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها، ﴿**وَهِيَ خَاوِيَةٌ**﴾ أي ليس فيها أحد... فوقف متفكراً فيما آل أمرها إليه بعد العمارة العظيمة، وقال ﴿**أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾ وذلك لما رأى من دثورها، وشدة خرابها، وبُعدها عن العود إلى ما كانت عليه. قال الله تعالى ﴿**فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ**﴾، قال: وعمرت البلدة بعد مضي سبعين سنة من موته، وتكامل ساكنوها، وتراجع بنو إسرائيل إليها، فلما بعثه الله عز وجل بعد موته، كان أول شيء أحيا الله فيه عينيه، لينظر بهما إلى صنع الله فيه كيف يحيي بدنه، فلما استقل سوياً قال الله له ـ أي بواسطة الملَك: ﴿**كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**﴾. قال: وذلك أنه مات أول النهار، ثم بعثه الله في آخر نهار، فلما رأى الشمس باقية ظن أنها شمس ذلك اليوم، فقال: أو بعض يوم. ﴿**قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ**﴾، وذلك أنه كان معه فيما ذكر عنب وتين وعصير، فوجده كما تقدم لم يتغيَّر منه شيء، لا العصير استحال، ولا التين حمض ولا أنتن، ولا العنب نقص. ﴿**وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ**﴾ أي كيف يحييه الله عز وجل وأنت تنظر، ﴿**وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ**﴾ أي دليلاً على المعاد[1].

وقال الطبري في تفسيره: لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك، وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم، وإعادتهم بعد فنائهم، وأنه الذي بيده الحياة والموت، مِن قريش ومَن كان يكذِّب بذلك من سائر

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣١٤. راجع تفسير الطبري ٣/ ٢١ ـ ٣٠. تفسير القرطبي ٣/ ٢٨٨. زاد المسير ١/ ٣٠٨. فتح القدير ١/ ٢٧٩. تفسير الثعالبي ١/ ٢٠٥. تفسير الجلالين، ص ٣٧. الدر المنثور ٢/ ٢٦ ـ ٣٢. معاني القرآن للمرادي ١/ ٢٧٧. تفسير أبي السعود ١/ ٢٥٢. الكشاف ١/ ١٥٦. التفسير الكبير ٧/ ٢٨.

العرب[١].

ومنها: قوله تعالى ﴿**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۞ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[٢].

قال ابن كثير في تفسيره: ... عن عكرمة: ﴿**فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا**﴾ فضُرب بفخذها، فقام فقال: قتلني فلان. قال ابن أبي حاتم: وروي عن مجاهد وقتادة وعكرمة نحو ذلك. وقال السدي: فضربوه بالبضعة التي بين الكتفين، فعاش فسألوه فقال: قتلني ابن أخي. وقال أبو العالية: أمرهم موسى عليه السلام أن يأخذوا عظماً من عظامها فيضربوا به القتيل، ففعلوا فرجع إليه روحه، فسمَّى لهم قاتله، ثم عاد ميتاً كما كان... وقوله تعالى ﴿**كَذَلِكَ يُحْيِ اللهُ الْمَوْتَى**﴾ أي فضربوه فحيي، ونبَّه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القتيل، جعل تبارك وتعالى ذلك الصنيع حجّة لهم على المعاد، وفاصلاً ما كان بينهم من الخصومة والعناد[٣].

قلت: وكذلك جعل الله جلّت قدرته هذه الواقعة حجّة للقائلين بالرجعة، وبياناً بأن الله سبحانه إذا أراد شيئاً أوجده بأيسر الأسباب.

ومنها: قوله تعالى ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[٤].

قال القرطبي في تفسيره: قوله تعالى ﴿**ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ**﴾ أي أحييناكم. قال قتادة: ماتوا وذهبت أرواحهم، ثم رُدّوا لاستيفاء آجالهم. قال

---

(١) تفسير الطبري ٣/ ٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآيتان ٧٢،٧٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/ ١١٢. راجع تفسير الطبري ١/ ٢٨٢ وما بعدها. تفسير القرطبي ١/ ٤٥٥. زاد المسير ١/ ١٠٠. الدر المنثور ١/ ١٩٢ ـ ١٩٧. فتح القدير ١/ ١٠٠. التفسير الكبير ٣/ ١٢٣. الكشاف ١/ ٧٥. تفسير النيسابوري (بهامش تفسير الطبري) ١/ ٣١٢.

(٤) سورة البقرة، الآيتان ٥٥، ٥٦.

النحاس: وهذا احتجاج على من لم يؤمن بالبعث من قريش، واحتجاج على أهل الكتاب إذ خبروا بهذا، والمعنى ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ ما فُعل بكم من البعث بعد الموت. وقيل: ماتوا موت همود يَعتبر به الغير، ثم أُرسلوا[١].

وقال الطبري: يعني بقوله ﴿**ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ**﴾ ثم أحييناكم[٢].

وقال: ويعني بقوله ﴿**مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ**﴾ من بعد موتكم بالصاعقة التي أهلكتكم[٣].

أقول: هذه الآيات وغيرها دالّة بوضوح على تحقق رجعة أقوام في وقائع مختلفة إلى الحياة الدنيا بعد الموت، ولم نجد في ذلك خلافاً بين المسلمين، ولذلك تطابقت كلمات المفسِّرين وغيرهم على رجعة من ذكرتْهم الآيات الشريفة.

وهناك آيات أخر كثيرة دلّت على رجوع أقوام آخرين بعد الموت، وما ذكرناه كافٍ في بيان المراد.

رجوع أقوام إلى الدنيا في آخر الزمان:

وأما الطائفة الثانية من آيات الكتاب العزيز فقد دلَّت على أن أقواماً في آخر الزمان سيرجعون إلى الحياة الدنيا من بعد موتهم لحكمة أرادها الله سبحانه. وهي آيات كثيرة:

منها: قوله تعالى ﴿**وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾[٤].

---

(١) تفسير القرطبي ١/ ٤٠٤. راجع تفسير الطبري ١/ ٢٣٠. الدر المنثور ١/ ١٦٩. زاد المسير ١/ ٨٣. تفسير ابن كثير ١/ ٩٣. تفسير أبي السعود ١/ ١٠٣. تفسير الواحدي ١/ ١٠٦. تفسير الثعالبي ١/ ٦٦. تفسير الجلالين، ص ٩. فتح القدير ١/ ٨٦. تفسير النيسابوري ١/ ٢٨٧.

(٢) تفسير الطبري ١/ ٢٣٠.

(٣) المصدر السابق ١/ ٢٣١.

(٤) سورة النمل، الآية ٨٣.

فإن الحشر هو البعث إلى الحياة من بعد الموت، والفوج هو الزمرة والجماعة، والآية دالة بوضوح على أن الله سيحشر من كل أمة جماعة من المكذبين بآيات الله، ولا ريب في أنه لا يراد بهذا الحشر البعث العام لجميع الخلائق يوم القيامة، لأن البعث يوم القيامة لا يكون خاصاً بفوج دون فوج، بل هو عام لجميع الناس كما قال جل شأنه ﴿**وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾[١].

فلا بد أن يكون هذا الحشر الخاص واقعاً في الحياة الدنيا وقبل الحشر العام، وهذا هو المراد بالرجعة.

وفي صحيحة حماد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما يقول الناس في هذه الآية ﴿**وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا**﴾؟ قلت: يقولون إنها في القيامة. قال: ليس كما يقولون، إن ذلك في الرجعة، أيحشر الله في القيامة من كل أمّة فوجاً ويدع الباقين؟ إنما آية القيامة قوله ﴿**وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾[٢].

وعلى كل حال فالآية واضحة الدلالة على ذلك، إلا أنه لما كان معناها يتنافى مع عقيدة أهل السنة في إنكار الرجعة، فإن بعض مفسّري أهل السنة فرَّوا من بيانها، مكتفين من الآية ببيان معنى (الفوج) و(يوزعون) كما صنع الطبري والقرطبي والواحدي في تفاسيرهم، والسيوطي في الدر المنثور، وابن الجوزي في زاد المسير، وغيرهم[٣].

وآخرون منهم ذكروا أن المراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق[٤].

---

(١) سورة الكهف، الآية ٤٧.

(٢) تفسير القمي ٢/ ١٣٠. تفسير الصافي ٤/ ٧٦. تفسير نور الثقلين ٤/ ١٠٠. البرهان في تفسير القرآن ٣/ ٣١٠.

(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ١٢. الدر المنثور ٦/ ٣٨٤. تفسير القرطبي ١٣/ ٢٣٨. زاد المسير ٦/ ١٩٤. تفسير الواحدي ٢/ ٨١٠.

(٤) فيض القدير ٤/ ١٥٤. تفسير أبي السعود ٦/ ٣٠٢.

وهذا تكلّف واضح، بل هو خلاف ظاهر الآية، فإن الآية أثبتت حشراً خاصاً بأفواج من المكذّبين، ولم تُثبت أن هذا الحشر وقع قبله حشر عام آخر، ولو كان الأمر كذلك لما كان وجه لتخصيص هؤلاء بالحشر وقد حُشروا في جملة غيرهم، ثم لا أدري كيف يُحشَر هؤلاء المكذبون مرة ثانية بعد الحشر الأول العام لجميع الخلائق، والحال أن حشر عامة المكذبين يكون للعذاب، فلمَ خُصَّ هؤلاء بالحشر دون غيرهم من المكذبين؟!

وكيف كان فالآية واضحة الدلالة على الرجعة، وصرفها عن ذلك ردّ لآيات الكتاب العزيز بالأهواء والظنون والخيالات.

ومنها: قوله تعالى ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾[1].

فإن أخذ الميثاق من النبيين بالإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبنصرته بهذا التأكيد الشديد[2]، المستتبَع لأخذ الإقرار منهم والشهادة منهم ومعهم، يُظهر بوضوح أن المراد بالنصرة هي النصرة التي يُعلم بوقوعها منهم في الرجعة، لا مجرد أخذ الميثاق على نصرته صلى الله عليه وآله وسلم لو أدركه الأنبياء حيًّا كما ذكره ابن كثير في تفسيره وغيره، فإن مجرد ذلك لا يستدعي كل ذلك التأكيد وأخذ الميثاق منهم، خصوصاً مع علم الله سبحانه بعدم إدراكهم زمانه، وعدم تحقّق النصرة منهم له. فإن صدور مثل ذلك من العالِم بعدم وقوعه يُعد عند العرف عبثاً ولغواً، فيكون فعلاً مستهجناً معيباً، لا يمكن صدوره من الحكيم جل شأنه، وهذا واضح جلي.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٨١.

(٢) فإن الآية اشتملت على عدة مؤكدات: منها أن في قوله (لتؤمنن به ولتنصرنه) ستة مؤكدات: القسمين واللامين والنونين. ومنها: أخذ الإقرار منهم، وتقريرهم بقبول عهد الله. ومنها: أمرهم بالشهادة. ومنها: الشهادة معهم.

ومنها: قوله تعالى ﴿**وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ**﴾[١].

قال عكرمة: لم يكن ليرجع منهم راجع، حرام عليهم ذلك[٢].

أي يمتنع على أية قرية أهلكها الله بالعذاب أن يرجعوا.

وظاهر الآية أن المراد بالرجوع هو رجوعهم إلى الحياة الدنيا، بقرينة المقابلة مع الإهلاك الواقع في الدنيا، ففي الآية حينئذ إشارة إلى أن القرى التي لم يهلكها الله سبحانه بالعذاب، بل جاءها الموت بأسبابه الطبيعية، لا يمتنع رجوع أهلها إلى الدنيا، وفي هذا إثبات للرجعة، ولولا ذلك لما كان في هذا الإخبار أية فائدة،لأنَّا إذا لم نقل بالرجعة فكل من فارق الدنيا ـ بهلاك أو بغيره ـ لا يرجع إليها، فلا وجه حينئذ لتخصيص القرى التي أهلكها الله بعدم الرجوع إلى الدنيا.

وأما إن قلنا إن المراد هو رجوعهم عن كفرهم، ليكون معنى الآية: ويمتنع على أية قرية أهلكناها أن يرجعوا عن كفرهم.

وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، وعكرمة، ومال إليه الطبري في تفسيره.

إلا أن معنى الآية حينئذ لا يكون مفيداً، فإن كل قرية أهلك الله أهلها لا يمكن لهم أن يرجعوا عن كفرهم ويتوبوا بعد موتهم، إذ لا توبة بعد الموت كما هو معلوم.

أو يكون معناها: ويمتنع على أية قرية أردنا إهلاك أهلها أن يرجعوا عن كفرهم.

وهذا المعنى وإن كان غير ممتنع، إلا أن حمل الإهلاك على إرادة الإهلاك خلاف ظاهر اللفظ، فلا يصار إليه إلا بقرينة، ولا قرينة في البين.

وعليه فلا مناص من حمل الآية على الرجعة إلى الدنيا.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٩٥.

(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٦٩.

وأما في الآخرة فكل الناس يرجعون إلى الحياة الدائمة، من أهلكهم الله ومن لم يهلكهم، ولا فرق بينهم في ذلك.

وبهذا الذي قلناه ورد التفسير عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

فقد أخرج الطبري في تفسيره بسنده عن جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر عن الرجعة، فقرأ هذه الآية ﴿**وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ**﴾.

قال الطبري: فكأن أبا جعفر وجَّه تأويل ذلك إلى أنه وحرام على أهل قرية أمتناهم أن يرجعوا إلى الدنيا[١].

وعن الصادق عليه السلام أنه قال: كل قرية أهلك الله أهلها بالعذاب ومحضوا الكفر محضاً لا يرجعون في الرجعة، وأما في القيامة فيرجعون، أما غيرهم ممن لم يُهلكوا بالعذاب ومحضوا الكفر محضاً يرجعون[٢].

وإلى هذا ذهب بعض المفسرين أيضاً:

منهم: الجبائي، فإنه قال: معناه وحرام على قرية أهلكناها عقوبة لهم أن يرجعوا إلى دار الدنيا[٣].

وقيل في الآية وجوه من التفسير لا تعدو أن تكون مجرد تخرصات أو تكلفات لا قيمة لها.

ومنها: قوله تعالى ﴿**قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ**﴾[٤].

بتقريب أن هؤلاء القائلين أثبتوا لأنفسهم الحياة مرتين والموت مرتين: أما الحياة

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٦٩.

(٢) تفسير القمي ٢/ ٧٥. تفسير الصافي ٣/ ٣٥٤، ٣٥٥. نور الثقلين ٣/ ٤٥٨. البرهان ٣/ ٧١.

(٣) التبيان في تفسير القرآن ٧/ ٢٧٨.

(٤) سورة غافر، الآية ١١.

الأولى فهي حياتهم الأولى بعد الولادة، وهذه الحياة أعقبها موت، ثم حصلت لهم حياة أخرى بعد موتهم الأول بالرجعة، ثم حصل لهم موت آخر بعد الحياة الثانية.

هذا ما ينبغي أن تحمل عليه الآية الشريفة، وكل ما قالوه خلاف ذلك فهو لا يخلو عن إشكال.

أما ما قاله السدي واختاره الجبائي والبلخي من أن الإماتة الأولى في الدنيا، والثانية في البرزخ إذا أحيي للمسألة قبل البعث يوم القيامة.

فيرد عليه أن الحياة في البرزخ للمساءلة ليست مرادة لهؤلاء القائلين، فإنها لا عمل فيها ولا يكتسب فيها المرء ثواباً ولا إثماً، مع أن الآية تدل على أنهم قد ارتكبوا في كلا الحياتين آثاماً اعترفوا بها، ولهذا قالوا ﴿**فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا**﴾ يعني بما ارتكبناه من الإثم في هاتين الحياتين، ﴿**فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ**﴾ أي فهل ثمة سبيل إلى رجوع ثالث للحياة الدنيا، لعلنا نتدارك بعض ما فاتنا من الطاعة.

وقال قتادة : الإماتة الأولى حال كونهم نُطَفاً، فأحياهم الله، ثم يُميتهم، ثم يحييهم يوم القيامة.

ومراده أن الناس حال كونهم نُطَفاً كانوا موتى فهذا هو الموت الأول، ثم لما تكامل خلقهم حصلت لهم الحياة الأولى، ثم حصلت لهم الإماتة الثانية، ثم لما بعثهم الله يوم القيامة حصلت لهم الحياة الثانية.

وهذا فيه من التكلّف ما لا يخفى، فإن النطفة لو صحَّ أن توصف حينئذ بأنها ميتة، فلا يصح توصيفها بأنها مُماتة، فإن الإماتة لا بد في تحقّقها من سبق الحياة، فلا يمكن إماتة الميت، لأن ذلك من تحصيل الحاصل الذي هو محال، مع أن الآية نصَّت على حصول إماتتهم مرتين لا على تحقق موتهم.

ولهذا وصف الله سبحانه وتعالى الناس قبل بدء حياتهم بأنهم أموات، وأن إماتتهم إنما تقع بعد تحقق حياتهم، فقال عز من قائل ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا**

فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١].

ومنها: قوله تعالى **﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾**[٢].

بتقريب أن الله سبحانه أخبر أنه ينصر رسله والمؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأكَّد ذلك بأكثر من مؤكّد، مع أن كثيراً من الرسل لم يُنصَروا حال حياتهم، بل بعضهم قتَلهم أقوامهم، وبعض آخرون فرّوا خوفاً من أعدائهم، كما أخبر الله سبحانه في كتابه العزيز. فلا مناص من كون تلك النصرة في آخر الزمان، حينما يظهر المهدي المنتظر وينزل عيسى عليه السلام من السماء، ويعز الله أولياءه المؤمنين بنصره.

وفي الخبر عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى **﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾** قال: ذلك والله في الرجعة، أما علمت أن أنبياء كثيرة لم يُنصروا في الدنيا وقُتلوا، والأئمة بعدهم قُتلوا ولم يُنصَروا، ذلك في الرجعة[٣].

ومثل هذه الآية قوله تعالى **﴿كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾**[٤].

وقد أورد الطبري في تفسيره على هذه الآية سؤالاً، فقال: ما معنى **﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** وقد علمنا أن منهم من قتله أعداؤه، ومثّلوا به كشعياء ويحيى بن زكريا وأشباههما، ومنهم من همَّ بقتله قومه، فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم، حتى فارقهم ناجياً بنفسه، كإبراهيم الذي هاجر إلى الشام من أرضه

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨.

(٢) سورة غافر، الآية ٥١.

(٣) تفسير القمي ٢/ ٢٥٨. تفسير الصافي ٤/ ٣٤٥. تفسير نور الثقلين ٤/ ٥٢٦. البرهان في تفسير القرآن ٤/ ١٠٠ ـ ١٠١.

(٤) سورة المجادلة، الآية ٢١.

مفارقاً لقومه، وعيسى الذي رُفع إلى السماء إذ أراد قومه قتله، فأين النصرة التي أخبرنا أنه ينصرها رسله والمؤمنين به في الحياة الدنيا؟

ثم أجاب عن ذلك بجوابين:

وحاصل الأول أن النصرة إما أن تكون بإعلاء الله أنبياءه على أعدائه، وتمكينهم من الظفر بهم حتى يقهروهم ويذلوهم، كما حصل لداود وسليمان، فأعطاهما من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر، ولمحمد ﷺ بإظهاره على من كذّبه من قومه.

وإما أن تكون النصرة بالانتقام ممن حادَّهم وشاقّهم بإهلاكهم، وإنجاء الرسل ممن كذّبهم وعاداهم، كما صنع بنوح عليه السلام وقومه من تغريق قومه وإنجائه منهم، وكما صنع بموسى وفرعون وقومه إذ أهلكهم غرقاً، ونجا موسى ومن آمن به من بني إسرائيل ونحو ذلك.

وإما أن تكون النصرة بالانتقام في الحياة الدنيا من مكذّبيهم بعد وفاة الرسل، كنصرة شعياء بعد وفاته بتسليط من سلطهم الله على قتلته، وكتسليط بختنصر على قتلة يحيى بن زكريا، وكنصرة عيسى من مريدي قتله بالروم حتى أهلكهم الله بهم[١].

وروى عن السدي أنه أجاب عن ذلك بجوابين أيضاً:

أحدهما: الجواب الأخير للطبري المتقدم ذكره.

والآخر: أن يكون هذا الكلام على وجه الخبر عن جميع الرسل والمؤمنين والمراد به واحد، فيكون تأويل الكلام حينئذ إنّا لننصر رسولنا محمداً ﷺ والذين آمنوا به في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، فإن العرب تخرج الخبر بلفظ الجميع والمراد واحد[٢].

ويرد على ما قاله الطبري أن نصرة بعض الرسل والمؤمنين في الحياة الدنيا ـ وهم القلة القليلة ـ بالتمكين والقهر لأعدائهم، أو بإنجائهم وإهلاك أعدائهم، وإن كانت

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٨.

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٩.

نصرة حقيقية، إلا أن ذلك خلاف ظاهر الآية، فإن الظاهر منها أن الله سبحانه ينصر جميع الرسل والمؤمنين في الحياة الدنيا، لا القلة القليلة منهم.

نعم، إطلاق لفظ الكل وإرادة البعض وإن كان جائزاً في اللغة على نحو المجاز، إلا أنه يحتاج إلى قرينة دالة عليه، ولا قرينة في البين على ذلك، فلا يمكن حمل الكلام عليه حينئذ.

كما أن حمل لفظ (لننصر) على الانتصار لهم ولو بعد الموت خلاف ظاهر اللفظ، وحمل له على المجاز بلا قرينة، وهذا لا يصح في لغة العرب كما هو معلوم. مضافاً إلى أنه ليس كل الرسل والمؤمنين انتصر الله لهم في الحياة الدنيا كما لا يخفى على من تدبّر الحوادث الجارية والوقائع السالفة.

ويرد على ما قاله السدي أن حمل لفظ (رسلنا ورسلي) على الأغلب فضلاً عن الواحد لو جاز في لغة العرب فإنه خلاف الظاهر من اللفظ، وحمل له على المجاز، وهو يحتاج إلى قرينة، ولا قرينة على ذلك كما مرّ.

وعليه فلا مناص من حمل ألفاظ الآيتين على معانيها الحقيقية، فيكون المراد بـ (رسلنا ورسلي) كافة الرسل، والمراد بـ (ننصر) هو النصرة الحقيقية حال حياتهم لا بعد وفاتهم، وذلك إنما يتحقق في الرجعة ليس غير.

وفي كتاب الله العزيز آيات كثيرة أخر دالة على وقوع الرجعة في آخر الزمان، وفيما ذكرناه كفاية.

رجوع بعض الصحابة والتابعين إلى الحياة بعد الموت:

لقد ذكر غير واحد من علماء أهل السنة أن بعض صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجعوا إلى الحياة بعد الموت، وأنهم تكلّموا بما يثبت مذهبهم من تقديم أبي بكر وعمر على غيرهما:

منهم: زيد بن خارجة: الذي تكلَّم بعد الموت. فقد أخرج البيهقي بسنده عن

يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أن زيد بن خارجة الأنصاري، ثم من بني الحارث بن الخزرج، توفي زمن عثمان بن عفان، فسُجّي بثوبه، ثم إنهم سمعوا جلجلة في صدره، ثم تكلم ثم قال: أحمد أحمد في الكتاب الأول، صدق صدق أبو بكر الصديق، الضعيف في نفسه، القوي في أمر الله، في الكتاب الأول، صدق صدق عمر بن الخطاب، القوي الأمين في الكتاب الأول، صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجهم، مضت أربع، وبقيت اثنتان أتت بالفتن، وأكل الشديد الضعيف، وقامت الساعة، وسيأتيكم عن جيشكم خبر بئر أريس، وما بئر أريس.

قال يحيى: قال سعيد: ثم هلك رجل من بني خطمة فسُجّي بثوبه، فسُمع جلجلة في صدره، ثم تكلم فقال: إن أخا بني الحارث بن الخزرج صدق صدق.

قال البيهقي: هذا إسناد صحيح، وله شواهد[١].

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة، وأبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا في كتاب (من عاش بعد الموت) بسنده عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: جاءنا يزيد بن النعمان بن بشير إلى حلقة القاسم بن عبد الرحمن بكتاب أبيه النعمان بن بشير ـ يعني إلى أمه ـ: بسم الله الرحمن الرحيم من النعمان بن بشير إلى أم عبد الله بنت أبي هاشم، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، فإنك كتبت إليَّ لأكتب إليك بشأن زيد بن خارجة، وأنه كان من شأنه أنه أخذه وجع في حلقه، وهو يومئذ من أصح أهل المدينة، فتوفي بين صلاة الأولى وصلاة العصر، فأضجعناه لظهره، وغشيناه ببردين وكساء، فأتاني آت في مقامي، وأنا أسبح بعد العصر، فقال: إن زيداً قد تكلم بعد وفاته، فانصرفت إليه مسرعاً، وقد حضره قوم من الأنصار، وهو يقول أو يقال على لسانه: الأوسط أجلد القوم، الذي كان لا يبالي في الله لومة لائم، كان لا يأمر الناس أن يأكل قويهم ضعيفهم، عبد الله أمير المؤمنين، صدق صدق، كان ذلك في الكتاب

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٥٥. البداية والنهاية ٦/ ١٦٤.

الأول. ثم قال: عثمان أمير المؤمنين وهو يعافي الناس من ذنوب كثيرة، خلت اثنتان وبقي أربع، ثم اختلف الناس وأكل بعضهم بعضاً، فلا نظام، وأبيحت الأحماء، ثم ارعوى المؤمنون. وقال: كتاب الله وقدره، أيها الناس أقبلوا على أمير كم واسمعوا وأطيعوا، فمن تولى فلا يعهدن دماً، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، الله أكبر هذه الجنة وهذه النار، ويقولن النبيون والصديقون: سلام عليكم، يا عبد الله بن رواحة هل أحسست لي خارجة لأبيه، وسعداً اللذين قتلا يوم أحد؟ ﴿**كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى ۞ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ۞ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ۞ وَجَمَعَ فَأَوْعَى**﴾[1]. ثم خفَتَ صوته، فسألت الرهط عما سبقني من كلامه، فقالوا: سمعناه يقول: أنصتوا أنصتوا. فنظر بعضنا إلى بعض، فإذا الصوت من تحت الثياب، قال: فكشفنا عن وجهه فقال: هذا أحمد رسول الله، سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. ثم قال: أبو بكر الصديق الأمين خليفة رسول الله، كان ضعيفاً في جسمه، قوياً في أمر الله، صدق صدق وكان في الكتاب الأول[2].

قال البيهقي: هذا إسناد صحيح.

وقال البخاري في التاريخ: زيد بن خارجة الخزرجي الأنصاري شهد بدراً، توفي زمن عثمان، وهو الذي تكلم بعد الموت[3].

وكذا قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل[4]، وابن حبان في الثقات، وفي مشاهير علماء الأمصار[5]، والذهبي في الكاشف[6]، وابن حجر في تقريب التهذيب،

---

(١) سورة المعارج، الآيات ١٦ ـ ١٩.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٥٥. من عاش بعد الموت، ص ١٤. البداية والنهاية ٦/ ١٦٤.

(٣) التاريخ الكبير ٣/ ٣٨٣.

(٤) الجرح والتعديل ٣/ ٥٦٢.

(٥) الثقات ٣/ ١٣٧. مشاهير علماء الأمصار، ص ٣٧.

(٦) الكاشف ١/ ٤١٦.

وتهذيب التهذيب، والإصابة[١]، والمزي في تهذيب الكمال[٢]، وابن عبد البر في الاستيعاب[٣]، وابن سعد في الطبقات الكبرى[٤] وغيرهم.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: زيد بن خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك... وهو الذي تكلَّم بعد الموت لا يختلفون في ذلك، وذلك أنه غُشي عليه قبل موته، وأُسري بروحه، فسُجّي عليه بثوبه، ثم راجعته نفسه، فتكلَّم بكلام حُفظ عنه في أبي بكر وعمر وعثمان، ثم مات في حينه. روى حديثه هذا ثقات الشاميين عن النعمان بن بشير، ورواه ثقات الكوفيين عن يزيد بن النعمان بن بشير عن أبيه، ورواه يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب[٥].

وقال ابن الأثير في أسد الغابة: وهذا زيد هو الذي تكلم بعد الموت في أكثر الروايات، وهو الصحيح[٦].

ومنهم: ربيع بن حراش:

قال ابن سعد في الطبقات: ربيع بن حراش الذي تكلم بعد الموت[٧].

وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل: ربيع بن حراش أخو ربعي بن حراش الذي تكلم بعد الموت، وذُكِر أمره لعائشة فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه يتكلم رجل من أمتي بعد الموت من خير التابعين[٨].

---

(١) تقريب التهذيب، ص ٢٢٣. تهذيب التهذيب ٣/ ٣٥٣. الإصابة ٢/ ١٩٠، ٣٠٧، ٤٩٨، ٣/ ٤٤، ٨/ ٣٤٠.

(٢) تهذيب الكمال ١٠/ ٦٠، ٦١، ٣٥/ ٣٨٠.

(٣) الاستيعاب ٢/ ٤١٧، ٥٤٧.

(٤) الطبقات الكبرى ٣/ ٥٢٤، ٨/ ٣٦٤.

(٥) الاستيعاب ٢/ ٥٤٧.

(٦) أسد الغابة ٢/ ٣٥٤.

(٧) الطبقات الكبرى ٦/ ١٢٧.

(٨) الجرح والتعديل ٣/ ٤٥٦.

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن ربعي بن حراش، قال: أتيتُ فقيل لي: إن أخاك قد مات. فجئت فوجدت أخي مسجّى عليه ثوب، فأنا عند رأسه أستغفر له وأترحم عليه، إذ كشف الثوب عن وجهه، فقال: السلام عليك. فقلت: وعليك. فقلنا: سبحان الله أبعد الموت؟! قال: بعد الموت، إني قدمت على الله عز وجل بعدكم فتُلُقّيت بروح وريحان وربٍّ غير غضبان، وكساني ثياباً خضراً من سندس وإستبرق، ووجدت الأمر أيسر مما تظنون، فلا تتكلوا، إني استأذنت ربي عز وجل أن أخبركم وأبشّركم، فاحملوني إلى رسول الله ﷺ فقد عهد إليّ ألا أبرح حتى ألقاه. ثم طفي كما هو.

قال البيهقي: هذا إسناد صحيح لا يشك حديثيٌّ في صحته[1].

قلت: ثم إنهم رووا أيضاً أن قوماً آخرين غير زيد والربيع قد تكلموا بعد الموت.

قال البيهقي: وقد روي في التكلم بعد الموت عن جماعة بأسانيد صحيحة.

وأخرج بسنده عن عبد الله بن عبيد الأنصاري، أن رجلاً من قتلى مسيلمة تكلم فقال: محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عثمان الأمين الرحيم. لا أدري أيش قال لعمر[2].

وأخرج أيضاً بسنده عن عبد الله بن عبيد الأنصاري قال: بينما هم يثورون القتلى يوم صفين أو يوم الجمل، إذ تكلم رجل من الأنصار من القتلى، فقال: محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الشهيد، عثمان الرحيم. ثم سكت.

قلت: والأحاديث التي رووها في ذلك كثيرة جداً لا يسعنا استقصاؤها[3]،

---

(١) دلائل النبوة ٦/ ٤٥٤. الثقات لابن حبان ٤/ ٢٢٧. من عاش بعد الموت، ص ٣٠. البداية والنهاية ٦/ ١٦٦.

(٢) دلائل النبوة ٦/ ٥٨. من عاش بعد الموت، ص ١٩.

(٣) راجع مجمع الزوائد ٥/ ١٨٠، ٧/ ٢٣٠. المعجم الأوسط ٧/ ٣٤٧. المعجم الكبير ٤/ ٢٠٢، ٥/ ٢١٨ ـ ٢١٩. التاريخ الصغير للبخاري ١/ ٨٦.

وقد ألّف ابن أبي الدنيا في ذلك كتاباً أسماه (من عاش بعد الموت)، جمع فيه وقائع كثيرة، فراجعه تجد فيه العجائب.

ثم إن زيد بن خارجة وغيره ممن زعموا أنهم تكلموا بعد الموت إن كانوا قد رُدَّت لهم أرواحهم فهذا إقرار منهم بالرجعة، وإن كانت أرواحهم لم تُردّ إليهم، بل تُكُلِّم على لسانهم، فهذا لا يُعَدّ فضيلة لهم، وكلام من تكلم بعد موته حينئذ لا قيمة له، فإنه لا يُعلم أنه قول صحابي، بل لا يُعلَم قول مَن هو؟ فلعله قد جرى على لسانهم قول شيطان، أو قول واحد من نواصب الجن، بقرينة إغفاله ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في جميع الروايات التي رووها، أو لعل القضية من أصلها مختلقة كما هو الراجح، فإن كثيراً من تلك الروايات مروي عن الشعبي، وهو ضعيف عندنا، وإن كان ثقة عندهم يُحتَج به عليهم.

رجوع أبي جهل إلى الدنيا:

أخرج البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن الشعبي أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: إني مررت ببدر فرأيت رجلاً يخرج من الأرض، فيضربه رجل بمقمعة معه، حتى يغيب في الأرض، ثم يخرج فيُفعل به مثل ذلك، قال ذلك مراراً. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ذاك أبو جهل بن هشام يعذَّب إلى يوم القيامة[١].

رجوع فصيل ناقة صالح:

قال القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن) في بيان أقوال علماء أهل السنة في دابة الأرض: فأول الأقوال أنه فصيل ناقة صالح، وهو أصحُّها...

إلى أن قال : وذلك أن الفصيل لما قُتلت الناقة هرب، فانفتح له حجر فدخل في جوفه، ثم انطبق عليه، فهو فيه حتى يخرج بإذن الله عز وجل[٢].

---

(١) دلائل النبوة ٣/ ٨٩. البداية والنهاية ٣/ ٢٩٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٣٥.

قلت: إن كان فصيل ناقة صالح قد مات لما دخل في جوف الحجر فحياته بعد ذلك إقرار بالرجعة للبهائم، وإن كان الفصيل لم يمت فبقاؤه هذا العمر الطويل جائز في حق البهائم.

والعجب أن أهل السنة شنّعوا على الشيعة القول بالرجعة لأئمة أهل البيت عليهم السلام وسائر المؤمنين وبعض المنافقين، وأقرّوا برجعة بعض البهائم. وكذلك أنكروا بقاء الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري عليه السلام عمراً طويلاً، وأقرّوا ببقاء البهائم عمراً أطول من عمره عليه السلام، وما عشت أراك الدهر عجباً.

رجوع حمار إلى الدنيا:

أخرج أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب (من عاش بعد الموت) بسنده عن الشعبي أن قوماً أقبلوا من اليمن متطوّعين في سبيل الله، فنفق حمار رجل منهم، فأرادوه أن ينطلق معهم فأبى، فقام فتوضأ وصلى، فقال: اللهم إني جئت من الدفينة مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك، وإني أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور، لا تجعل لأحد عليَّ منَّة، وإني أطلب إليك أن تبعث لي حماري. ثم قام إلى الحمار فضربه، فقام الحمار ينفض أذنيه، فأسرجه وألجمه، ثم ركبه فأجراه فلحق بأصحابه، فقالوا: ما شأنك؟ قال: شأني أن الله بعث لي حماري. قال الشعبي: فأنا رأيت الحمار بيع أو يباع بالكناسة ـ يعني بالكوفة[1].

قلت: إن الشيعة عندما يروون أمثال ذلك في حق أئمتهم يكون ذلك غلوّاً فيهم، وأما رواية هذا الخبر وغيره في حق رجل من اليمن لا يُعرَف من هو فإنه لا يكون غلواً، فلا أدري لمَ باؤكم تجر، وباء غيركم لا تجر؟

نعم، باء غيرهم لا تجر بسبب البغض المستتر، والعداء المضمر، والنَّصب

(١) من عاش بعد الموت، ص ٣١. ونقله ابن كثير عنه في البداية والنهاية ٦/ ١٦١ وقال: قال البيهقي: هذا إسناد صحيح.

الظاهر لأهل البيت عليهم السلام ولشيعتهم.

سبب شدة النفرة من القول بالرجعة:

من كل ما مرَّ يتّضح أن الرجعة إلى الدنيا لا مانع منها عقلاً، بل هي قد وقعت كثيراً، وقد اعترف علماء أهل السنة بوقوعها كما أوضحناه مفصَّلاً.

إلا أن القوم أنكروا الرجعة أي إنكار، لا لشيء فيها، وإنما للقول بأن أمير المؤمنين عليه السلام يرجع إلى الدنيا في آخر الزمان دون الخلفاء الثلاثة، مع أنهم رووا عن علي عليه السلام أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي إن لك في الجنة كنزاً، وإنك ذو قرنيها...[1].

قال المنذري في الترغيب والترهيب: قوله صلى الله عليه وسلم لعلي: (وإنك ذو قرنيها) أي ذو قرني هذه الأمة، وذاك لأنه كان له شجَّتان في قرني رأسه، إحداهما من ابن ملجم لعنه الله، والأخرى من عمرو بن ود[2].

قلت: بل لأنه يُضرب أولاً من ابن ملجم لعنه الله، فيموت ثم يحيا، فيُضرب ثانية على رأسه فيموت. ولولا ذلك لما كان لأمير المؤمنين عليه السلام خصوصية بسبب تلكم الضربتين، فإن غيره قد ضُرب على رأسه ضربات كثيرة.

ويدل على ذلك أنهم رووا عن علي عليه السلام أنه قال: سلوني قبل أن لا تسألوني، ولن تسألوا بعدي مثلي. فقام إليه ابن الكواء فقال: ما كان ذو القرنين؟ أملك كان أم

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٢٣ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. مجمع الزوائد ٤/ ٢٧٧، ٨/ ٦٣ قال الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الأوسط... ورجال الطبراني ثقات. المصنف لابن أبي شيبة ٤/ ٧، ٦/ ٣٧٠. الأحاديث المختارة ٢/ ١٠٨، ١٠٩. صحيح ابن حبان ١٢/ ٣٨١. مسند أحمد ١/ ١٥٩. مسند أبي يعلى ٣/ ١٢١. المعجم الأوسط ١/ ٢٠٩. الترغيب والترهيب ٣/ ٨. شرح معاني الآثار ٣/ ١٤. مسند البزار ٣/ ١٢١. فضائل الصحابة ٢/ ٦٠١، ٦٤٨. إتحاف الخيرة المهرة ٩/ ٢٤٩.

(٢) الترغيب والترهيب ٣/ ٨.

نبي؟ فقال: لم يكن ملكاً ولا نبياً، ولكنه كان عبداً صالحاً، أحبَّ الله وأحبَّه الله، وناصح فنصحه، ضُرب على قرنه الأيمن فمات، ثم بعثه الله عز وجل، وضُرب على قرنه الأيسر فمات، وفيكم مثله[1].

وهذه الرواية واضحة الدلالة في أن سبب تسميته بذي القرنين أنه ضُرب على قرنه الأيمن فمات، ثم بعثه الله، ثم ضُرب على قرنه الأيسر فمات.

وقوله: (وفيكم مثله) ظاهر في أن أمير المؤمنين عليه السلام كذلك، وهذا واضح لا غبار عليه.

وبذلك يتضح أن هذه الأخبار فيها إشارة إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام يضربه ابن ملجم لعنه الله على قرنه فيموت، ثم يرجع إلى الدنيا، فيُضرب على قرنه مرة أخرى فيموت كما وقع لذي القرنين.

فهذه الأخبار والآثار دالة على رجعة أمير المؤمنين عليه السلام، وهي واضحة لا تحتاج إلى مزيد تأمل، إلا أن القوم أنكروا دلالتها على ذلك، لأنها تُثبت لأمير المؤمنين عليه السلام فضيلة لم تَثبت لواحد من الخلفاء الثلاثة، كما أنكروا غيرها من الفضائل للسبب نفسه.

والحاصل أن الرجعة إلى الحياة بعد الموت أمر ممكن، بل هي واقعة في الأزمنة السالفة، وواقعة في هذه الأمة كما مرَّ، وأنها ستقع في آخر الزمان.

بهذا نطقت الآيات القرآنية الشريفة، ونصّت الأحاديث الثابتة عند الشيعة

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ٣٤٩. كتاب السنة لابن أبي عاصم ٢/ ٥٨٣. تفسير الطبري ١٦/ ٨. الدر المنثور ٥/ ٤٣٥. معتصر المختصر ٢/ ٣٠٢. مسند الشاشي ٢/ ٩٦. كتاب العظمة ٤/ ١٤٤٩. الآحاد والمثاني ١/ ١٤١. جزء فيه أحاديث ابن حيان لابن مردويه، ص ١٥٣ ولم يذكر ضربه ولا موته، بل ذكر: وإن فيكم لشبهه أو مثله. فتح الباري ٦/ ٢٩٥ قال ابن حجر: وسنده صحيح سمعناه في الأحاديث المختارة للحافظ الضياء. قلت: أخرجه في الأحاديث المختارة ٢/ ١٧٥ إلا أنه لم يقل: وفيكم مثله.

وأهل السنة، فلا مناص من الاعتقاد بها، ولا سبيل إلى إنكارها، لأن إنكارها يستلزم ردّ الآيات الصريحة والأحاديث النبوية الصحيحة.

الوصاية

إن القول بأن علياً عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما مرَّ ليس من مبتدعات ابن سبأ، بل هو مما صحّ وثبت، وورد ذكره في أحاديث كثيرة، وقال به جمع من الصحابة والتابعين.

ويدل على ثبوت الوصاية لأمير المؤمنين عليه السلام أمور:

١ـ أن الوصية من الواجبات الدينية المهمة، وقد أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها، فلا يمكن أن يتخلى عنها.

أما أنها من الواجبات المهمة فلأن تركها يستلزم وقوع الأمة في الفرقة والخلاف اللذين نهى الله سبحانه عنهما بقوله ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فيهِ**﴾[1]، وقوله ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾[2]، وقوله ﴿**وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ**

(١) سورة الشورى، الآية ١٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١].

ولهذا لما أنكر جمع من الصحابة الوصاية لأمير المؤمنين عليه السلام[٢] وقع الاختلاف بين الصحابة من أول يوم انتقل فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى، واستمر الخلاف بين المسلمين إلى هذا اليوم.

وأما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أمر بها فيدل على ذلك أحاديث:

منها: ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجة والدارمي والدارقطني في سننهم، ومالك في الموطأ، وأحمد والطيالسي والحميدي في مسانيدهم، والبيهقي وأبو يعلى والطبراني وابن أبي شيبة وغيرهم بأسانيدهم عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما حق امرئ مسلم أن يبيت ليلتين وله شيء يوصي فيه إلا ووصيته مكتوبة عنده[٣].

أقول: وأي شيء يوصَى فيه أعظم من أمر الخلافة والإمامة وما يهم المسلمين،

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٥.

(٢) وممن أنكرها عائشة، فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت: يقولون: إن رسول الله أوصى إلى علي رضي الله تعالى عنه، لقد دعا بالطست ليبول فيها، فانخنثت نفسه صلى الله عليه وسلم وما أشعر، فإلى من أوصى؟ (راجع صحيح البخاري ٣/ ١٣٤٤، ٢/ ٨٤٢. صحيح مسلم ٣/ ١٢٥٧. صحيح ابن حبان ١٤/ ٥٦٩. سنن النسائي ١/ ٣٦، ٦/ ٥٥١. سنن ابن ماجة ١/ ٥١٩. مسند أحمد ٦/ ٣٢. الطبقات الكبرى ٢/ ٢٦١. السنن الكبرى للبيهقي ١/ ٩٩. السنن الكبرى للنسائي ٤/ ١٠١. صحّحه الألباني في صحيح سنن النسائي ١/ ٩، ٢/ ٧٧٠. وصحيح سنن ابن ماجة ١/ ٢٧١).

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٨٤١. صحيح مسلم ٣/ ١٢٤٩. سنن الترمذي ٣/ ٣٠٤، ٤/ ٤٣٢. سنن أبي داود ٣/ ١١٢. سنن ابن ماجة ٢/ ٩٠١، ٩٠٢. سنن النسائي ٦/ ٥٤٩. سنن الدارمي ٢/ ٨٥٩. مسند أحمد ٢/ ١٠، ٥٠، ٥٧، ٨٠. السنن الكبرى للنسائي ٤/ ١٠٠. السنن الكبرى للبيهقي ٦/ ٢٧١، ٢٧٢. السنن المأثورة للشافعي ٢/ ٣٩٠. سنن الدارقطني ٤/ ١٥٠. مسند الحميدي ٢/ ٣٠٦. مسند أبي يعلى ٥/ ١٨٩. المعجم الأوسط الطبراني ١/ ٢٠٣، ٢/ ٣٤٣. المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ٢٢٩. مسند الطيالسي ٢/ ٢٥٢.

مما يؤدي تركه إلى وقوع الفتن والفُرقة والاختلاف؟

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: المحروم من حرم وصيته[١].

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ مات على وصية مات على سبيل وسُنَّة، ومات على تقىً وشهادة، ومات مغفوراً له[٢].

إذا اتضح ذلك فاعلم أن المسلمين قد اتفقوا على أن غير علي عليه السلام لم يكن وصيّاً، فإن قلنا: (إن علياً عليه السلام هو الوصي) فقد ثبت المطلوب، وإن لم نقل بذلك فهذا يستلزم الطعن في النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتخلف عن أعظم الواجبات، وهو باطل باتفاق المسلمين، فلا بد حينئذ من القول بثبوت الوصية لأمير المؤمنين عليه السلام.

٢ـ أن الوصية لأمير المؤمنين عليه السلام وردت في أحاديث كثيرة:

منها: ما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير والهيثمي في مجمع الزوائد عن ذؤيب أن النبي ﷺ لما حُضِر قالت صفية: يا رسول الله لكل امرأة من نسائك أهل تلجأ إليهم، وإنك أجليت أهلي، فإن حدَثَ حدَثٌ فإلى مَن؟ قال: إلى علي بن أبي طالب[٣].

ومنها: ما أخرجه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة والطبراني في معجمه الكبير بسندهما عن سلمان قال: قلت: يا رسول الله إن لكل نبي وصياً، فمن وصيك؟ فسكت عني، فلما كان بعدُ رآني فقال: يا سلمان. فأسرعت إليه قلت: لبيك. قال: تعلم مَن وصي موسى؟ قلت: نعم، يوشع بن نون. قال: لِمَ؟ قلت: لأنه كان أعلمهم يومئذ.

---

(١) سنن ابن ماجة ٢/ ٩٠١. مسند أبي يعلى ٧/ ١٥٢ ط أخرى ٣/ ٤٠٢. مجمع الزوائد ٤/ ٢٠٩ قال الهيثمي: رواه أبو يعلى، وإسناده حسن. مسند الطيالسي ٢/ ٢٨٢.

(٢) سنن ابن ماجة ٢/ ٩٠١.

(٣) المعجم الكبير للطبراني ٤/ ٢٣٠. مجمع الزوائد ٩/ ١١٢ قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

قال: فإن وصيّي، وموضع سرّي، وخير من أترك بعدي، وينجز عدتي، ويقضي ديني، علي بن أبي طالب[١].

ومنها: ما أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط، والهيثمي في مجمع الزوائد، عن أبي الطفيل، قال: خطبنا الحسن بن علي بن أبي طالب، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه خاتم الأوصياء، ووصي الأنبياء، وأمين الصديقين والشهداء.

ثم قال: يا أيها الناس لقد فارقكم رجل ما سبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون، لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيه الراية، فيقاتل جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فما يرجع حتى يفتح الله عليه، ولقد قبضه الله في الليلة التي قبض فيها وصي موسى، وعُرج بروحه في الليلة التي عرج فيها بروح عيسى بن مريم، وفي الليلة التي أنزل الله عز وجل فيها الفرقان، والله ما ترك ذهباً ولا فضة، وما في بيت ماله إلا سبعمائة وخمسون درهماً فضلت من عطائه أراد أن يشتري بها خادماً لأم كلثوم...[٢].

ومنها: ما أخرجه الطبري في تاريخه بسنده عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

---

(١) فضائل الصحابة ٢/ ٦١٥. المعجم الكبير للطبراني ٦/ ٢٢١. كنز العمال ١١/ ٦١٠. مجمع الزوائد ٩/ ١١٣ قال الهيثمي: رواه الطبراني... وفي إسناده ناصح بن عبد الله وهو متروك.

قلت: ضعفوه لأنه منكر الحديث كما نص عليه البخاري في التاريخ الصغير ٢/ ٢٠٠، والتاريخ الكبير ٨/ ١٢٢، وأبو حاتم الرازي في الجرح والتعديل ٨/ ٥٠٢. وسبب نكارة أحاديثه روايته ما لا يرتضيه البخاري وأمثاله من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك لأن الرجل كان من أقران أبي حنيفة وممن روى عنهم أبو حنيفة، وقال فيه ابن حبان في كتاب المجروحين ٣/ ٥٤: كان شيخاً صالحاً غلب عليه الصلاح... وقال الحسن بن صالح كما في الكامل ٨/ ٣٠٢، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٣٥٨، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٢٦٣: ناصح بن عبد الله المحلمي نعم الرجل. وقال يحيى بن سعيد: رجل صالح.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني ٢/ ٣٣٦. مجمع الزوائد ٩/ ١٤٦ قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار، إلا أنه قال: ليلة سبع وعشرين من رمضان. وأبو يعلى باختصار، والبزار بنحوه، إلا أنه قال: ويعطيه الراية فإذا حم الوغى فقاتل جبريل عن يمينه. وقال: وكانت إحدى وعشرين من رمضان. ورواه أحمد باختصار كثير، وإسناد أحمد وبعض طرق البزار والطبراني في الكبير حسان.

عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم الدار: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً. وقلت وإني لأحدثهم سناً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا(١).

ومنها: ما أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لابنته فاطمة عليها السلام في حديث طويل: أنا خاتم النبيين، وأكرم النبيين على الله، وأحب المخلوقين إلى الله عز وجل، وأنا أبوك، ووصيّي خير الأوصياء، وأحبّهم إلى الله، وهو بعلك(٢).

ومنها: ما أخرجه العقيلي في الضعفاء وغيره عن سلمان، قلت: يا رسول الله مَن وصيك؟ قال: وصيي، وموضع سري، وخليفتي على أهلي، وخير من أخلفه بعدي: علي بن أبي طالب.

وعن بريدة عن أبيه رفعه: لكل نبي وصي ووارث، وإن علياً وصيّي ووارثي(٣).

وعن أبي ذر رفعه: أنا خاتم النبيين، وعلي خاتم الأوصياء.

وأخرج الخطيب في تاريخ بغداد بسنده عن ابن عباس في حديث طويل عن

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٦٣. كنز العمال ١٣/ ١١٤، ١٣١ عن ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٣/ ٥٢. مجمع الزوائد ٩/ ١٦٥.

(٣) ذخائر العقبى، ص ١٣١. قال الطبري: أخرجه الحافظ أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة. تاريخ دمشق (ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام) ٣/ ٥. مناقب الإمام علي بن أبي طالب لابن المغازلي، ص ١٩٢. كنوز الحقائق ٢/ ١١. الكامل في الضعفاء ٥/ ٢١.

النبي ﷺ قال: هذا علي بن أبي طالب وصي رسول رب العالمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين[١].

وقال اليعقوبي في تاريخه: بلغ عثمان أن أبا ذر يقعد في مسجد رسول الله، ويجتمع إليه الناس، فيحدّث بما فيه الطعن عليه، وأنه وقف بباب المسجد فقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري، أنا جندب بن جنادة الربذيّ ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعضٍ واللهُ سَمِيعٌ عَليمٌ**﴾، محمد الصفوة من نوح، فالأول من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، والعترة الهادية من محمد. إنه شرف شريفهم، واستحقوا الفضل في قوم هم فينا كالسماء المرفوعة، وكالكعبة المستورة، أو كالقبلة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجرة الزيتونية، أضاء زيتها، وبورك زبدها. ومحمد وارث علم آدم، وما فضل به النبيون، وعلي بن أبي طالب وصيُّ محمد ووارث علمه. أيتها الأمة المتحيَّرة بعد نبيّها، أما لو قدّمتم من قدّم الله، وأخّرتم من أخّر الله، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوق رؤوسكم، ومن تحت أقدامكم، ولما عال ولي الله، ولا طاش سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله، إلا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنة نبيه. فأما إذا فعلتم ما فعلتم فذوقوا وبال أمركم ﴿**وَسَيَعْلَمُ الذِّينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾[٢].

وهذه الأحاديث وإن كان أكثرها ضعافاً عند أهل السنة إلا أن وجودها في كتبهم يدل على أن الوصاية لعلي عليه السلام لها أصل، ورواها من الرواة من ليس فيهم عبد الله بن سبأ.

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ١١٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٦٧.

٣ـ أنه قد قال بوصاية أمير المؤمنين عليه السلام جمع من الصحابة وغيرهم في كلماتهم وأشعارهم:

فمن هؤلاء الفضل بن العباس، ومن شعره:

ألا إنَّ خيرَ الناسِ بعدَ محمدٍ وصيُّ النبيِّ المصطفى عندَ ذي الذكْرِ
وأولُ مَن صلَّى وصنوُ نبيِّه وأولُ من أردى الغواةَ لدى بدْرِ[١]

وقال عبد الرحمن بن جعيل:

لعمري لقد بايعتمُ ذا حفيظةٍ على الدينِ معروفَ العفافِ موفّقا
وصيَّ النبيِّ المصطفى وابنَ عمِّه وأولَ مَن صلّى أخا الدينِ والتُّقى

وقال عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب:

ومنّا عليٌّ ذاك صاحبُ خيبرٍ وصاحبُ بدرٍ يومَ سالتْ كتائبُه
وصيُّ النبيِّ المصطفى وابنُ عمِّهِ فمَن ذا يُدانيه ومَن ذا يقاربُه

وقال أبو الهيثم بن التيهان وهو من أهل بدر:

قُلْ للزبيرِ وقُلْ لطلحةَ إننا نحن الذين شعارُنا الأنصارُ
نحن الذين رأتْ قريشٌ فعلَنا يومَ القليبِ أولئك الكفارُ
كنا شعارَ نبيِّنا ودثارَه يفديه منا الروحُ والأبصارُ
إنّ الوصيَّ إمامُنا ووليُّنا بَرِحَ الخفاءُ وباحتِ الأسرارُ

وقال حجر بن عدي الكندي في يوم الجمل:

يا ربَّنا سلِّمْ لنا عليّا سلِّمْ لنا المبارَكَ المضيا
المؤمنَ الموحِّدَ التقيّا لا خطلَ الرأيِ ولا غويّا

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٦٩٦.

بل هادياً موفَّقاً مهديّا واحفظه ربّي واحفظِ النبيّا
فيه فقد كان له وليّا ثم ارتضاه بعدَه وصيّا

وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وهو من أهل بدر:

أعايشُ خلِّي عن عليٍّ وعيبه بما ليس فيه إنما أنتِ والدَهْ
وصيِّ رسولِ الله من دونِ أهلِه وأنتِ على ما كان من ذاك شاهدَهْ
وحسبُكِ منه بعَضُ ما تعلمينَه ويكفيكِ لو لم تعلمي غير واحده
إذا قيل ماذا عبتِ منه رميتِه بخذلِ ابن عفان وما تلك آيده

قال ابن أبي الحديد المعتزلي بعد أن ذكر تلك الأشعار وغيرها مما فيه ذكر الوصاية لأمير المؤمنين عليه السلام: ذكر هذه الأشعار والأراجيز بأجمعها أبو مخنف لوط بن يحيى في كتاب وقعة الجمل، وأبو مخنف من المحدّثين وممن يرى صحة الإمامة بالاختيار، وليس من الشيعة ولا معدوداً من رجالها[١].

ومن لطائف ما ذُكر من هذا الشعر ما قاله غلام شاب من بني ضبّة خرج يوم الجمل من عسكر عائشة وهو يقول:

نحن بنو ضبَّةَ أعداءُ علي ذاك الذي يُعرَف قِدْماً بالوصي
وفارسِ الخيلِ على عهدِ النبي ما أنا عن فضلِ عليٍّ بالعمي
لكنني أنعى ابنَ عفانَ التقي إن الوليَّ طالبٌ ثارَ الولي

وقال ابن أبي الحديد بعد أن ساق أشعاراً كثيرة تتضمن لفظ الوصية لأمير المؤمنين عليه السلام: والأشعار التي تتضمن هذه اللفظة كثيرة جداً، ولكنا ذكرنا منها ههنا بعض ما قيل في هذين الحزبين[٢]، فأما ما عداهما فإنه يجل عن الحصر، ويعظم عن

---

(١) شرح نهج البلاغة ١/ ٤٨. ط محققة ١/ ١٤٧.

(٢) يريد بهما أصحاب علي عليه السلام وأصحاب طلحة والزبير وعائشة.

الإحصاء والعد، ولولا خوف الملالة لذكرنا من ذلك ما يملأ أوراقاً كثيرة[١].

والحاصل أن الوصية لأمير المؤمنين عليه السلام كانت من الأمور المسلَّمة عندهم وإن أنكرها من أنكرها من أعداء أمير المؤمنين عليه السلام ومَن يَرَوْن أن ثبوتها يستلزم الطعن في خلافة الخلفاء السابقين.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: أما الوصية فلا ريب عندنا أن علياً عليه السلام كان وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وإن خالف في ذلك من هو منسوب عندنا إلى العناد، ولسنا نعني بالوصية النص على الخلافة، ولكن أموراً أخرى لعلها إذا لُمِحتْ أشرف وأجل[٢].

وكلمات أمير المؤمنين عليه السلام التي كان يصرّح فيها بأنه وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة جداً في كتبنا، ولا داعي لذكرها، لأن هذه المسألة لم يختلف فيها أحد من الشيعة.

وقد روى القوم أبياتاً من الشعر لأمير المؤمنين عليه السلام فيها إشارة إلى أنه عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال المناوي في فيض القدير: فائدة: وقفت على أبيات بخط الحافظ الدمياطي وقال: إنها تعزى لعليّ رضي الله تعالى عنه، وهي:

فنِعْمَ اليومُ يومُ السبتِ حقاً ... لصيدٍ إنْ أردتَ بلا امتراءِ
وفي الأحدِ البناءُ لأنَّ فيهِ ... تبدَّى اللهُ في خلقِ السماءِ
وفي الاثنينِ إن سافرتَ فيهِ ... سترجعُ بالنجاحِ وبالثراءِ
وإن تُرد الحجامةَ في الثلاثا ... ففي ساعاتِه هرقُ الدماءِ
وإن شَربَ امرؤٌ يوماً دواءً ... فنعمَ اليومُ يومُ الأربعاءِ
وفي يومِ الخميسِ قضاءُ حاجٍ ... فإن اللهَ يأذنُ بالقضاءِ

---

(١) شرح نهج البلاغة ١/ ٥٠. ط محققة ١/ ١٥٠.

(٢) المصدر السابق ١/ ٤٦. ط محققة ١/ ١٣٩.

وفي الجمعاتِ تزويج وعرس ولذاتُ الرجالِ مَعَ النساءِ
وهذا العلمُ لا يدريهِ إلا نبيٌّ أو وصيُّ الأنبياءِ[1]

(١) فيض القدير ١/ ٤٧. ونقل العجلوني ذلك عن المناوي في كشف الخفا ١/ ١٤.

علي عليه السلام هو دابة الأرض

لقد ذكر القوم أن عبد الله بن سبأ هو أول من ابتدع القول بأن دابة الأرض هو علي بن أبي طالب عليه السلام كما مرّ في صدر الكتاب.

ونحن قد أوضحنا فيما تقدم بما لا يقبل الشك أن ذلك من مفتريات سيف بن عمر، لأن نسبة هذا الأمر لابن سبأ لم تُروَ من طريق آخر غير طريقه.

على أنا حينما ننظر إلى ما رواه القوم في كتبهم المعروفة نجد أن هذا القول له أصل، وأنه جاء مرويًّا عندهم ما يدل عليه.

فقد روَوا أن دابة الجنة هي علي بن أبي طالب عليه السلام فيما أخرجه الهيثمي والمتقي الهندي وغيرهما عن عمرو بن الحمق، قال: هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فبينما أنا عنده ذات يوم قال لي: هل أُريك دابة الجنة تأكل الطعام، وتشرب الشراب، وتمشي في الأسواق؟ قال: قلت: بلى بأبي أنت. قال: هذا دابة الجنة. وأشار إلى علي بن أبي طالب[1].

وسُئل علي عليه السلام عن دابة الأرض فقال: أمَا والله ما لها ذنَب، وإن لها لَلِحية[2].

---

(١) مجمع الزوائد ٩/ ١١٨. كنز العمال ١١/ ٦٢٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٣٦. تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٧٦

قال الماوردي : وفي هذا القول منه إشارة إلى أنها من الإنس وإن لم يصرّح به[١].

قال القرطبي: ولهذا ـ والله أعلم ـ قال بعض المتأخرين من المفسرين: إن الأقرب أن تكون هذه الدابة إنساناً متكلماً يناظر أهل البدع والكفر ويجادلهم لينقطعوا، فيهلك من هلك عن بيِّنة، ويحيا من حيَّ عن بينة[٢].

أقول: ويدل على أنها من الإنس أنها تكلِّم الناس كما في قوله تعالى ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ**﴾[٣]، وأنها تميِّز المؤمن من الكافر، وأنها تسِمُ المؤمن بالعصا، وتختم الكافر بالخاتم... وذلك كله من الصفات المعهودة في البشر لا في غيرهم.

وعليه فلا مانع من أن يكون علي بن أبي طالب عليه السلام هو دابة الأرض، ولا سيما أنهم رووا أن دابة الأرض تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان.

فقد أخرج الترمذي وحسَّنه وابن ماجة وأحمد والطيالسي والحاكم وغيرهم، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى، فتجلو وجه المؤمن، وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل الخِوان ليجتمعون فيقول: ها ها يا مؤمن. ويقال: ها ها يا كافر. ويقول هذا: يا مؤمن. وهذا: يا كافر[٤].

أقول: وهذا يؤيد أن دابة الأرض هي وصي ووارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن خاتم سليمان وعصا موسى وغيرهما من مواريث الأنبياء عليهم السلام لا يمكن أن تكون عند بهيمة عجماء لا تعقل، بل لا بد أن تكون عند وارث النبيين.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٣٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة النمل، الآية ٨٢.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ٣٤٠. سنن ابن ماجة ٢/ ١٣٥١. مسند أحمد ٢/ ٢٩٥، ٤٩١. مسند أبي داود الطيالسي، ص ٣٣٤. الجامع الصغير ١/ ٥٠٢. الفتح الكبير ١/ ٤٩٨. المستدرك ٤/ ٤٨٥. الدر المنثور ٦/ ٣٨١. تفسير الطبري ٢٠/ ١١. تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٧٥، ٣٧٦. كنز العمال ١٤/ ٣٤٣.

والذي يظهر أن عمار بن ياسر كان يقول بأن أمير المؤمنين عليه السلام هو دابة الأرض، فقد أخرج إبراهيم بن محمد الثقفي في كتاب الغارات بسنده عن عبد الله بن أسيد الكندي ـ وكان من شرطة الخميس ـ عن أبيه، قال: إني لجالس مع الناس عند علي عليه السلام إذ جاء ابن معز وابن نعج معهما عبد الله بن وهب قد جعلا في حلقه ثوباً يجرّانه، فقالا: يا أمير المؤمنين اقتله ولا تداهن الكذابين. قال: ادنه. فدنا ، فقال لهما: فما يقول؟ قالا: يزعم أنك دابة الأرض، وأنك تُضرَب على هذا قُبيل هذا ـ يعنون رأسه إلى لحيته ـ فقال: ما يقول هؤلاء؟ قال: يا أمير المؤمنين حدّثتهم حديثاً حدثنيه عمار بن ياسر. قال: اتركوه فقد روى عن غيره، يا ابن أم السوداء إنك تبقر الحديث بقراً، خلوا سبيل الرجل، فإن يك كاذباً فعليه كذبه، وإن يك صادقاً يصيبني الذي يقول[١].

أقول: إن أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الحديث لم ينفِ أنه دابة الأرض، كما لم ينفِ أنه يُضرب فتخضب لحيته من رأسه، ولأن ما قاله عبد الله بن وهب عن عمار كان صحيحاً، فإن أمير المؤمنين عليه السلام أمر بإطلاق سراحه، معلِّلاً بأنه روى عن غيره، ومن روى عن غيره لا يُلام على ما رواه. ولو كان ما رواه عن عمار كذباً لكان هو المتّهم به، لأن عمار لا يروي الأباطيل.

ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام بسبب شدة موقف القوم وطلبهم قتل عبد الله بن وهب لم ير الحكمة في تصديقه فيما قال، وجعل ما رواه عن عمار محتملاً للصدق والكذب، وجعل علامة صدقه أنه سيصيبه ما قال، وهو أنه سيُضرب فيخضب رأسه من لحيته، وبما أن ذلك قد أصاب أمير المؤمنين عليه السلام فإنه لا بد حينئذ من الاعتقاد بأن ما رواه ابن وهب عن عمار حق، ولا سيما أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يكرّر قضية قتله كثيراً، ويبيّن عليه السلام أن رأسه سيخضب من لحيته[٢].

---

(١) عن بحار الأنوار ٥٣/ ١٠٨.

(٢) مرَّ تخريج بعض تلك الأحاديث في الفصل الثالث عشر، ص ١٧٣، فراجع.

ويحتمل أن عمار بن ياسر كان يجهر بأن أمير المؤمنين عليه السلام هو دابة الأرض كما مرَّ فيما تقدم، إلا أن من لا يرتضي وصف علي عليه السلام بذلك لِما فيه من تفضيله على غيره من الخلفاء، نسب هذا القول إلى ابن السوداء، وهو عمار[1]، للتمويه على العامة من جهة، وللحط من قائل هذا القول من جهة أخرى. فظن الجاهل أن المراد بابن السوداء هو عبد الله بن سبأ، والحال أنا قلنا: إن عبد الله بن سبأ كان من المغالين في أمير المؤمنين عليه السلام الذين ألّهوه، فإذا كان يقول بألوهيته فكيف يصفه بأنه دابَّة الأرض؟؟

ويحتمل أيضاً أن عبد الله بن وهب الذي جيء به في هذا الحديث إلى أمير المؤمنين عليه السلام هو عبد الله بن وهب الراسبي السبائي الذي تقدم ذكره، وهو أيضاً يُعيَّر بابن السوداء كما مرّ، فأراد القوم نسبة القول بأن أمير المؤمنين عليه السلام هو دابة الأرض إلى عبد الله السبائي هذا، لروايته ذلك عن عمار، ليتحاشوا نسبة هذا المعتقد إلى صحابي جليل مثل عمار رضوان الله عليه، ليتأتى لهم التشنيع على هذه العقيدة حينما ينسبونها إلى عبد الله السبائي أو إلى ابن السوداء الذي هو إما رأس للخوارج، أو رجل ادّعى الألوهية لأمير المؤمنين عليه السلام ، فلا يصدّق أحد هذه المقالة التي قال بها أمثال هؤلاء.

ويشير إلى صحة ما قلناه أيضاً قوله عليه السلام : (يا ابن أم السوداء إنك تبقر الحديث بقراً). فإن بَقْر الحديث هو كشفه ومعرفته.

قال ابن منظور في لسان العرب: التبقّر التوسع في العلم والمال، وكان يقال لمحمد بن علي بن الحسين بن علي: (الباقر)، رضوان الله عليهم، لأنه بقر العلم وعرف أصله، واستنبط فرعه، وتبقّر في العلم...

قال: ومنه حديث الإفك: (بَقَرَتْ لهاالحديث) أي فتَحَتْه وكشَفَتْه[2].

---

(١) راجع ما ذكرناه في الفصل الثاني فيمن عُيّر بابن السوداء.

(٢) لسان العرب (مادة بقر) ٤/ ٧٤. وقريب منه ما في النهاية في غريب الحديث ١/ ١٤٤.

فمدح أمير المؤمنين عليه السلام لعبد الله بن وهب بأنه بَقَرَ الحديث بقْراً دال على تصديقه عليه السلام له في ما رواه عن عمار، والله العالم.

الفصل الخامس عشر

عقائد أهل السنة وعقائد اليهود

مما تقدم يتضح أن الشيعة الإمامية بريئون من عبد الله بن سبأ إن كان له وجود، ومن كل يهودي، ومن كل عقائد اليهود التي نسختها الشريعة الإسلامية.

وأما أهل السنة فإن كثيراً من عقائد اليهود وأحكامهم قد تسرّبت إلى مذاهبهم، عبر الأحاديث التي رواها بعض الصحابة الذين كان عندهم ولع باقتناء كتب اليهود والنظر فيها والتحديث منها.

وكذلك عبر بعض اليهود الذين أظهروا الإسلام مثل كعب الأحبار وغيره، وكانوا يحدّثون الناس بأحاديث يهودية، وكان الناس يتلقونها منهم وكأنها مروية عن النبي ﷺ.

وتلكم الأحاديث قد امتلأت بها كتب أهل السنة، فتراها مبثوثة في الصحاح والسنن والمسانيد والمستدركات الحديثية وكتب التفسير وغيرها، حتى إن الباحث ليصعب عليه أحياناً أن يميِّز بين ما هو مروي عن النبي ﷺ وما هو مروي عن غيره.

وهذا كله يمكن إيضاحه ببيان أمور:

ولع بعض الصحابة بقراءة كتب اليهود:

لقد كان جمع من الصحابة يقرؤون التوراة ويكتبون منها ومن غيرها مما يسمعونه من اليهود، ويعتنون باقتناء بعض كتبهم، ويستحبون كلامهم وما يأخذونه منهم، والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة:

منها: ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن جابر بن عبد الله، أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي ﷺ، قال: فغضب، وقال: أمتهوِّكون[1] فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه، أو بباطل فتصدقونه، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا يتبعني[2].

وأخرج أحمد أيضاً في المسند بسنده عن عبد الله بن ثابت، قال: جاء عمر إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إني مررت بأخ لي من قريظة، فكتب لي جوامع من التوراة، ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغير وجه رسول الله ﷺ، قال عبد الله بن ثابت: فقلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام

---

(١) في لسان العرب ١٠/ ٥٠٨: قال أبو عبيدة: معناه أمتحيِّرون أنتم في الإسلام حتى تأخذوه من اليهود؟ وقال ابن سيده: أمترددون ساقطون؟ الجوهري: التهوك مثل التهور، وهو الوقوع في الشيء بقلة مبالاة وغير روية.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣/ ٣٨٧. تفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٦٧. الدر المنثور ٦/ ٤٧٢، ٤٧٣. مجمع الزوائد ١/ ١٧٤، ٨/ ٢٦٢. شعب الإيمان ١/ ٢٠٠. المصنف لابن أبي شيبة ٥/ ٣١٣. كنز العمال ١/ ٢٠٠. وحسن هذا الحديث الألباني في إرواء الغليل ٦/ ٣٤ وقال: الحديث قوي، فإن له شواهد كثيرة. ثم قال بعد أن ساق جملة من طرقه: وجملة القول أن مجيء الحديث في هذه الطرق المتباينة والألفاظ المتقاربة لما يدل على أن مجالد بن سعيد قد حفظ الحديث، فهو على أقل تقدير حديث حسن.

وحسّنه كذلك في تعاليقه على كتاب السنة لابن أبي عاصم، ص ٢٧. وحاشيته على مشكاة المصابيح ١/ ٦٣.

ديناً، وبمحمد رسولاً. قال: فسرّى عن النبي ﷺ، وقال: والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، إنكم حظّي من الأمم، وأنا حظّكم من النبيين[1].

وأما عبد الله بن عمرو بن العاص بخصوصه فقد كان عنده ولع بالنظر في كتب أهل الكتاب والتحديث منها.

قال ابن كثير في تفسيره: كان عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قد أصاب يوم اليرموك زاملتين[2] من كتب أهل الكتاب، فكان يحدِّث منهما[3].

وقال أيضاً بعد أن ساق حديثاً مروياً عن عبد الله بن عمرو: والأشبه والله أعلم أن يكون هذا موقوفاً على عبد الله بن عمرو، ويكون من الزاملتين اللتين أصابهما يوم اليرموك من كلام أهل الكتاب[4].

وقال أيضاً بعد أن ساق حديثاً آخر: هذا حديث غريب جداً، وسنده ضعيف، ولعله من الزاملتين اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك[5].

وذكر مثل ذلك في مواضع أخر من تفسيره، فراجع[6].

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة عبد الله بن عمرو: وقد روى عبد الله أيضاً عن أبي بكر، وعمر، ومعاذ، وسراقة بن مالك، وأبيه عمرو، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي الدرداء، وطائفة، وعن أهل الكتاب، وأدمن النظر في كتبهم، واعتنى

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٣/ ٤٧٠، ٤/ ٢٦٥. مجمع الزوائد ١/ ١٧٣. تفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٦٧. المصنف لعبد الرزاق ٦/ ١١٣.

(٢) الزاملة: هو البعير الذي يحمل عليه الرجل متاعه وطعامه. والزاملتان حمل بعيرين.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/ ٤.

(٤) المصدر السابق ١/ ٣٨٣.

(٥) المصدر السابق ٢/ ١٩٥.

(٦) المصدر نفسه ٣/ ١٠٢، ٤/ ٢٣٧.

بذلك[١].

وقال في تذكرة الحفاظ: وكان أصاب جملة من كتب أهل الكتاب، وأدمن النظر فيها، ورأى فيها عجائب[٢].

وقال ابن حجر: إن عبد الله كان قد ظفر في الشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب، فكان ينظر فيها ويحدِّث منها، فتجنب الأخذ عنه لذلك كثير من أئمة التابعين[٣].

قلت: إن عبد الله بن عمرو بن العاص من أكثر الصحابة حديثاً عند أهل السنة[٤]، وأحاديثه مبثوثة في صحاحهم، وهي معمول بها عندهم.

فيا ترى كم من تلك الأحاديث كان مأخوذاً من كتب أهل الكتاب؟؟

وكم من عقائد أهل السنة وأحكامهم كان مأخوذاً من الزاملتين المذكورتين وهم لا يعلمون؟

الرخصة في التحديث عن اليهود:

لقد جاءت أحاديث كثيرة ترخّص للصحابة في التحديث عن اليهود وترفع الحرج فيه.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٨١.

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ٤٢.

(٣) فتح الباري ١/ ١٦٧. ونقله المباركفوري عن ابن حجر في تحفة الأحوذي ٧/ ٣٥٩.

(٤) لقد اعترف أبو هريرة ـ وهو أكثر الصحابة حديثاً ـ بأن عبد الله بن عمرو بن العاص كان أكثر حديثاً منه، فقد رووا عن أبي هريرة أنه قال: ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب.

(راجع صحيح البخاري ١/ ٦٢. سنن الترمذي ٥/ ٤٠، ٦٨٦ وصحّحه. مسند أحمد ٢/ ٢٤٨، ٤٠٣. صحيح ابن حبان ١٦/ ١٠٣. المستدرك ١/ ١٠٥. سنن الدارمي ١/ ١٣٢. السنن الكبرى للنسائي ٣/ ٤٣٤. شرح معاني الآثار ٤/ ٣٢٠).

فقد أخرج البخاري في صحيحه، والترمذي وأبو داود والدارمي في سننهم، وأحمد بن حنبل في مسنده، وابن حبان في صحيحه، والطبراني في معجمه الصغير، وعبد الرزاق في مصنَّفه... وغيرهم، عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: بلّغوا عني ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار[١].

قال ابن حجر العسقلاني في شرح الحديث: أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم، لأنه كان قد تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك. وكان النهي قد وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك، لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار.

وقال الشافعي: من المعلوم أن النبي ﷺ لا يجيز التحدث بالكذب، فالمعنى حدِّثوا عن بني اسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوِّزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم[٢].

وقال المناوي: (حدِّثوا عن بني إسرائيل) أي بلِّغوا عنهم قصصهم ومواعظهم ونحو ذلك مما اتَّضح معناه، فإن في ذلك عبرة لأولي الأبصار، (ولا حرج) عليكم في

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ١٠٧٦. سنن الترمذي ٥/ ٤٠. سنن أبي داود ٣/ ٣٢٢. مسند أحمد ٢/ ١٥٩، ٢٠٢، ٤٧٤، ٥٠٢، ٣/ ٤٦. سنن الدارمي ١/ ١٣٦. صحيح سنن أبي داود ٢/ ٦٩٧. صحيح الجامع الصغير ٢/ ٦٠٠. صحيح ابن حبان ١٤/ ١٤٧، ١٤٩. الجامع الصغير ١/ ٥٧٠. المصنف لعبد الرزاق ٦/ ١٠٩، ١٠/ ٣١٢. المعجم الصغير للطبراني ١/ ٢٨١. تاريخ بغداد ١٣/ ١٥٧. حلية الأولياء ٦/ ٧٨. وقوله: (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) أخرجها كثير من الحفاظ، منهم النسائي في سننه الكبرى ٣/ ٤٣١، والحميدي في المسند ٢/ ٤٩١. والشافعي في مسنده ٢/ ٢٤٠. وابن أبي شيبة في المصنف ٥/ ٣١٩. والهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٩١. وفي موارد الظمآن ١/ ٧٦. وأبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ١٢٥. وتمام الرازي في الفوائد ١/ ٩٩، وغيرهم.

(٢) فتح الباري ٦/ ٣٨٨.

التحديث عنهم ولو بغير سند، لتعذّره بطول الأمد، فيكفي غلبة الظن بأنه عنهم، إنما الحرج فيما لم يتَّضح معناه[١].

وقال ابن كثير: وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: (وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) فيما قد يجوزه العقل، فأما فيما تحيله العقول ويحكم فيه البطلان ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل، والله أعلم. وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم، ولله الحمد والمنة[٢].

والحاصل أنه يستفاد من مجموع أقوالهم أنهم كأنهم متفقون على جواز الأخذ من كتب اليهود والنصارى ومن أقوال أحبارهم ورهبانهم، وأن ذلك لا حرج ولا محذور فيه عليهم.

نسبة أخبار اليهود للنبي ﷺ:

إن جمعاً من صحابة النبي ﷺ كانوا يرْوون عن كعب الأحبار روايات وينسبونها للنبي ﷺ، إما تعمّداً أو غفلة:

منهم: أبو هريرة:

فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة، قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبثَّ فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة، من آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل[٣].

---

(١) فيض القدير ٣/ ٣٧٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٢٢.

(٣) صحيح مسلم ٤/ ٢١٤٩. مسند أحمد ٢/ ٣٢٧. السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٣. السنن الكبرى للنسائي =

قال ابن كثير: وهذا الحديث من غرائب صحيح مسلم، وقد تكلَّم عليه علي بن المديني والبخاري وغير واحد من الحفَّاظ، وجعلوه من كلام كعب، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعاً، وقد حرَّر ذلك البيهقي[(١)].

قلت: لا يخفى أن هذا الحديث خلاف صريح القرآن الكريم، فإن الله جل وعلا قال ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّام ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[(٢)].

فنصّت هذه الآية على أن الله سبحانه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، بينما دلَّ هذا الحديث على أن الله تعالى خلق المذكورات في سبعة أيام، لا في ستة.

ولذا حاول البخاري وغيره إزاحة اللوم عن أبي هريرة الذي نسب الحديث إلى النبي ﷺ صراحة، وألقوا باللائمة في الحديث على الرواة عن أبي هريرة، مع أن أبا هريرة قال: (أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال...)، وربما يكون للتبرير الذي قالوه وجه لو لم يقل أبو هريرة هذه العبارة، وأما مع صريح النسبة إلى النبي ﷺ فكيف يمكن مثل هذا التبرير والتعذير؟!

ومن ذلك أيضاً ما أخرجه مسلم وابن خزيمة والترمذي وأبو داود والنسائي والحاكم والضياء المقدسي وابن حبان وغيرهم بأسانيدهم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه أدخل الجنة،

= ٦/ ٢٩٣. مسند أبي يعلى ٥/ ٣٥٤. تفسير ابن كثير ٤/ ٩٤. الجامع الصغير ١/ ٦٠٦ ورمز له السيوطي بالصحة. صحيح الجامع الصغير ١/ ٦١٥. الفتح الكبير ١/ ٥٦٣.

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٦٩. وكذا قال ابن القيم في المنار المنيف، ص ٨٤. نقد المنقول، ص ٧٨. والمناوي في فيض القدير ٣/ ٤٤٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٥٤.

وفيه أخرج منها[١].

وعند ابن خزيمة والترمذي وغيرهما: وفيه تقوم الساعة.

قال ابن خزيمة: قد اختلفوا في هذه اللفظة في قوله: (فيه خلق آدم) إلى قوله: (وفيه تقوم الساعة)، أهو عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، أو عن أبي هريرة عن كعب الأحبار؟ قد خرجت هذه الأخبار في كتاب (الكبير) من جعل هذا الكلام رواية من أبي هريرة عن النبي ﷺ، ومن جعله عن كعب الأحبار، والقلبُ إلى رواية من جعل هذا الكلام عن أبي هريرة عن كعب أميَل؛ لأن محمد بن يحيى حدثنا قال: نا محمد بن يوسف، ثنا الأوزاعي عن يحيى عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أسكن الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة. قال: قلت له: أشيء سمعتَه من رسول الله ﷺ؟ قال: بل شيء حدثناه كعب[٢].

وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما جلس قوم مجلساً كثر لغطهم فيه، فقال قائل قبل أن يقوم: (سبحانك اللهم ربّنا وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك ثم أتوب إليك)، إلا غُفر له ما كان في مجلسه هذا.

قال الحاكم: هذا الإسناد صحيح على شرط مسلم، إلا أن البخاري قد علله بحديث وهيب عن موسى بن عقبة عن سهيل عن أبيه عن كعب الأحبار من قوله[٣]،

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ٥٨٥. صحيح ابن خزيمة ٣/ ١١٦. سنن الترمذي ٢/ ٣٥٩، ٣٦٢. سنن أبي داود ١/ ٢٧٤. سنن النسائي ٣/ ١٠٠، ١٢٧. السنن الكبرى للنسائي ١/ ٥١٧، ٥١٨، ٥٤٠. صحيح ابن حبان ٧/ ٧. المستدرك ١/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩. الأحاديث المختارة ٩/ ٢٢٤، ٢٢٧. تفسير ابن كثير ١/ ٨٠، ٣/ ١٧٩. موارد الظمآن ١/ ٤٤٤.

(٢) صحيح ابن خزيمة ٣/ ١١٦.

(٣) أي أن البخاري أعل هذا الحديث بأنه من قول كعب، لا من قول النبي ﷺ.

فالله أعلم(١).

وعليك بمراجعة ما كتبه الكاتب المصري محمود أبو رية رحمه الله في روايات أبي هريرة التي أخذها من كعب في كتابيه (شيخ المضيرة أبو هريرة)، و(أضواء على السنة المحمدية)، فإنه نافع جداً(٢).

ومنهم: عبد الله بن عمر:

فقد أخرج أحمد بن حنبل في المسند بسنده عن عبد الله بن عمر أنه سمع نبي الله ﷺ يقول: إن آدم ﷺ لما أهبطه الله تعالى إلى الأرض قالت الملائكة: أي رب ﴿**قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾، قالوا: ربنا نحن أطوع لك من بني آدم. قال الله تعالى للملائكة: هلمّوا ملكين من الملائكة حتى يهبط بهما إلى الأرض فننظر كيف يعملان. قالوا: ربنا هاروت وماروت. فأهبطا إلى الأرض، ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر، فجاءتهما فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تكلما بهذه الكلمة من الإشراك. فقالا: والله لا نشرك بالله أبداً. فذهبت عنهما، ثم رجعت بصبي تحمله، فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبي. فقالا: لا والله لا نقتله أبداً. فذهبت ثم رجعت بقدح خمر، فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تشربا هذا الخمر. فشربا فسكرا، فوقعا عليها، وقتلا الصبي. لما أفاقا قالت المرأة: والله ما تركتما شيئاً مما أبيتماه عليَّ إلا قد فعلتماه حين سكرتما. فخُيِّرا بين عذاب الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا(٣).

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١/ ٥٣٦.

(٢) شيخ المضيرة أبو هريرة، ص ٩٣ ـ ١٠٢. أضواء على السنة المحمدية، ص ٢٠٧ ـ ٢١٠.

(٣) مسند أحمد ٢/ ١٣٤. شعب الإيمان ١/ ١٨٠. الترغيب والترهيب ٣/ ١٦٣. السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ٤. مجمع الزوائد ٥/ ٦٨ قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار، ورجاله رجال الصحيح، خلا موسى بن جبير وهو ثقة. ٦/ ٣١٣. تفسير ابن كثير ١/ ١٣٨.

قال ابن كثير: وهكذا رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه عن الحسن، عن سفيان، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يحيى بن بكير به، وهذا حديث غريب من هذا الوجه، ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين، إلا موسى بن جبير هذا، وهو الأنصاري السلمي مولاهم المديني الحذاء، وروى عن ابن عباس، وأبي أمامة بن سهل بن حنيف، ونافع، وعبد الله بن كعب بن مالك... وروى له أبو داود وابن ماجة، وذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل[١]، ولم يحك فيه شيئاً من هذا ولا هذا، فهو مستور الحال، وقد تفرد به عن نافع مولى ابن عمر، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ.

ثم ساق حديثاً مثله وقال: وهذان أيضا غريبان جداً، وأقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار لا عن النبي ﷺ كما قال عبد الرزاق في تفسيره عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار، قال: ذكرت الملائكة أعمال بني آدم وما يأتون من الذنوب، فقيل لهم: اختاروا منكم اثنين. فاختاروا هاروت وماروت...الخ.

ثم قال: فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بني إسرائيل، والله أعلم[٢].

ومنهم: عبد الله بن عباس [!!]:

قال ابن كثير بعد أن ساق حديثاً طويلاً عن ابن عباس: رفع ابن عباس هذا الحديث إلى النبي ﷺ، وصِدْقُ ذلك عندي أن معاوية سمع ابن عباس يحدث هذا الحديث، فأنكر عليه أن يكون الفرعوني الذي أفشى على موسى أمر القتيل الذي قُتل، فقال: كيف يفشي عليه ولم يكن علم به، ولا ظهر عليه إلا الإسرائيلي الذي حضر

---

(١) الجرح والتعديل ٨/ ١٣٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/ ١٣٨.

ذلك؟ فغضب ابن عباس، فأخذ بيد معاوية وانطلق به إلى سعد بن مالك الزهري، فقال له: يا أبا إسحاق هل تذكر يوم حدثنا رسول الله ﷺ عن قتيل موسى الذي قُتل من آل فرعون؟ الإسرائيلي الذي أفشى عليه أم الفرعوني؟ قال: الفرعوني بما سمع من الإسرائيلي الذي شهد على ذلك وحضره.

وهكذا رواه النسائي في السنن الكبرى، وأخرجه أبو جعفر بن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما، كلهم من حديث يزيد بن هارون به، وهو موقوف من كلام ابن عباس، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه[١]، وكأنه تلقّاه ابن عباس رضي الله عنهما مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره، والله أعلم، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضاً[٢].

ومنهم: **النعمان بن بشير**:

أخرج ابن جرير الطبري وابن كثير في تفسيريهما بإسنادهما عن كعب الأحبار، قال: إن لِسُبحانَ الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لدويًّا حول العرش كدوي النحل، يذكرن لصاحبهن والعمل الصالح في الخزائن[٣].

قال ابن كثير في التفسير: وهذا إسناد صحيح إلى كعب الأحبار رحمة الله عليه، وقد روي مرفوعاً ـ أي عن النبي ﷺ ـ ، قال الإمام أحمد... عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: الذين يذكرون من جلال الله من تسبيحه وتحميده وتكبيره وتهليله يتعاطفن حول العرش، لهن دوي كدوي النحل، يذكرون بصاحبهن، ألا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الله شيء يذكر به[٤].

---

(١) أي هو من كلام ابن عباس لا من كلام النبي ﷺ، والذي فيه من كلام النبي ﷺ قليل.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٢.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ٨٠. تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥٤٩.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٤/ ٢٦٨، ٢٧١.

وهكذا رواه ابن ماجة[١]... عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به[٢].

مرويات كعب الأحبار في كتب أهل السنة:

لكعب الأحبار اليهودي روايات وأحاديث كثيرة في كتب أهل السنة في التفسير والمعتقدات والأحكام وغيرها تفوق حد الحصر.

وكان كعب الأحبار يروي كثيراً عن الكتاب الأول ـ يعني التوراة ـ من غير خوف أو تردّد. بل كان جملة من الصحابة ـ ومنهم بعض الخلفاء ـ يسألونه عما يجد في التوراة، ويتلقّون منه مروياته وكأنها مأخوذة من القرآن أو مروية عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

قال ابن كثير في تفسيره بعد أن ذكر أنّ عليًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ [!!]، والعباس بن عبد المطلب، وابنه عبد الله، وابن مسعود، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والشعبي، وعبيد بن عمير، وأبا ميسرة، وزيد بن أسلم، وعبد الله بن شقيق، والزهري، والقاسم بن أبي برزة، ومكحولاً، وعثمان بن أبي حاضر، والسدي، والحسن، وقتادة، وأبا الهذيل، وابن ساباط، وابن جرير، كلهم قائلون بأن الذبيح هو إسحاق بن إبراهيم لا إسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، قال: وهذه الأقوال ـ والله أعلم ـ كلها مأخوذة عن كعب الأحبار، فإنه لما أسلم في الدولة العُمَرية جعل يحدِّث عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن كتبه قديماً، فربما استمع له عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فترخّص الناس في استماع ما عنده، ونقلوا ما عنده عنه غثّها وسمينها[٣].

---

(١) سنن ابن ماجة ٢/ ١٢٥٢. المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ٥٤، ٧/ ١٧٧. المستدرك ١/ ٥٠٠، ١/ ٥٠٣ وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. الدعاء للطبراني، ص ٤٨٢. الترغيب والترهيب ٢/ ٢٤٠. مسند البزار ٨/ ١٩٩. حلية الأولياء ٤/ ٢٦٩. صحّحه البوصيري في مصباح الزجاجة ٣/ ١٩٣، والألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٢/ ٣٢٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٥٤٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٧.

بل بلغ من جرأته أنه كان يرى أن رسول الله ﷺ يقول، وهو يقول.

فقد أخرج مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده وغيرهما عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أدَّى العبد حقَّ الله وحقَّ مواليه كان له أجران. قال: فحدَّثتها كعباً، فقال كعب: ليس عليه حساب، ولا على مؤمن مزهد[١].

ويكفيك النظر في كتب القوم ليتبين لك أي مقدار من كلماته وأقواله مروي في كتب أهل السنة.

نماذج من مرويات كعب الأحبار في كتب أهل السنة:

أخرج عبد الرزاق بسنده عن كعب قال: إن الله لما كلَّم موسى كلّمه بالألسنة كلها سوى كلامه، فقال موسى: يا رب هذا كلامك؟ قال: لا، لو كلَّمتك بكلامي لم تستقم له. قال: يا رب فهل من خلقك شيء يشبه كلامك؟ قال: لا، وأشد خلقي شبهاً بكلامي ما تسمعون من الصواعق.

قال ابن كثير: فهذا موقوف على كعب الأحبار، وهو يحكي عن الكتب المتقدمة المشتملة على أخبار بني إسرائيل، وفيها الغث والسمين[٢].

وأخرج الطبراني بسنده عن عمر بن ربيعة أن عمر بن الخطاب أرسل إلى كعب الأحبار، فقال: يا كعب كيف تجد نعتي؟ قال: أجد نعتك قرن من حديد. قال: وما قرن من حديد؟ قال: أمير شديد، لا تأخذه في الله لومة لائم. قال: ثم مه؟ قال: ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة ظالمة. قال: ثم مه؟ قال: ثم يكون البلاء[٣].

---

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٢٨٥. مسند أحمد ٢/ ٢٥٢، ٣/ ٣٩٠. مسند أبي عوانة ٤/ ٧٦. السنن الكبرى للبيهقي ٨/ ١٢. قال النووي في شرحه ١١/ ١٣٦ في بيان كلام كعب: المراد بهذا الكلام أن العبد إذا أدّى حقّ الله تعالى وحقّ مواليه فليس عليه حساب لكثرة أجره وعدم معصيته.

(٢) المصدر السابق ١/ ٥٨٩.

(٣) المعجم الكبير للطبراني ١/ ٨٤. مجمع الزوائد ٩/ ٦٥ قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات. حلية الأولياء ٦/ ٢٥. الفتن لنعيم بن حماد ١/ ١٠٢.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف بسنده عن عبد الله بن ضمرة عن كعب الأحبار، قال: إذا خرج من بيته فقال: (بسم الله، توكّلت على الله، ولا قوة إلا بالله)، بلَّغت الشياطين بعضهم بعضاً، قالوا: هذا عبد قد هُدي وحُفظ وكُفي، فلا سبيل لكم عليه. فيتصدعون عنه[(١)].

وأخرج أيضاً بسنده عن عمر بن أبي بكر عن أبيه عن كعب الأحبار، قال: أجد في كتاب الله: ما من عبد مؤمن يغدو إلى المسجد ويروح، لا يغدو ولا يروح إلا ليتعلم خيراً أو يعلّمه، أو يذكر الله أو يذكّر به، إلا مثَله في كتاب الله كمثل المجاهد في سبيل الله، والله تعالى أعلم[(٢)].

وأخرج الضياء المقدسي في المختارة بسنده عن كعب الأحبار، قال: إنا نجد في التوراة أن داود نبي الله ﷺ كان إذا انصرف من صلاته قال: اللهم أصلح لي ديني الذي جعلته عصمة أمري، وأصلح دنياي الذي جعلت فيها معاشي، اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من نقمتك، وأعوذ بك منك، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد. قال كعب الأحبار: وأخبرني صهيب أن رسول الله ﷺ كان ينصرف بهذا الدعاء من صلاته[(٣)].

وأخرج مالك بن أنس في الموطأ بسنده عن عطاء بن يسار أن كعب الأحبار قال: لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه، لكان أن يخسف به خيراً له من أن يمرّ بين يديه[(٤)].

وأخرج أيضاً بسنده عن القعقاع بن حكيم أن كعب الأحبار قال: لولا كلمات أقولهن لجعلتني يهودُ حماراً. فقيل له: وما هن؟ فقال: أعوذ بوجه الله العظيم الذي

(١) المصنف ٦/ ٢٦.

(٢) المصنف ٧/ ١٣٢.

(٣) المختارة ٨/ ٦٥ قال الضياء المقدسي: إسناده صحيح. كتاب الدعاء للطبراني، ص ٢٠٧.

(٤) الموطأ، ص ٧٨.

ليس شيء أعظم منه، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بَرّ ولا فاجر، وبأسماء الله الحسنى كلها، ما علمتُ منها وما لم أعلم، من شرّ ما خلق وذرأ وبرأ[١].

وأخرج أيضاً بسنده عن كعب الأحبار، أن رجلاً نزع نعليه، فقال: لمَ خلعت نعليك؟ لعلك تأوّلت هذه الآية ﴿**فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**﴾؟ قال: ثم قال كعب للرجل: أتدري ما كانت نعلا موسى؟ قال مالك: لا أدري ما أجابه الرجل. فقال كعب: كانتا من جلد حمار ميت[٢].

وأخرج الترمذي في سننه، وابن خزيمة في كتاب التوحيد، واللالكائي في شرح أصول السنة بأسانيدهم عن كعب أنه قال: إن الله قسَّم رؤيته بين محمد وموسى، فرآه محمد مرتين، وكلَّمه موسى مرتين[٣].

وقال ابن حجر في فتح الباري: وأخرج ابن المبارك في الزهد بسند حسن عن كعب الأحبار: أن الله تعالى يقول لأهل الجنة إذا دخلوها: إن لكل ضيف جزوراً، وإني أجزركم اليوم حوتاً وثوراً. فيجزر لأهل الجنة[٤].

إلى غير ذلك مما يطول ذكره.

هذا مع أن البخاري أخرج في صحيحه بسنده عن معاوية أنه قال وقد ذكر كعب الأحبار: إن كان من أصدق هؤلاء المحدِّثين الذين يحدِّثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب[٥].

---

(١) الموطأ، ص ٥٢٤.

(٢) الموطأ، ص ٥٠٩.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٣٩٤. التوحيد ٢/ ٤٩٦. أصول اعتقاد أهل السنة ٣/ ٥٥٤.

(٤) فتح الباري ١١/ ٣١٥. كتاب الزهد لابن المبارك، ص ٥٢٧. قال العلامة السيد عبد الستار الحسني: لقد ذكر ابن القيم الحنبلي في بدائع الفوائد ثور أهل الجنة وأنه يكون نزلهم إذا حلّوا في ضيافة المولى سبحانه، وأنه يكفي جميع أهل الجنة. فأي ثور هذا؟!

(٥) صحيح البخاري ٤/ ٢٢٩٥. التاريخ الصغير للبخاري ١/ ٨٧. تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠١، ٤١٦. تفسير القرطبي ١٣/ ٣٥١. تهذيب التهذيب ٨/ ٣٩٤. تهذيب الكمال ٢٤/ ١٩٢. تغليق التعليق =

ثم إن كعب الأحبار أسلم في خلافة عمر بن الخطاب أو في زمن أبي بكر كما نصَّ عليه جمع من أعلام أهل السنة[١]، فكيف تُقبل منه كل تلك الأحاديث وهو لم يلقَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يره، ولم يسمع منه؟؟

والحاصل أن روايات كعب الأحبار في كتب أهل السنة كثيرة جداً، وقد رواها جملة من الصحابة عنه، بل إن منهم كما مرّ من يروي مسموعاته من كعب وينسبها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تعمّداً أو غفلة.

فلا ندري بعد هذا كله كم من معتقدات أهل السنة قد أُخذ من اليهود بواسطة كعب أو غيره وهم لا يشعرون؟

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

زعمهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحب موافقة اليهود والنصارى:

فقد أخرج البخاري ومسلم وابن حبان في صحاحهم، والنسائي والترمذي وأحمد وأبو يعلى والطحاوي بأسانيدهم عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه[٢].

= ٥/ ٣٢٨. الإصابة ٥/ ٤٨٣.

(١) راجع: كتاب الثقات لابن حبان ٥/ ٣٣٤. تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٧. الإصابة ٤/ ٥٩٧ ت ٦٠٠٢، ٥/ ٤٨٢ ت ٧٥١١. مشاهير علماء الأمصار، ص ١٩٠. الطبقات الكبرى ٧/ ٤٤٥. العلل ومعرفة الرجال ٢/ ٥٢١. تذكرة الحفاظ ١/ ٥٢ إلا أنه قال: أسلم في خلافة أبي بكر وقدم من اليمن في زمن عمر. وكذا ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب ٨/ ٣٩٣ وجعل إسلامه في زمن عمر قولاً. وكذا النووي في تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٦٨. والذهبي في العبر ١/ ٢٦، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٩. وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ١/ ٩٠.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١١٠١، ١٢٠٦. صحيح مسلم ٤/ ١٨١٧. صحيح ابن حيان ١٢/ ٢٩٦. سنن =

وأخرج الطبراني في معجمه الأوسط بسنده عن ابن عباس قال: سدل رسول الله ﷺ ناصيته كما يسدل أهل الكتاب، ثم فرق بعد كما تفرق العرب، وكان رسول الله ﷺ إذا شك في أمر يعمله المشركون وأهل الكتاب ما لم يأت به وحي عمل بعمل أهل الكتاب[1].

إذا تقرّر ذلك نقول: إذا كان النبي ﷺ يحب ـ بزعمهم ـ موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، فمن غير المستبعد حينئذ أن يكون جملة من الصحابة يعملون ببعض أحكام أهل الكتاب من اليهود والنصارى تأسيًّا بالنبي ﷺ فيما لم يجدوا فيه نصًّا يتعبّدون به.

ثم جاء فقهاء أهل السنة وأئمة مذاهبهم الذين يعتقدون أن أقوال الصحابة وأفعالهم مصدر من مصادر التشريع، فرأوا بعض الصحابة يعملون عملاً أو يفتون بفتوى، فظنوا أنهم ما قالوا ذلك وما عملوه إلا لأنهم سمعوه من النبي ﷺ، فعملوا بعملهم، وأفتوا على طبق أقوالهم، وهم لا يعلمون أن ذلك من أحكام اليهود التي لم يُعثَر فيها على نص من النبي ﷺ.

فلا ندري بعد هذا كله كم من الأحكام التي نقلها الصحابة، وأفتى بها أئمة مذاهب أهل السنة كانت مأخوذة من اليهود؟؟

نماذج من عقائد اليهود في مصادر أهل السنة:

قد يجد المتتبّع أن بعض عقائد أهل السنة قد أخذت من التوراة بلا زيادة ولا نقيصة، ويعود السبب في ذلك إلى أن أهل السنة الذين يعتقدون بعدالة كل الصحابة

= ابن ماجة ٢/ ١١٩٩. سنن النسائي ٨/ ٥٦٧. مسند أحمد ١/ ٢٤٦، ٢٦١، ٢٨٧، ٣٢٠. مسند أبي يعلى ٢/ ٣٩٢، ٤٨٤. السنن الكبرى للنسائي ٥/ ٤١٣. شرح معاني الآثار ١/ ٤٨٩. صحيح سنن النسائي ٣/ ١٠٦٤. صحيح سنن ابن ماجة ٢/ ٢٨٩.

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٣/ ٢٦٩.

قد رووا عن بعضهم أحاديث تتضمن أمثال تلك العقائد، ولأجله كان لا مناص لهم من قبول تلك الروايات وما دلَّت عليه من معتقدات.

ونحن سنذكر نماذج من ذلك كأمثلة تدلِّل على صحّة ما قلناه.

منها: أن الله خلق آدم على صورته.

فقد أخرج البخاري ومسلم وابن حبان في صحاحهم، وأحمد وأبو عوانة وعبد بن حميد في مسانيدهم وغيرهم بأسانيدهم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ خلق الله آدم على صورته، وطوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلِّم على أولئك النفر، وهم من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيّونك، فإنها تحيتك وتحية ذرّيتك. قال: فذهب فقال: (السلام عليكم). فزادوه (ورحمة الله)، قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، طوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن[1].

وأخرج مسلم في صحيحه، وأحمد في المسند، وابن حبان وابن أبي عاصم والحميدي وغيرهم، بأسانيدهم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته[2].

وأخرج البخاري في الأدب المفرد، وأحمد في المسند، وابن أبي عاصم في كتاب السنة، بأسانيدهم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ لا يقولن أحدكم: (قبَّح

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ١٠٢٣، ٤/ ١٩٥٩. صحيح مسلم ٤/ ٢١٨٣. مسند أحمد بن حنبل ٢/ ٣١٥، ٣٢٣. مسند أبي عوانة ١/ ١٨٨. صحيح ابن حبان ١٤/ ٣٣. مسند عبد بن حميد، ص ٤١٧. اعتقاد أهل السنة ٣/ ٤٢٢.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢٠١٧. صحيح ابن حبان ١٢/ ٤٢٠، ١٣/ ١٨. مسند أحمد ٢/ ٢٤٤، ٤٦٣، ٥١٩. مسند عبد بن حميد، ص ٢٨٣. مسند الحميدي ٢/ ٤٧٦. كتاب السنة ١/ ٢٢٧ ـ ٢٣٠. اعتقاد أهل السنة ٣/ ٤٢٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٥١٨. قال الألباني في تعليقته على كتاب السنة: إسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين غير شيخ المصنف، وهو ثقة.

الله وجهك ولا وجه مَن أشبه وجهك)، فإن الله خلق آدم على صورته[١].

وأخرج ابن أبي عاصم بسنده عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ إذا قاتل أحدكم فليتجنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورة وجهه[٢].

أقول: وهذا مطابق لعقيدة اليهود، فقد جاء في العهد القديم، في سفر التكوين، الإصحاح الأول قوله: وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلّطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدبّ على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم.

وفي الإصحاح الخامس من سفر التكوين: يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله. ذكراً وأنثى خلقه، وباركه ودعا اسمه آدم يوم خلق.

وقد أنكر ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة خطبها أخرجها الربيع في مسنده بسنده عن الحارث الهمداني قال: بلغ علياً أن قوماً من أهل عسكره شبَّهوا الله وأفرطوا. قال: فخطب علي الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس اتقوا هذه العارقة. فقالوا: يا أمير المؤمنين وما العارقة؟ قال: الذين يشبِّهون الله بأنفسهم. فقالوا: وكيف يشبهون الله بأنفسهم؟ قال: يضاهئون بذلك قول الذين كفروا من أهل الكتاب، إذ قالوا: (خلق الله آدم على صورته). سبحانه وتعالى عما يقولون، سبحانه وتعالى عما يشركون، بل هو الله الواحد الذي ليس كمثله شيء[٣].

---

(١) الأدب المفرد، ص ٧١. مسند أحمد ٢/ ٢٥١، ٤٣٤. كتاب السنة ١/ ٢٢٩. مسند الحميدي ٢/ ٤٧٦. اعتقاد أهل السنة ٣/ ٤٢٢، ٤٢٣. تاريخ بغداد ٢/ ٢٢٠، ٣/ ٧٤. الصفات للدارقطني ٢/ ٣٥. قال الألباني في تعليقته على كتاب السنة: إسناده حسن صحيح ورجاله ثقات. وحسَّنه أيضاً في صحيح الأدب المفرد، ص ٨٥.

(٢) كتاب السنة ١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨ قال الألباني في تعليقته: إسناده حسن صحيح، رجاله رجال الشيخين غير شيخ المصنف، وهو ثقة. المعجم الأوسط ٦/ ٢١.

(٣) مسند الربيع بن حبيب، ص ٣١٥.

وقد حاول بعضهم أن يفرّ من ظاهر الحديث ويتأوّل للحديث معنى لا يتنافى مع قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾، فذكروا وجوهاً مختلفة لا يدل عليها دليل، وقد أجاد ابن حجر في فتح الباري حيث قال:

وقال القرطبي: أعاد بعضهم الضمير [في كلمة صورته] على الله، متمسِّكاً بما ورد في بعض طرقه: (إن الله خلق آدم على صورة الرحمن)، قال: وكأن مَن رواه [رواه] بالمعنى متمسكاً بما توهَّمه، فغلط في ذلك، وقد أنكر المازري ومَن تبعه صحة هذه الزيادة. ثم قال: وعلى تقدير صحَّتها فيحمل على ما يليق بالباري سبحانه وتعالى.

قلت ـ والقائل ابن حجر ـ: الزيادة أخرجها ابن أبي عاصم في السنة والطبراني من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقات، وأخرجها ابن أبي عاصم أيضاً من طريق أبي يونس عن أبي هريرة بلفظ يرُدّ التأويل الأول، قال: مَن قاتل فليجتنب الوجه، فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن. فتعين إجراء ما في ذلك على ما تقرَّر بين أهل السنة من إمراره كما جاء، من غير اعتقاد تشبيه، أو من تأويله على ما يليق بالرحمن جل جلاله، وسيأتي في أول كتاب الاستئذان من طريق همام عن أبي هريرة رفعه: (خلق الله آدم على صورته) الحديث. وزعم بعضهم أن الضمير يعود على آدم، أي على صفته، أي خَلَقَه موصوفاً بالعلم الذي فضُل به الحيوان، وهذا محتمل. وقد قال المازري: غلط ابن قتيبة فأجرى الحديث على ظاهره، وقال: (صورة لا كالصور) انتهى. وقال حرب الكرماني في كتاب السنة: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: صحَّ أن الله خلق آدم على صورة الرحمن. وقال إسحاق الكوسج: سمعت أحمد يقول: هو حديث صحيح. وقال الطبراني في كتاب السنة: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قال رجل لأبي: إن رجلاً قال: (خلق الله آدم على صورته) أي صورة الرجل. فقال: كذب، هو قول الجهمية. انتهى. وقد أخرج البخاري في الأدب المفرد، وأحمد من طريق ابن عجلان عن سعيد عن أبي هريرة مرفوعاً: لا تقولن قبَّح الله وجهك ووجه

من أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صورته. وهو ظاهر في عود الضمير على المقول له ذلك، وكذلك أخرجه ابن أبي عاصم أيضاً من طريق أبي رافع عن أبي هريرة بلفظ: إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورة وجهه[١].

أقول: وكلامه واضح وجلي، ودالّ على أن كل التأويلات التي ذكروها تتعارض مع الحديث بتمام ألفاظه المختلفة.

وحينئذ فلا مناص إما من رد هذا الحديث وإن رُوي في الصحيحين واتفق الحفّاظ على صحّته، وإما أن يلتزموا بظاهر معناه الموافق لما في التوراة، والمخالف للآية الشريفة النافية للمثل والشبيه عن الله جل وعلا.

ولا بأس أن نشير إلى أن هذا الحديث مروي عن أبي هريرة بكافة طرقه وبمختلف ألفاظه، ولم يروه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غيره من الصحابة، والظاهر أنه أخذه من كعب الأحبار، فنسبه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كما مرَّ فيما سبق، والله العالم.

ومنها: أن الله خلق حواء من ضلع آدم.

قال الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿**جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا**﴾[٢].

وقوله ﴿**جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا**﴾ يقول تعالى ذكره: زوَّجكم ربكم من أنفسكم أزواجاً، وإنما قال جل ثناؤه ﴿**مِنْ أَنْفُسِكُمْ**﴾ لأنه خلق حواء من ضلع آدم[٣].

وقال أيضاً في تفسير قوله ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا**﴾[٤].

يقول تعالى ذكره: ومِن حججه وأدلته على ذلك أيضاً خلقه لأبيكم آدم

(١) فتح الباري ٥/ ١٣٩.

(٢) سورة الشورى، الآية ١١.

(٣) تفسير الطبري ٢٥/ ٨.

(٤) سورة الروم، الآية ٢١.

من نفسه زوجة ليسكن إليها، وذلك أنه خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم. كما حدثنا بشر قال: ... عن قتادة ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا**﴾ خلقها لكم من ضلع من أضلاعه[١].

ونقله القرطبي في تفسيره عن مجاهد وقتادة[٢].

وقال في موضع آخر: وإنما قال ﴿**مِنْ أَنْفُسِكُمْ**﴾ لأنه خلق حواء من ضلع آدم[٣].

وقال النووي في شرح قوله ﷺ: (إن المرأة خُلقت من ضلع): والضِّلَع بكسر الضاد وفتح اللام، وفيه دليل لما يقوله الفقهاء أو بعضهم أن حواء خُلقت من ضلع آدم، قال الله تعالى ﴿**خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾، وبيَّن النبي ﷺ أنها خُلقت من ضلع[٤].

وقال الشوكاني في نيل الأوطار: قال الفقهاء: إنها خُلقت من ضلع آدم، ويدل على ذلك قوله ﴿**خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾، وقد روي ذلك من حديث ابن عباس[٥].

أقول: وهذا هو المطابق لعقيدة اليهود، فقد ورد في العهد القديم في سفر التكوين، الإصحاح الثاني قوله: فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام. فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً. وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة، وأحضرها إلى آدم. فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي، هذه تُدعى امرأة؛ لأنها من امرئ أُخِذتْ.

---

(١) تفسير الطبري ٢١/ ٢١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٢، ١٤/ ١٧.

(٣) المصدر السابق ١٦/ ٨.

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم ١٠/ ٥٧.

(٥) نيل الأوطار ٦/ ٢٠٥.

ومنها: إثبات الصورة لله تعالى.

وقد ورد ذلك في أحاديث كثيرة:

منها: ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن أبي هريرة ـ في حديث طويل ـ أن النبي ﷺ قال: يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: مَن كان يعبد شيئاً فليتبعه. فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمّة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربّكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربّنا. فيتبعونه[١].

وأخرج البخاري في صحيحه، والحاكم في المستدرك وغيرهما بسندهما عن أبي سعيد الخدري حديثاً طويلاً جاء فيه: قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا؟ فلا يكلِّمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق. فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً... الحديث[٢].

قلت: الاعتقاد بهذين الحديثين وأمثالهما يستلزم القول بأن الله تعالى له صورة، وهو جسم، وينتقل من مكان إلى مكان، وله ساق، وهذه كلها من صفات المخلوقين الدالة على التركيب والحدوث، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قال المازري في الرد على ابن قتيبة الذي قال: (إن لله صورة لا كالصور): وهذا

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٢٠٥٥، ٢٣٢٠. صحيح مسلم ١/ ١٦٣، ١٦٧. السنن الكبرى للنسائي ٦/ ٤٥٧. صحيح ابن حبان ١٦/ ٤٥٠. كتاب السنة ١/ ٢٠٧. مسند أحمد بن حنبل ٢/ ٢٧٥،٣٩٣، ٥٣٣. الإيمان لابن منده ٢/ ٧٨٤، ٧٨٧. المصنف لعبد الرزاق ١٠/ ٣٤٠.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٢٣٢٢. المستدرك على الصحيحين ٤/ ٥٨٣.

الذي قاله ظاهر الفساد، لأن الصورة تفيد التركيب، وكل مركبٍ مُحْدَثٌ، والله تعالى ليس بمُحدَث، فليس هو مركباً، فليس مصوَّراً.

وقال: وهذا كقول المجسمة: (جسم لا كالأجسام) لما رأوا أهل السنة يقولون: (الباري سبحانه وتعالى شيء لا كالأشياء)، طردوا الاستعمال فقالوا: (جسم لا كالأجسام)، والفرق أن لفظ شيء لا يفيد الحدوث، ولا يتضمن ما يقتضيه، وأما جسم وصورة فيتضمنان التأليف والتركيب، وذلك دليل الحدوث.

وقال: العجب من ابن قتيبة في قوله: (صورة لا كالصور)، مع أن ظاهر الحديث على رأيه يقتضي خلق آدم على صورته، فالصورتان على رأيه سواء، فإذا قال: (لا كالصور) تناقض[١].

وقد مرَّ آنفاً أن في العهد القديم ما يدل على أن الله له صورة كصورة آدم، فراجعه.

ومنها: صيام يوم عاشوراء.

فإنهم رووا أن اليهود كانوا يصومون هذا اليوم فيما أخرجه البخاري ومسلم وابن حبان في صحاحهم، وأبو داود وابن ماجة والنسائي والدارمي والبيهقي في سننهم، وأحمد وابن أبي شيبة وعبد الرزاق والطحاوي والطبراني وغيرهم بأسانيدهم عن ابن عباس، قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء، فقال: ما هذا اليوم الذي تصومون؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجّى الله عز وجل فيه بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى عليه السلام. فقال رسول الله ﷺ أنا أحق بموسى منكم. فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصومه[٢].

(١) نقله النووي في شرحه على صحيح مسلم ١٦/ ١٦٦.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٥٩٣. صحيح مسلم ٢/ ٧٩٥، ٧٩٦. سنن أبي داود ٢/ ٣٢٦. سنن ابن ماجة ١/ ٥٥٢. السنن الكبرى للنسائي ٢/ ١٥٦، ١٥٩، ٦/ ٣٦٢. مسند أحمد ١/ ٢٩١، ٣١٠، ٣٣٦. =

وورووا في فضل صومه أحاديث كثيرة:

منها: ما أخرجه مسلم في صحيحه، وأبو داود والترمذي وابن ماجة في السنن، وابن حبان وابن خزيمة والبيهقي والطحاوي والبغوي وغيرهم، بأسانيدهم عن أبي قتادة عن النبي ﷺ أنه قال: صيام عاشوراء إني أحتسب على الله أن يكفّر السنة التي قبله[١].

وأفتى باستحباب صيامه فقهاء أهل السنة، بل اتفقوا عليه.

قال ابن رشد في بداية المجتهد: أما الأيام التي يقع فيها الصوم المندوب إليه وهو الركن الأول، فإنها على ثلاثة أقسام: أيام مرغَّب فيها، وأيام منهي عنها، وأيام مسكوت عنها. ومن هذه ما هو مختلف فيه، ومنها ما هو متفق عليه، أما المرغَّب فيه المتفَق عليه فصيام يوم عاشوراء[٢].

وقال الصنعاني في سبل السلام: وأما صوم يوم عاشوراء وهو العاشر من شهر المحرم عند الجماهير فإنه قد كان واجباً قبل فرض رمضان ثم صار بعده مستحباً[٣].

اعتراف ابن تيمية بموافقة عقائد اليهود لعقائد أهل السنة:

لقد اعترف ابن تيمية في كثير من كلماته المتفرقة في بعض كتبه بأن كثيراً من عقائد أهل السنة موافقة لعقائد اليهود في صفات الله وغيرها، ونحن سنستعرض

= السنن الكبرى للبيهقي ٤/ ٢٨٦، ٢٨٩. سنن الدارمي ١/ ٤٤٨. المصنف لابن أبي شيبة ٢/ ٣١٢. المصنف لعبد الرزاق ٤/ ٢٢٣، ٢٢٤. صحيح ابن حبان ٨/ ٣٨٩. المعجم الأوسط للطبراني ٧/ ١٠٧. المعجم الكبير للطبراني ١٢/ ٢٤. تفسير القرآن العظيم ١/ ٩٢. شرح معاني الآثار ٢/ ٧٥. شرح السنة ٦/ ٣٣٤ قال البغوي: هذا حديث متفق على صحته.

(١) صحيح مسلم ٢/ ٨١٩. سنن الترمذي ٣/ ١٢٦. سنن أبي داود ٢/ ٣٢٢. سنن ابن ماجة ١/ ٥٥٣. صحيح ابن حبان ٨/ ٣٩٥. صحيح ابن خزيمة ٣/ ٢٨٨. شرح معاني الآثار ٢/ ٧٧. السنن الكبرى للبيهقي ٤/ ٢٨٦. شرح السنة ٦/ ٣٤٤.

(٢) بداية المجتهد ٢/ ٨٣.

(٣) سبل السلام ٢/ ٣٣٩.

بعض كلماته المتعلقة بهذا الأمر، وسنبيِّن ما فيها من الخلل، فنقول:

١ـ زعم ابن تيمية أن التوراة مطابقة للقرآن في التوحيد والصفات:

قال في كتابه (**درء تعارض العقل والنقل**):

ثم قال سبحانه ﴿**وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ**﴾، وذلك أن الكتاب الأول مصدِّق للقرآن، فمَن نظر فيما بأيدي أهل الكتاب من التوراة والإنجيل علم علماً يقيناً لا يحتمل النقيض أن هذا وهذا جاءا من مشكاة واحدة، لا سيما في باب التوحيد والأسماء والصفات، فإن التوراة مطابقة للقرآن، موافِقة له موافَقةً لا ريب فيها[(١)].

قلت: الآية لا تدل على أكثر من أن اليهود والنصارى يعلمون أن الكتاب الذي جاء به النبي ﷺ منزَّل من عند الله سبحانه بالحق.

والظاهر أن سبب ذلك هو أنهم لم يكن ليخفى عليهم أن القرآن كلام لا يمكن صدوره من المخلوقين، فإن الله سبحانه قد تحدّى به الإنس والجن، فما استطاعوا أن يأتوا بسورة من مثله، وهذا دليل على كونه منزلاً من الله جل شأنه.

وأما ما قاله ابن تيمية من أن سببه هو أن أهل الكتاب رأوا أن التوراة مطابِقة للقرآن موافِقة له، فإن ذلك من الأباطيل التي لا يمكن التسليم بها، فإن القرآن كتاب أحكِمت آياته، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأما كتبهم ففيها من الأكاذيب والمفتريات ما لا يكاد يحصى.

ثم لا أدري أين وجد ابن تيمية تلك الموافقة المقطوع بها؟

هل وجدها في نسبة ما لا يجوز نسبته إلى الله سبحانه، كالتجسيم والتشبيه بخلقه والقول بإمكان رؤيته؟

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٢٢٢.

أو في نسبة فعل المنكرات إلى الأنبياء كشرب الخمر والكذب والاحتيال وما شابهها؟

قال ابن تيمية: وهذا مما يبين أن ما في التوراة من ذلك ليس هو من المبدَّل الذي أنكره عليهم القرآن، بل هو من الحق الذي صدَّقهم عليه، ولهذا لم يكن النبي ﷺ وأصحابه ينكرون ما في التوراة من الصفات، ولا يجعلون ذلك مما بدَّله اليهود، ولا يعيبونهم بذلك ويقولون: (هذا تشبيه وتجسيم) كما يعيبهم بذلك كثير من النفاة ويقولون: (إن هذا مما حرَّفوه)، بل كان الرسول إذا ذكروا له شيئاً من ذلك صدَّقهم عليه، كما صدَّقهم في خبر الحَبْر كما هو في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود وفي غير ذلك[١].

قلت: يكفي في إنكار ما في التوراة زجر النبي ﷺ لعمر بن الخطاب وغضبه منه لما قرأ عليه شيئاً من التوراة.

ثم إن المسلمين لم تكن عندهم نُسَخ عربية من التوراة، فإن نُسَخ التوراة كانت بالعبرانية كما في حديث أبي هريرة، وكان اليهود يفسِّرونها بالعربية[٢]، فكيف تأتى للمسلمين أن يقرؤوا التوراة ويبيّنوا ما فيها من تحريف؟

ثم ما فائدة بيان ما فيها من التحريف والضلال بنحو التفصيل مع وفاء البيان الإجمالي بالغرض؟ فإنه سبحانه قال في كتابه العزيز ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الحَقَّ**﴾[٣].

وقال ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ**

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسّرونها بالعربية لأهل الإسلام. راجع صحيح البخاري ٣/ ١٣٥٥، ٤/ ٢٢٩٥، ٢٣٥٧. السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ١٦٣. السنن الكبرى للنسائي ٦/ ٤٢٦. شعب الإيمان ٤/ ٣٠٩.

(٣) سورة النساء، الآية ١٧١.

ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[١].

فنهاهم عن أن يقولوا على الله غير الحق، سواء في توحيد الله سبحانه أم في صفاته، أم غير ذلك. وحذّرهم من اتباع أسلافهم الذين ضلّوا وأضلّوا، وهذا كافٍ في بيان ما هم عليه من ضلال وباطل.

هذا مضافاً إلى أن المسلمين قاطبة يعلمون أن القرآن الكريم ناسخ لكل الكتب السماوية السابقة حتى لو كانت غير محرّفة، فضلاً عما إذا كانت محرّفة، وهذا كاف في إخراج تلك الكتب عن دائرة الابتلاء، فلا حاجة حينئذ لتجشّم عناء بيان ما فيها من التحريف تفصيلاً.

ولا أدري كيف لا يكون في التوراة تجسيم وتشبيه لله بالمخلوقين وفيها إثبات أكثر صفات الآدميين لله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قال صاحب (المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب):

أما في موضوع التشبيه والتجسيم فاليهود يقولون في أوصاف الله سبحانه ما يلي:

١- أن له وجهاً: قال الله لموسى: (لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش).

٢- وله عينين: جاء في سفر الملوك الثاني: (افتح يا رب عينيك وانظر).

٣- وله أجفاناً: جاء في المزامير: (الرب في السماء كريم، وله عينان تنظران، أجفانه تمتحن بني آدم).

٤- وأذنين: في سفر العدد: (كان الشعب كأنهم يشتكون شراً في أذني الرب).

٥- وأنفاً: (يا رب بريح أنفك تراكمت المياه).

---

(١) سورة المائدة، الآية ٧٧.

٦- وفماً: (أما عبدي موسى فليس هكذا، فماً إلى فم وعيناً أتكلم معه).

٧- وله ذراعاً: في سفر الخروج: (يا رب بعظمة ذراعك يصمتون).

٨- وله إصبعاً: في سفر التثنية: (أعطاني الرب لَوْحَي الحجر المكتوبين بإصبع الله).

٩- وقدمين: قال اشعيا النبي: (أهكذا قال الرب: السماوات كرسيي، والأرض موطن قدمي).

١٠- وقلباً: في أخبار اليوم: (قال الله: قد اخترتُ وقدّستُ هذا البيت، ليكون اسمي إلى الأبد، وتكون عيناي وقلبي هناك كل الأيام).

١١- وله صوتاً: جاء في سفر التكوين: (إن آدم وحواء سمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة).

١٢- والله يسكن في السماء وكأنه بعيد عن الأرض: (قال الرب لموسى: أنتم رأيتم أنني في السماء تكلمت).

١٣- ويسكن في الضباب: في سفر أخبار اليوم: (حينئذ قال الرب: إنه يسكن في الضباب).

١٤- ويسكن فوق الجبال والمرتفعات: (ارفع عيني إلى الجبال من حيث يأتي عوني معونتي من عند الرب).

١٥- وقيل: إنه يسكن في سحابة تظهر فوق خيمة الاجتماع: سفر العدد: (وحين كان الله يقود اليهود في صحراء سيناء كان ينتقل أمامهم في سحابة تظهر فوق خيمة الاجتماع من موضع إلى موضع).

١٦- وأنه يسكن فوق غطاء تابوت العهد الموضوع داخل خيمة الاجتماع.

١٧- وقيل: إنه كان يسكن في هيكل أورشليم الذي بناه سليمان.

١٨- وإنه يجلس على كرسي:... في سفر الملوك: (رأيت الرب جالساً على كرسيه).

والخلاصة... أن الله تعالى على مثال الكائن البشري ذي الجسم المحدود، فهو يجلس، وينزل ويصعد، ويجيء ويذهب، ويدخل ويخرج، ويحل ويرتحل، ويسير ويلاقي ويقابل، ويسر ويفرح، ويحزن ويأسف، ويتضايق ويندم، ويغضب ويسخط، ويستهزئ ويضحك مستهزئاً، ويخادع[(١)].

قلت: وجاء في سفر التكوين، الإصحاح الثامن عشر: أن الله ظهر لإبراهيم مع ملَكين في صورة ثلاثة رجال، وهذا نصّه:

(وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار. فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه.فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض. وقال: يا سيّد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك. ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة).

وفي سفر الخروج، الإصحاح الثالث والثلاثين: (ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه).

وفي سفر الخروج، الإصحاح الثالث عشر: (وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب، ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم، لكي يمشوا نهاراً وليلاً).

فإذا لم يكن هذا وأمثاله تجسيماً للخالق، وتشبيهاً له بالمخلوقين، فما هو التجسيم والتشبيه بنظر ابن تيمية؟!

قال ابن تيمية: فلو كان ما في التوراة من الصفات التي تقول النفاة إنها تشبيه وتجسيم، فإن فيها من ذلك ما تنكره النفاة وتسميه تشبيهاً وتجسيماً، بل فيها إثبات

---

(١) المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب ١/ ١٨٥.

الجهة، وتكلم الله بالصوت، وخلق آدم على صورته، وأمثال هذه الأمور، فإن كان هذا مما كذَّبته اليهود وبدَّلته كان إنكار النبي ﷺ لذلك وبيان ذلك أولى من ذكر ما هو دون ذلك.

قلت: لا ريب في أن كل ما ساقه من الأمثلة غير ثابت في دين الإسلام، بل الثابت فيه خلافه، وقد نفى الله سبحانه عنه كل ذلك في كتابه العزيز في آيات كثيرة، منها قوله سبحانه ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾، وهذا كاف في نفي الجهة والتكلم بالصوت وكونه على صورة آدم وغير ذلك، لأن إثبات هذه الأمور له سبحانه يعني أنه مشابه لخلقه، فإن تلك الصفات معهودة في المخلوق المحدَث، وهو ما تنفيه الآية الشريفة.

ثم إن النبي ﷺ قد بيَّن لهذه الأمة ما يجوز نسبته إلى الله وما لا يجوز، وهذا بحدّه كاف في الردّ على اليهود والنصارى الذين وصفوه سبحانه بما لا يصح وصفه به، وليس شرطاً أن يبيّن ﷺ للناس أن ما جاء به إنما هو ردّ على اليهود والنصارى، وذلك لأن السنة النبوية المطهرة تكفّلت بهداية الأمة، ولم تتصدَّ بالدرجة الأولى للرد على أهل الكتاب.

وعلى سبيل المثال قول الله تعالى ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[١]، هو ردّ على اليهود الذين قالوا: (عزير ابن الله)، وردّ على النصارى الذين قالوا: (المسيح ابن الله)، وإن لم تتعنون الآية بعنوان الرد عليهم.

قال ابن تيمية: فكيف والمنصوص عنه موافق للمنصوص في التوراة، فإنك تجد عامة ما جاء به الكتاب والأحاديث في الصفات موافقاً مطابقاً لما ذكر في التوراة!! وقد قلنا قبل ذلك: إن هذا كله مما يمتنع في العادة توافق المخبرين به من غير مواطأة،

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٠١.

وموسى لم يواطئ محمداً، ومحمد لم يتعلَّم من أهل الكتاب، فدلَّ ذلك على صدق الرسولين العظيمين وصدق الكتابين الكريمين.

قلت: إن المنصوص في كتاب الله مخالف لما هو المنصوص في التوراة، من إثبات الأعضاء لله سبحانه، والجهة، والتكلم بالصوت، وكون صورته كصورة آدم، وغير ذلك مما مر، فإن إثبات كل هذه الأمور مخالف لقوله تعالى ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ وغيرها من الآيات الكثيرة الأخر.

وأما المنصوص المروي من طريق أبي هريرة وأمثاله، الذي كان يأخذ من كعب الأحبار وينسبه للنبي ﷺ، فهذا مروي عن كعب لا عن النبي ﷺ، والمروي عن كعب لا قيمة له، وهو قطعاً موافق للتوراة، لأنه مأخوذ منها.

أو لعل (المنصوص في كلام ابن تيمية الموافق للتوراة) مأخوذ من كلام عبد الله بن عمرو بن العاص الذي كان يحدّث من الزاملتين اللتين حصل عليهما من كتب أهل الكتاب، وهذا أيضاً منصوص، لكنه لا قيمة له، لأنه من كلام أهل الكتاب الموافق لما في توراتهم.

قال ابن تيمية: وقلنا: إن هذا لو كان مخالفاً لصريح المعقول لم يتَّفق عليه مثل هذين الرجلين اللذين هما وأمثالهما أكمل العالمين عقلاً، من غير أن يستشكل ذلك وليّهما المصدِّق، ولا يعارِض بما يناقضه عدوّهما المكذِّب، ويقولان: إن إقرار محمد ﷺ لأهل الكتاب على ذلك، من غير أن يبين كذبهم فيه، دليل على أنه ليس مما كذبوه وافتروه على موسى، مع أن هذا معلوم بالعادة، فإن هذا في التوراة كثير جداً، وليس لأمة كثيرة عظيمة منتشرة في مشارق الأرض ومغاربها غرض في أن تكذب مَن تعظمه غاية التعظيم بما يقدح فيه ويبين فساد أقواله.

قلت: التوافق بين رسول الله ﷺ وبين موسى عليه السلام لا إشكال فيه، لأن كلاً منهما نبي معصوم مبلِّغ عن الله سبحانه.

وأما التوافق بين التوراة المحرَّفة وبين ما رواه أبو هريرة وغيره من كلام كعب، أو ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص من الزاملتين، فهذا أجنبي عن التوافق بين رسول الله ﷺ وبين موسى عليه السلام ولا يستلزمه، لأن ما في التوراة من تلك الأمور المذكورة ونظائرها لم يأتِ به موسى عليه السلام، وما رواه أبو هريرة ونظائره لم يقله النبي ﷺ، فكيف يستكشف من موافقة مرويات أبي هريرة للتوراة المحرَّفة التوافق بين هذين النبيين الكريمين؟

قال ابن تيمية: ولكن لهم غرض في أن يكذبوا كذباً يقيمون به رياستهم وبقاء شرعهم، والقدح فيما جاء به مَن ينسخ شيئاً منهم، كما لهم غرض في الطعن على عيسى ابن مريم وعلى محمد ﷺ[(١)].

قلت: إن الأغراض من تحريف الكتب والديانات كثيرة، فقد ترتبط بالرئاسات وقد لا ترتبط بها، إذ قد يكون الداعي إلى تحريف أحكام الشريعة هو الكيد للدين من قبل بعض المنافقين المتستّرين الذين لا يستطيعون إعلان الحرب عليه، مع أنهم يعلمون أن ذلك لا يقيم لهم رئاسة.

والتحريفات الموجودة في التوراة كثير منها لا يرتبط بالرئاسات، لأن من تحريفات التوراة ما فيه نسبة أمور شائنة إلى أنبياء الله عليهم السلام، فمما نسبوه مثلاً إلى نبي الله لوط عليه السلام ما جاء في العهد القديم في سفر التكوين في الإصحاح التاسع عشر، ما هذا نصه: وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل، وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلمَّ نسقي أبانا خمراً، ونضطجع معه، فنحيي من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٨٨ ـ ٩٠.

قد اضطجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمراً الليلة أيضاً، فادخلي واضطجعي معه، فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم، والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمي، وهو أبو بني عمون إلى اليوم.

فهل في اختلاق مثل هذه الأكاذيب تشييد رئاسة أو تقوية زعامة؟ أو تكذيب لنبوة النبي ﷺ ونبوة عيسى عليه السلام ؟

قال ابن تيمية: فلو كان ما في التوراة من إثبات الصفات مما بدَّلوه وافتروه لكان إنكار هذا من أعظم الواجبات، ولكان الرسول يعيبهم بما ينكره النفاة من التشبيه والتجسيم وأمثال هذه العبارات، فلما كان الرسول العربي مقرِّراً لما في التوراة من الصفات، ومخبراً بمثل ما في التوراة، كان ذلك من أعظم دليل على أن ما في التوراة من الصفات التي أخبر بها الرسول العربي أيضاً ليس مما كذبه أهل الكتاب[1].

قلت: لقد قلنا فيما مرّ أن النبي ﷺ ردّ عليهم في سنّته المطهرة، كما بيّن الله ذلك في كتابه العزير في آيات كثيرة متفرقة في ثناياه، والنبي ﷺ لم يقرّر ما دلَّ على التجسيم في التوراة، بل قرَّر ذلك كعب على لسان أبي هريرة وغيره، وأين هذا من تقرير النبي ﷺ ؟

وعليه فأين الدليل على أن ذلك ليس مما كذبه أهل الكتاب مع أنه مخالف لصريح القرآن الكريم ولما جاء به النبي ﷺ من تنزيه أنبياء الله عن كل المساوئ والمخازي والمعاصي؟

فلا يجب على النبي ﷺ بيان أكثر من هذا البيان، فضلاً عن كونه من أعظم الواجبات عليه، وهو واضح لا يحتاج إلى مزيد إيضاح.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٧٩.

٢ـ زعم ابن تيمية أن النبي ﷺ كان يوافق اليهود في عقائدهم:

قال في كتابه المذكور: وكان اليهود إذا ذكروا بين يديه أحاديث في ذلك يقرأ من القرآن ما يصدِّقها، كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود، أن يهودياً قال للنبي ﷺ: إن الله يوم القيامة يمسك السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، ثم يهزّهن ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ فضحك رسول الله ﷺ تعجباً وتصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ قوله تعالى ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[1].

قلت: ما رووه عن ابن مسعود مع التسليم بصحّته جدلاً لا يدل على ما فهموه، فإن الظاهر أن النبي ﷺ ضحك من كلامه، وردَّ عليه بالآية المباركة الدالة على أن من يعتقد بأن الله سبحانه له أصابع فإنه شبَّهه بخلقه، فما قدره حق قدره.

وفي بعض طرق الحديث في صحيح البخاري ومسلم أن النبي ﷺ تلا قوله تعالى ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ واكتفى[2]، وهو يدل على ردّه على اليهودي لا على موافقته له.

ويدل على ذلك أن الآية ليس فيها ذكر لأصابع اليدين البتة، ومعنى ﴿**وَالأَرْضُ جَميعًا قَبْضَتُهُ**﴾ أي تحت قدرته يتصرف فيها كيف يشاء، ومعنى ﴿**وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمينِهِ**﴾ أي في سلطانه وتحت هيمنته.

وليس المراد بالقبضة واليمين معناهما الحقيقي، وهو إثبات اليد اليمنى والقبضة لله، تعالى الله عن ذلك، بل المراد معناهما المجازي الذي قلناه، وهذا استعمال شائع في كلام العرب، فيقال: زيد في قبضتي، أي أنا متمكن منه قادر عليه، وذكر اليمين

---

(١) سورة الزمر، الآية ٦٧.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٢٣٢٧. صحيح مسلم ٤/ ٢١٤٨.

للإشارة إلى كمال الاقتدار، ولذا قال سبحانه ﴿**لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ**﴾(١)، فالأخذ باليمين هو الأخذ بتمام القدرة وكمالها، ولذا قيل للمملوك (ملك اليمين)، مع أن اليمين لا تملك، وإنما أرادوا أنه مملوك مقدور عليه بتمام القدرة.

والحاصل أن الآية لا تثبت أن لله يميناً ولا قبضة، وإنما تثبت تمام قدرته سبحانه وسلطنته على السماوات والأرض ومَن فيهن وما فيهن، بحيث لا يخرج من سلطانه وقدرته أحد.

قال ابن تيمية: وأخبر هو ﷺ بما يوافق ذلك غير مرة، كما في حديث ابن عمر الذي في الصحيحين أن النبي ﷺ قرأ على المنبر هذه الآية، ثم قال: يقول الله: (أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا المتعال)، يمجّد نفسه. قال: فجعل رسول الله ﷺ يردّدها حتى رجف به المنبر، حتى ظننا أنه سيخر به(٢).

قلت: لم يروِ البخاري ومسلم في الصحيحين حديثاً بهذا اللفظ، وكل ما رأيناه من طرق هذا الحديث في الصحيحين مما رواه ابن عمر من كلام النبي ﷺ لا يشتمل على ذكر وضع السماوات على إصبع والأرضين على إصبع، بل في بعضها: فيأخذ الجبار سماواته وأرضيه بيديه.

وفي بعضها: يطوي الله عزَّ وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك...(٣).

ويمكن حمل هذين الحديثين على المعنى المجازي الذي قلناه.

ثم إن الحديث الذي ساقه ابن تيمية مستشهداً به على موافقة النبي ﷺ لليهود لا دلالة فيه على ما أراد، فإنه لم يشتمل على إثبات شيء من الأعضاء والأصابع لله

---

(١) سورة الحاقة، الآيات ٤٥، ٤٦.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٩٦.

(٣) صحيح البخاري ٣/ ١٥٢٠، ٤/ ٢٠٤٣، ٢٣٠٤، ٢٣١٣. صحيح مسلم ٤/ ٢١٤٨، ٢١٤٩.

سبحانه كما هو واضح من الحديث.

وقال ابن تيمية أيضاً في كتابه (الفرقان بين الحق والباطل):

قد كان اليهود عند النبي ﷺ بالمدينة، وكانوا أحياناً يذكرون له بعض الصفات، كحديث الحَبْر، وقد ذمَّ الله اليهود على أشياء كقولهم: (إن الله فقير، وإن يده مغلولة)... وغير ذلك، ولم يقل النبي ﷺ قط: (إنهم يجسِّمون)، ولا (إن في التوراة تجسيماً)، ولا عابهم بذلك، ولا ردَّ هذه الأقوال الباطلة بأن هذا تجسيم كما فعل ذلك مَن فعله من النفاة[(١)].

وقال أيضاً: إن النبي ﷺ لم يكن ينكر على أهل الكتاب ما يخبرون به من الصفات التي تسمّيها النفاة تجسيماً وتشبيهاً، وإنما أنكر عليهم ما وصفوا الله تعالى به من النقائص والعيوب.

ولهذا لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين أنهم ذمّوا أهل الكتاب بما يذمّهم به نفاة الصفات، ولا يذكرون لفظ التجسيم ونحوه من الألفاظ التي أحدثها المحدثون، لا بمدح ولا ذم، ولا يقولون ما تقوله النفاة: (إن التوراة فيها تشبيه) كما قال ابن سينا: الكتاب العبراني كله من أوله إلى آخره تشبيه صرف[(٢)].

قلت: قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم رداً على ما قاله الحبر اليهودي: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ كافٍ في نفي التجسيم والتشبيه الوارد في كلام اليهودي لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ولا يجب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول خصوص: (إن في التوراة تجسيماً وتشبيهاً)، ما دام الاستشهاد بالآية وافياً بتمام الغرض، بل إن ذكر الآية أولى، لأنها تنفي كل ما لا يليق به تعالى وما لا تصح نسبته إليه سبحانه من التجسيم والتشبيه

---

(١) الفرقان بين الحق والباطل ١٣/ ١٦٧.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٨١.

وغيرهما مما أثبته له اليهود.

ثم إن ما ذكره من أن النبي ﷺ كان يوافق أحبار اليهود فيما يقولون من صفات الله غير صحيح، كيف وقد رووا أن اليهود جاؤوا يسألون النبي ﷺ عن خلق السماوات والأرض، فلما أجابهم قالوا: قد أصبت لو أتممت. قالوا: ثم استراح. قال: فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً، فنزلت ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ۞ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ**﴾[١].

بل إنهم رووا أن النبي ﷺ نهى المسلمين عن تصديقهم في مقالاتهم، فقال: ما حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا : آمنّا بالله ورسله. فإن كان باطلاً لم تصدّقوه، وإن كان حقاً لم تكذّبوه[٢].

وقال: لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا ﴿**آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إليكم**﴾[٣].

فلو كان ما يقوله اليهود في الصفات وغيرها حقاً لما نهى النبي ﷺ المسلمين عن تصديقهم، بل ولأمرهم بأخذ ما في التوراة من الصفات، ولما نهر عمر بن الخطاب لما وجد عنده جزءاً من التوراة، وهذا كله واضح.

والعجب من ابن تيمية كيف يزعم ذلك والحال أن التوراة مشحونة بأمور كثيرة لا يصح نسبتها لله تعالى، وقد ذكرنا نماذج كثيرة منها فيما تقدم، فراجعها.

---

(١) المستدرك ٢/ ٥٤٣، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) سنن أبي داود ٣/ ٣١٨. مسند أحمد ٤/ ١٣٦. المستدرك على الصحيحين ٣/ ٣٥٨. صحيح ابن حبان ١٤/ ١٥١. شرح السنة ١/ ٢٦٨. المعجم الكبير للطبراني ٢٢/ ٣٤٩ ـ ٣٥١. السنن الكبرى للبيهقي ٢/ ١٠. المصنف لعبد الرزاق ٩/ ٥٤٤، ١٠/ ١٤٤. موارد الظمآن ١/ ٧٧. شعب الإيمان ٤/ ٣٠٩.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٨١٤، ٣/ ١٣٥٦، ٤/ ٢٢٩٥، ٢٣٥٧. المصنف لعبد الرزاق ٦/ ٨٨، ٩/ ٥٤٣. السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ١٦٣. السنن الكبرى للنسائي ٦/ ٤٢٦. المصنف لابن أبي شيبة ٥/ ٣١٤. شعب الإيمان ٤/ ٣٠٩.

٣ـ زعم ابن تيمية أن في الأرض نُسَخاً صحيحة من التوراة:

قال في كتاب (الفرقان بين الحق والباطل):

قيل: ليس في العالم نسخة بنفس ما أنزل الله في التوراة والإنجيل، بل ذلك مبدَّل، فإن التوراة انقطع تواترها والإنجيل.

ثم مِن هؤلاء من زعم أن كثيراً مما في التوراة أو الإنجيل باطل ليس من كلام الله. ومنهم من قال: بل ذلك قليل.

وقيل: لم يحرِّف أحد شيئاً من حروف الكتب، وإنما حرَّفوا معانيها بالتأويل.

وهذان القولان قال كلاً منهما كثير من المسلمين، والصحيح القول الثالث، وهو أن في الأرض نُسَخاً صحيحة، وبقيت إلى عهد النبي ﷺ ونسخاً كثيرة محرَّفة، ومن قال: إنه لم يحرَّف شيء من النسخ فقد قال ما لا يمكنه نفيه، ومن قال: جميع النسخ بعد النبي ﷺ حُرِّفت فقد قال ما يعلم أنه خطأ، والقرآن يأمرهم أن يحكموا بما أنزل الله في التوراة والإنجيل، ويخبر أن فيهما حكمه، وليس في القرآن خبر أنهم غيَّروا جميع النسخ.

وإذا كان كذلك فنقول: هو سبحانه قال ﴿**وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فِيهِ**﴾، وما أنزله الله هو ما تلقوه عن المسيح[١].

قلت: لا دليل على وجود نُسَخ من التوراة والإنجيل خالية من التحريف عند اليهود والنصارى، وكما أنه ليس في القرآن دليل على أنهم حرّفوا جميع النُّسَخ، كذلك ليس في القرآن دليل على بقاء بعض النُّسَخ صحيحة من غير تحريف.

ولو كان عندهم نُسَخ من التوراة غير محرفة لما كان للقرآن حينئذ فضل على التوراة والإنجيل، وذلك لأن الله كما حفظ القرآن حفظ التوراة والإنجيل في الجملة،

---

(١) الفرقان بين الحق والباطل ١٣/ ١٠٥.

ولو ببقاء بعض النُّسَخ الصحيحة منهما.

وأما أمر الله تعالى اليهود والنصارى بأن يحكموا بما أنزل الله في التوراة والإنجيل، فلا يدل على أن كل ما في التوراة والإنجيل الموجودين عند أهل الكتاب هو مما أنزله الله سبحانه، بل يحتمل أنه سبحانه إنما أمرهم بالحكم بما أنزله الله فيهما من أجل أن علماء النصارى وأحبار اليهود يعلمون ما كان من عند الله وما هو محرّف في هذين الكتابين، ولذا أمر الله سبحانه اليهود والنصارى أن يحكموا بما يعلمون أن الله أنزله منهما.

والذي يظهر من أقوال المفسرين منهم هو أن الله أمرهم بأن يحكموا بما أنزل الله في التوراة: إما في مسألة رجم الزاني، فإنهم كانوا إذا زنى الشريف لم يرجموه، وإذا زنى الوضيع رجموه، فأمرهم الله سبحانه بأن يحكموا بما أنزله الله في التوراة من إقامة الحد على الشريف وغيره، أو في مسألة القصاص في القتل والدية، وأين هذا من الدلالة على أن كل ما في التوراة مما أنزله الله سبحانه؟

ويدل على ما قلناه أقوال علماء التفسير .

فقد قال الطبري في تفسيره: يعني تعالى ذكره: وكيف يحكّمك هؤلاء اليهود يا محمد بينهم، فيرضون بك حكماً بينهم، وعندهم التوراة التي أنزلتها على موسى، التي يقرّون بها أنها حق وأنها كتابي الذي أنزلته على نبيي، وأن ما فيه من حكم فمن حكمي، يعلمون ذلك لا يتناكرونه ولا يتدافعونه، ويعلمون أن حكمي فيها على الزاني المحصن الرجم، وهم مع عملهم بذلك يتولون. يقول: يتركون الحكم به بعد العلم بحكمي فيه جراءة عليّ وعصياناً لي. وهذا وإن كان من الله تعالى ذكره خطاباً لنبيه ﷺ فإنه تقريع منه لليهود الذين نزلت فيهم هذه الآية، يقول لهم تعالى: كيف تقرّون أيها اليهود بحكم نبيي محمد ﷺ مع جحودكم نبوته وتكذيبكم إياه، وأنتم تتركون حكمي الذي تقرّون به أنه حق عليكم واجب جاءكم به موسى من عند الله؟

يقول: فإذا كنتم تتركون حكمي الذي جاءكم به موسى الذي تقرّون بنبوته في كتابي فأنتم بترك حكمي الذي يخبركم به نبيي محمد أنه حكمي أحرى مع جحودكم نبوته.

وأخرج بسنده عن السدي أنه قال: يعني الرب تعالى ذكره يعيّرهم: وكيف يحكّمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله، يقول: الرجم؟

وبسنده عن قتادة، قال: قوله ﴿**وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ**﴾ أي بيان الله ما تشاجروا فيه من شأن قتيلهم ثم يتولون من بعد ذلك[١].

وقال ابن الجوزي في زاد المسير: قوله تعالى ﴿**فِيهَا حُكْمُ اللهِ**﴾ فيه قولان: أحدهما: حكم الله بالرجم وفيه تحاكموا، قاله الحسن. والثاني: حكمه بالقوَد وفيه تحاكموا، قاله قتادة[٢].

وقال الجصاص في أحكام القرآن: قوله تعالى ﴿**وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ**﴾ يعني الله أعلم فيما تحاكموا إليك فيه، فقيل: إنهم تحاكموا إليه في حد الزانيين. وقيل: في الدية بين بني قريظة وبني النضير، فأخبر تعالى أنهم لم يتحاكموا إليه تصديقاً منهم بنبوته، وإنما طلبوا الرخصة، ولذلك قال ﴿**وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ**﴾ يعني هم غير مؤمنين بحكمك أنه من عند الله مع جحدهم بنبوتك وعدولهم عما يعتقدونه حكماً لله مما في التوراة.

وروى عن الحسن أن حكم الله الذي في التوراة هو الرجم، وروى عن قتادة أنه القوَد في القتل، وقال: وجائز أن يكونوا تحاكموا إليه فيهما جميعاً من الرجم والقود[٣].

٤ـ زعمه أن التوراة الموجودة في زمن النبي ﷺ فيها أحكام الله:

قال في كتابه (دقائق التفسير):

---

(١) تفسير الطبري ٦/ ١٦٠.

(٢) زاد المسير ٢/ ٢٧٩.

(٣) أحكام القرآن ٢/ ٤٣٨.

قوله : ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ﴾، يُعلم من هذا أن التوراة التي كانت موجودة بعد خراب بيت المقدس وبعد مجيء بختنصر وبعد مبعث المسيح وبعد مبعث محمد ﷺ فيها حكم الله.

والتوراة التي كانت عند يهود المدينة على عهد رسول الله ﷺ وإن قيل [!!]: (إنه غُيِّر بعض ألفاظها بعد مبعثه)، فلا نشهد على كل نسخة في العالم بمثل ذلك، فإن هذا غير معلوم لنا، وهو أيضاً متعذِّر، بل يمكن تغيير كثير من النسخ، وإشاعة ذلك عند الأتباع حتى لا يوجد عند كثير من الناس إلا ما غُيِّر بعد ذلك، ومع هذا فكثير من نسخ التوراة والإنجيل متَّفقة في الغالب، إنما يختلف في اليسير من ألفاظها، فتبديل ألفاظ اليسير من النسخ بعد مبعث الرسول ممكن، لا يمكن أحداً أن يجزم بنفيه، ولا يقدر أحد من اليهود والنصارى أن يشهد بأن كل نسخة في العالم بالكتابين متَّفقة الألفاظ، إذ هذا لا سبيل لأحد إلى علمه.

قلت: لقد تقدم آنفاً ما قاله المفسّرون في المراد بحكم الله الموجود في التوراة، وهو أنه خصوص الرجم أو القصاص لا غيرهما من الأحكام.

وعليه فالآية المباركة لا تدل على أن التوراة فيها أحكام أخرى لله سبحانه، ودلالة الآية على وجود حكم لله تعالى أو حكمين أو أحكام قليلة لا مشاحة فيه، وهو لا ينفي التحريف عن التوراة الموجودة عند اليهود في زمن النبي ﷺ.

ولست أدري لم هذا الدفاع المستميت من ابن تيمية للتشكيك في تحريف التوراة التي كانت في زمن النبي ﷺ، بالتشبّث بأنا لا نعلم بأن كل نسخة محرّفة، وأنا لا نقطع ... ولا نجزم...، ولا يمكن الجزم... وأمثال ذلك.

مع أن كل المسلمين متّفقون على أن التوراة والإنجيل محرَّفان، وأن وجود التحريف فيهما ولو في الجملة كافٍ في إسقاط حجّيتهما لو كان كل منهما حجة قبل ابتلائه بالتحريف، فكيف وهما منسوخان بالقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه

ولا من خلفه.

وعليه فالخوض في أن فيهما أحكاماً لله سبحانه أو ليس فيهما لا فائدة فيه البتة، ولا تترتب عليه أية ثمرة.

ولعل ابن تيمية في دخيلة نفسه كان لا يرضى أن يقال بتحريف التوراة، أو لعله كان يعتقد أنها كالقرآن في صحة الاحتجاج والعمل بها، إلا أنه كان لا يجرؤ أن يصرح بذلك، فصار يحوم حوله، ويتلكّأ في إبرازه.

وقال ابن تيمية: والقرآن والسنة المتواترة يدلان على أن التوراة والإنجيل الموجودين في زمن النبي ﷺ فيهما ما أنزله الله عز وجل، والجزم بتبديل ذلك في جميع النسخ التي في العالم متعذِّر، ولا حاجة بنا إلى ذكره، ولا علم لنا بذلك، ولا يمكن أحداً من أهل الكتاب أن يدَّعي أن كل نسخة في العالم بجميع الألسنة من الكتب متَّفقة على لفظ واحد، فإن هذا مما لا يمكن أحداً من البشر أن يعرفه باختياره وامتحانه، وإنما يُعلم مثل هذا بالوحي، وإلا فلا يمكن أحداً من البشر أن يقابل كل نسخة موجودة في العالم بل نسخة من جميع الألسنة بالكتب الأربعة والعشرين[1].

قلت: لقد أوضحنا فيما تقدم أن القرآن لا يدل على أن كل ما في التوراة والإنجيل الموجودين في زمن النبي ﷺ هو مما أنزله الله عز وجل، بل غاية ما يدل هو أن في التوراة بعض أحكام الله كحكم الرجم والقصاص، وأما غيرها فلا.

وقوله: (والجزم بتبديل ذلك في جميع النسخ التي في العالم متعذِّر).

عجيب كسائر كلامه، فإنا لسنا مكلفين باستقصاء كل نُسَخ التوراة للحكم بأنها محرّفة، بل يكفي في الحكم بتحريف التوراة أنّا نرى أن النُّسَخ المتداولة عندهم التي يعوّلون عليها ويقولون بصحتّها محرفة، وإن كان بعض النُّسَخ التي لا نعلم بها في الواقع خالية من التحريف.

---

(١) دقائق التفسير ٣/ ٥٨.

ثم إن التشبّث لنفي التحريف باحتمال وجود نسخ غير محرّفة، وبعدم علمنا بكل نُسَخ التوراة، وبأمثال ذلك من الاحتمالات الضعيفة والخيالات الواهية، لا يقوله منصف، بل لا يصدر إلا ممن يغيظه التعرض إلى ما يدين به اليهود من كتب وأحكام، وإلا فلا تجد مسلماً يستميت في الدفاع عن اليهود بهذه الشدّة.

٥ـ زعم ابن تيمية أن تحريف التوراة والإنجيل في الأخبار لا في الأحكام:

قال في كتابه دقائق التفسير:

قال تعالى ﴿**وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فِيهِ**﴾. فعُلم أن في هذا الإنجيل حكماً أنزله الله تعالى، لكن الحكم هو من باب الأمر والنهي، وذلك لا يمنع أن يكون التغيير في باب الأخبار، وهو الذي وقع فيه التبديل لفظاً، **وأما الأحكام التي في التوراة فما يكاد أحد يدَّعي التبديل في ألفاظها**[١].

قلت: إن وجود أحكام صحيحة يسيرة في الإنجيل أو التوراة لا يمنع أن يكون التحريف حاصلاً في باب الأحكام كما هو حاصل في العقائد.

كما أن وجود عقائد صحيحة في التوراة لا يدل على أن التحريف منحصر في باب الأخبار فقط، وذلك لأن في التوراة والإنجيل أخباراً صحيحة أيضاً.

والنتيجة أنه لا دليل على انحصار التحريف في الأخبار، كما لا دليل على انحصاره في الأحكام، والظاهر هو أن التحريف واقع في الأحكام والصفات والأخبار، بدليل وجود ما لا يصح نسبته إلى الله سبحانه كالتجسيم والتشبيه وغيرهما، ووجود أحكام باطلة كشرب الأنبياء للخمر الدال على جواز شربه، ووجود أخبار مكذوبة كثيرة ذكرنا بعضاً منها.

والذي يلفت النظر أن ابن تيمية دافع عن الإنجيل بهدوء، وأثبت احتمال

(١) دقائق التفسير ٣/ ٤٩.

التحريف في أخبار الإنجيل دون أحكامه، فقال: لا يمنع أن يكون التحريف في الإنجيل في الأخبار.

وأما في دفاعه عن التوراة فإن لهجته قد تغيّرت، فلم يذكر وقوع التحريف في أخبار التوراة ولو احتمالاً، وعمد إلى نفي التحريف في أحكامها بضرس قاطع، بنفيه التبديل حتى في ألفاظ تلك الأحكام، فقال: وأما الأحكام التي في التوراة فما يكاد أحد يدَّعي التبديل في ألفاظها.

فانظر الفرق بين دفاعه عن التوراة ودفاعه عن الإنجيل، لتعلم أن لابن تيمية علاقة خاصة بالتوراة هو يعلمها.

٦ـ زعم ابن تيمية أن المنسوخ من التوراة والإنجيل قليل:

قال في كتاب دقائق التفسير:

فإن قيل: فإذا كانت الكتب المتقدمة منسوخة فلماذا ذمَّ أهل الكتاب على ترك الحكم بما أنزل الله منها؟

قيل: النسخ لم يقع إلا في قليل من الشرائع، وإلا فالأخبار عن الله وعن اليوم الآخر وغير ذلك فلم تنسخ، وكذلك الدين الجامع والشرائع الكلية لا نسخ فيها[١].

قلت: لا دليل على قلة المنسوخ في التوراة والإنجيل، بل الظاهر أن المنسوخ منها أكثر من غير المنسوخ، ولذا لا نجد اليهود أو النصارى في عباداتهم وأحكامهم كالمسلمين، بل ما أبعد ما بينهم من التفاوت في عباداتهم، بل لا تكاد تجد بينهم مشابهة في شيء واحد من عباداتهم أصلاً، وهذا يدل على أن النسخ أو التحريف قد وقع في كل هذه الأمور، وإلا لبقيت ولو ثمالة من أحكامهم يتوافقون فيها مع المسلمين، بخلاف طوائف المسلمين، فإنها تتشابه كثيراً في الهيكل العام للعبادات والمعاملات

---

(١) دقائق التفسير ٣/ ٥٨.

وإن اختلفت في التفاصيل.

اللهم إلا ما لا يمكن وقوع النَّسْخ فيه كحرمة الظلم والسرقة والكذب والزنا والقتل وغيرها من القبائح، ووجوب العدل والصدق ورد الأمانة وأمثالها من المحاسن، فهذه الأمور لا نسخ فيها، إلا أن محل الكلام ليس هذه الأمور، بل تلك.

ثم إن جواب الإشكال المتقدم من ابن تيمية هو أنه سبحانه إنما ذمّهم على تركهم حكم الله المعلوم كونه من أحكامه سبحانه، وهو القصاص أو الرجم، وهذا لا يستلزم ذمّهم على ترك كل حكم في التوراة والإنجيل، حتى يستدل ابن تيمية بذلك على أن أكثر أحكام التوراة والإنجيل صحيحة.

٧ ـ زعمه أن التوراة الموجودة مثل القرآن:

قال في كتاب (رسالة في التقليد المذموم):

فمن تدبَّر التوراة والقرآن علم أنهما جميعاً يخرجان من مشكاة واحدة، كما ذكر ذلك النجاشي، وكما قال ورقة بن نوفل: هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى. ولهذا قرن الله تعالى بين التوراة والقرآن في مثل هذا قوله ﴿**لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ**﴾... إلى قوله ﴿**إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[١].

قلت: المراد بالناموس الذي يأتي موسى هو المَلَك المكلَّف بالوحي، وهو جبرئيل عليه السلام[٢] لا الكلام الموحى إلى موسى عليه السلام وهو التوراة، فما قاله ورقة بن نوفل لا ارتباط له بالتوراة والقرآن كما هو واضح.

ثم إن الله جل شأنه في قوله سبحانه ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا**

(١) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (رسالة في التقليد المذموم) ٤/ ٢١٢.

(٢) قال في لسان العرب ٦/ ٢٤٤: الناموس جبريل صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم، وأهل الكتاب يسمّون جبريل عليه السلام الناموس... ثم ذكر حديث ورقة بن نوفل، وذكر هذه المقالة منه.

أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ۞ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[١] إنما قرن بين القرآن والتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام الخالية من التحريف، ونحن إنما نتكلم في التوراة المحرّفة الموجودة عند اليهود.

وكيف كان فإن كان مراده بالتوراة التي قال: (إنها خرجت مع القرآن من مشكاة واحدة) هي التوراة التي أنزلها الله سبحانه على موسى عليه السلام، فلا ريب في أنها كالقرآن كلام الله المنزَل الذي فيه الهدى والنور.

وأما إن كان مراد ابن تيمية بالتوراة ما هو عند اليهود في العصور المتأخرة كما هو ظاهر كلامه حيث قال: (من تدبَّر التوراة والقرآن عَلِم...)، فلا ريب في أنها تخالف القرآن وتغايره، فإن القرآن كتاب كله هدى وحق، وأما التوراة ففيها باطل كثير، بل لعل أكثرها باطل، فإن فيها نسبة ما لا يصح على الله سبحانه، ونسبة كثير من المآثم لأنبياء الله سبحانه.

ولا بأس أن نذكر بعضاً من المساوئ المنسوبة إلى الأنبياء عليهم السلام ليزداد القارئ العزيز بصيرة ببطلان كلام ابن تيمية وأضرابه الذين استماتوا في الدفاع عن التوارة المحرفة.

منها: أن يعقوب خدع أباه إسحاق، وكذب عليه، وأوهمه أنه هو الابن الأكبر له، وهو عيسو، فأخذ بركة أبيه إسحاق الذي كان يريد أن يعطيها لولده عيسو، وبذلك صار يعقوب هو النبي دون أخيه عيسو.

ومنها: أن شكيم بن حمور زنا ببنت يعقوب.

ومنها: أن ابنتي لوط سقتا أباهما لوطاً خمراً واضطجعتا معه وهو لا يشعر

(١) سورة القصص، الآيتان ٤٨، ٤٩.

بنفسه، فحملتا منه، وولدت كل واحدة منهما ولداً. وقد نقلنا نص ذلك من التوراة فيما تقدم.

ومنها: ما ورد في سفر إشعيا، ونصّه: (الكاهن والنبي ترنَّحا بالمسكر، ابتلعتهما الخمر، تاها في المسكر، ضلا في الرؤيا وفي القضاء)[(١)].

ومنها: ما ورد في سفر إرميا، ونصّه: (لأن الأنبياء والكهنة تنجَّسوا جميعاً، بل في بيتي وجدت شرّهم يقول الرب)[(٢)].

ومنها: ما ورد في سفر الملوك الأول، ونصّه: (وأحبَّ الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون: موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحِثِّيَّات من الأمم الذين قال عنهن الرب لبني إسرائيل: (لا تخلوا إليهم، وهم لا يدخلون إليكم، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم). فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات، وثلاثمائة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه، وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه)[(٣)].

ومنها: ما في سفر صموئيل الثاني، ونصّه: (وكان وقت المساء أن داود قام من سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً، فأرسل داود وسأل عن المرأة، فقال واحد: أليست هذه (بتشبع بنت أليعام) امرأة (أوريا الحثي)؟ فأرسل داود رسلاً وأخذها، فدخلت إليه، فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة، فأرسلت إلى داود وقالت: إني حبلى. وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى (يوآب) [قائد الجيش]، وأرسله بيد (أوريا)، وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه

---

(١) سفر إشعيا، الإصحاح ٢٨.

(٢) سفر إرميا، الإصحاح ٢٣.

(٣) سفر الملوك الأول، الإصحاح ١١.

فيُضرب ويموت. فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمَّها إلى بيته، وصارت له امرأة، وولدت له ابنا)[١].

وأمثال ذلك كثير في التوراة الموجودة في هذه العصور.

فهل كتاب كهذا يكون قد خرج من المشكاة التي خرج منها القرآن؟

٨ـ زعمه أن ما تدل عليه التوراة الموجودة ليس مناقضاً للعقول:

وقال في كتاب (درء تعارض العقل والنقل):

فكيف يكون ما تدل عليه التوراة ويُفهم منها مناقضاً لصريح المعقول الذي لا ينبغي أن يشك عاقل فيه، ولا يظهر ذلك لا في أوليائها ولا أعدائها؟

بل الطوائف كلها مجتمعة على تعظيم الذي جاء بالتوراة خاضعين له، فهل يكون كتاب مملوءاً مما ظاهره كذب وفرية على الله، ووصف له بما يمتنع عليه ولا يجوز في حقه، ولا يظهر بين العقلاء مناقضته ومعارضته؟

قلت: إن الطوائف كلها مجتمعة على تعظيم موسى عليه السلام الذي جاء بالتوراة الخالية من كل كذب وافتراء وضلال، وأما من جاء بهذه التوراة المحرّفة من الأحبار والرهبان فلم تجتمع الطوائف على تعظيمه.

والتوراة مملوءة بكثير مما هو مخالف لصريح المعقول، كوصف الله بالصورة والجسمية وتشبيهه بخلقه وأمثال ذلك.

وكذلك نسبة الجرائر والمخازي لأنبياء الله، فإنه أيضاً مخالف لصريح المعقول، والتوراة مشحونة بهذه الأمور وغيرها، فراجعها تجد فيها الكثير.

وهذه الموارد المناقضة للعقول قد ظهرت للمسلمين المهتدين، وعلموا بها، وقطعوا ببطلانها، وجزموا بأن موسى عليه السلام لم يأت بها، وحكموا بأنها من افتراءات

---

(١) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ١١.

اليهود الذين حرّفوا التوراة وبدّلوها.

قال ابن تيمية: ومن اعتبر الأمور وجد الرجل يصنّف كتاباً في طب وحساب أو نحو أو فقه، أو ينشئ خطبة أو رسالة، أو ينظم قصيدة أو أرجوزة، فيلحن فيها لحنة، أو يغلط في المعنى غلطة، فلا يسكت الناس حتى يتكلموا فيه، ويبينوا ذلك، ويخرجون من الحق إلى زيادة من الباطل، وإن كان صاحب ذلك الكلام لا يدعوهم إلى طاعته واستتباعه، ويذم من يخالفه، فضلاً عن أن يكفره ويبيح قتاله وشتمه[1].

قلت: إن المسلمين المهتدين لم يسكتوا عن بيان ما في التوراة وأمثالها من التحريف، إما على نحو الإجمال أو على نحو التفصيل، وهذا معلوم لا يرتاب فيه أحد، والتشكيك فيه مكابرة واضحة.

وسكوت ابن تيمية وأضرابه عن بيان ما في التوراة مما يخالف دين الإسلام في صفات الله سبحانه وغيرها لا يصحّح ما في التوراة من أباطيل وأكاذيب، وعذرهم كما مرَّ في صريح كلامهم أنهم يرون صحة كل ما في التوراة إلا موردين فقط تقدّم ذكرهما، فكيف يردّون على ما يعتقدون به؟

وعُذْرهم في سكوتهم عن الرد على أباطيل التوراة والإنجيل أنهم قد جنّدوا كل طاقاتهم لتكفير الشيعة وباقي فرق المسلمين بالأوهام والخيالات، بل عمدوا إلى غير الحنابلة من مذاهب أهل السنة فكفّروهم ظلماً وعدواناً، ونسبوهم إلى البدع، ووصفوهم بالشرك، وهذا معلوم من سيرتهم قديماً وحديثاً.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

هذا ما تيسر لنا نقله من كلمات ابن تيمية، ومن تتبع كلماته وكلمات غيره يجد كلاماً كثيراً يدل على أن ما يراه هؤلاء هو أنه لا فرق بين عقائد اليهود وعقائد

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٨٠.

المسلمين، إلا في موارد قليلة جداً ذُكرت في القرآن الكريم، كقولهم: عزير ابن الله، ويد الله مغلولة، وأمثالهما.

وأما غيرها كالاعتقاد بأن الله جسم، وأن له صورة، وأن صورته كصورة آدم، وأنه يُرى، وأمثال ذلك فهذه عقائد يتفق فيها أهل السنة واليهود، كما يتفقون معهم في كثير من الأحكام المذكورة في التوراة كما نصَّ عليه ابن تيمية فيما نقلناه من كلامه.

خلاصة بحوث الكتاب

تحصل من كل ما تقدم من البحوث أمور:

١ـ أن عبد الله بن سبأ رجل مجهول لا يُعرف له نسب، ولا يُدرى أن (سبأ) هل هو اسم والده أم غيره، ولا تُعرف له أم ولا عمومة ولا خؤولة ولا زوجة ولا أبناء ولا أخوة ولا أحد يمتّ له بقرابة، ولا يُعرف من أي البلاد هو، إلا ما يوحيه لنا اسمه من احتمال كونه من اليمن.

٢ـ أن عبد الله بن سبأ في روايات سيف بن عمر الوضّاع كان يسمَّى بابن السوداء، ولم نر في الأحاديث الشيعية والسنية المروية من غير هذا الطريق ما يدل على أن عبد الله بن سبأ كان يُعيَّر بذلك.

نعم كان يُعيَّر بذلك جمع من الناس كانت أمهاتهم سود، منهم بلال بن رباح وعمار بن ياسر وعبد الله بن وهب الراسبي وغيرهم.

٣ـ أن بني سبأ هم المنتسبون إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وهم قبائل كثيرة منتشرة في اليمن والشام ومصر، ومنهم رجال كثيرون من الصحابة والتابعين وغيرهم، منهم أبيض بن حمال السبائي، وسعد السبائي، وصالح بن خيوان

السبائي، وعمارة بن شبيب السبائي، وهبيرة بن أسعد السبائي وغيرهم.

فهؤلاء وغيرهم ينتسبون إلى سبأ المذكور.

فلا يُتوهَّم أن السبائي هو المنسوب إلى عبد الله بن سبأ كما صار مشتهراً بعد انتشار روايات سيف بن عمر وقصة عبد الله بن سبأ.

٤ـ أن الآثار المروية في كتب أهل السنة التي ورد فيها ذكر عبد الله بن سبأ لا تدل على أكثر من كونه كذاباً يكذب على الله ورسوله.

٥ـ أن الأحاديث المروية في المصادر الشيعية دلّت على أن عبد الله بن سبأ كان كذاباً، قد غلا في أمير المؤمنين عليه السلام، فادّعى له الألوهية، فاستتابه أمير المؤمنين عليه السلام في جملة جماعة كانوا معه، فلما لم يتوبوا أحرقهم بالنار، وانتهى أمرهم.

٦ـ أن عبد الله بن سبأ المبحوث عنه ليس هو عبد الله بن وهب الراسبي رئيس الخوارج.

وقد توهَّم اتحادهما بعض المؤرخين لوجود بعض أوجه التشابه بينهما، وقد أوضحنا مفصّلاً فساد هذا التوهّم، وبيَّنَّا ما بينهما من وجوه الاختلاف التي يحصل معها القطع بتباين الرجلين.

٧ـ أن ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن عبد الله بن سبأ هو اسم مستعار لعمار بن ياسر، وأنه هو المراد بعبد الله بن سبأ في كلماتهم، لم يقم عليه دليل صحيح، بل الدليل التام قد نهض على أنهما شخصان مختلفان، كل منهما له خصائصه التي انفرد بها عن الآخر.

٨ـ لم نجد في الآثار والأخبار الصحيحة ما يدل على بقاء عبد الله بن سبأ إلى ما بعد مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، وأما الأحاديث الدالة على أن أمير المؤمنين عليه السلام نفاه للمدائن فلم يثبت منها شيء، بل كلها روايات ضعاف لم تروَ من طرُق الشيعة

الإمامية، وأقوال مرسلة لا يصح الاعتماد عليها.

٩ـ أنا لم نجد خبراً واحداً صحيحاً أو ضعيفاً في المصادر الشيعية أو السنية من غير طريق سيف بن عمر يدل على أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً، أسلم في زمن عثمان، وأنه أظهر القول بالرجعة والوصاية وأفضلية أمير المؤمنين عليه السلام، وأنه كان من المناوئين لعثمان المؤلِّبين عليه، الذين كان لهم دور في أحداث الفتنة التي أدّت إلى قتله في نهاية الأمر.

فكل ما نسب إليه من ذلك كان من الأساطير المختلقة التي نسجها سيف بن عمر، وأخذها عنه غيره من المؤرخين الذين جاؤوا بعده.

١٠ـ أن الأقوال قد تضاربت في عبد الله بن سبأ تضارباً شديداً، فاختلفت أقوال العلماء والباحثين في أمور كثيرة، منها الاختلاف في شخصيته هل هي حقيقة أم خرافة.

والذين قالوا بوجوده اختلفوا في أن أمير المؤمنين عليه السلام هل نفاه إلى المدائن، وبقي فيها إلى ما بعد مقتله عليه السلام بالكوفة، أو أن أمير المؤمنين عليه السلام أحرقه بالنار في جملة رجال ادّعوا فيه الألوهية وانتهى أمره.

١١ـ أن الذي توصّلنا إليه في هذه المسألة تبعاً لدلالة الأخبار الصحيحة هو أن عبد الله بن سبأ كان رجلاً معاصراً لأمير المؤمنين عليه السلام، وكان من الغلاة الذي ادّعوا فيه الألوهية، فأحرقه عليه السلام بالنار وانتهى أمره، ولم يثبت له دور أكثر من ذلك.

ولما جاء سيف بن عمر التميمي الوضاع جعل من عبد الله بن سبأ المذكور أسطورة من أساطير الدنيا، فحاك حوله كثيراً من الأكاذيب، وصوّره أنه يهودي حاقد على الإسلام، أسلم في زمن عثمان، وأظهر القول بالرجعة والوصاية وأفضلية أمير المؤمنين عليه السلام، ونسب له دوراً بارزاً في أحداث الفتنة التي أدّت إلى قتل عثمان.

١٢ـ أن من جملة الدواعي التي دعت سيف بن عمر التميمي أو غيره لاختلاق هذه الأساطير حول عبد الله بن سبأ تبرئة عثمان بن عفان وولاته، والنيل من أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه وشيعته، ونسبة عقائد الشيعة إلى يهودي حاقد على الإسلام.

١٣ـ أن مذهب الشيعة الإمامية لا علاقة له بعبد الله بن سبأ، ولا يمت له بصلة، ولم يأخذ شيئاً من أحكامه وعقائده منه، ولم يروِ علماء الشيعة له رواية واحدة في كتبهم، ولم يرد ذكره في كتبهم ومصنفاتهم إلا بالذم والقدح.

وكل ما نُسب إليه من القول بأفضلية أمير المؤمنين عليه السلام على باقي الصحابة، والقول بالرجعة، والوصاية، وأنه عليه السلام دابة الأرض وغيرها من المعتقدات المشهورة للشيعة الإمامية، فلم تصحّ نسبته إليه، وإنما نَسب هذه المعتقدات إليه خصوم الشيعة من أجل الكيد لهم وتهمتهم بأن عقائدهم ما هي إلا دساس يهودية يُراد بها تقويض الإسلام وزعزعة أركانه.

١٤ـ أنه لا تشابه بين عقائد اليهود وعقائد الشيعة كما ادّعى ذلك بعض المتحاملين على الشيعة من علماء أهل السنة كابن تيمية وأضرابه، وكل ما ذكروه من صور التشابه ما هي إلا أكاذيب مفضوحة وافتراءات باطلة، بيَّنا فسادها مفصلاً.

١٥ـ أن جملة من عقائد الشيعة الإمامية كالقول بالرجعة، والوصاية، وأن أمير المؤمنين عليه السلام هو دابة الأرض وغيرها، نُسبت إلى عبد الله بن سبأ، وجُعلت من مبتدعاته، مع أنها من العقائد الشيعية الثابتة قبل وجود عبد الله بن سبأ، وقد دلّت عليها الأدلة الصحيحة، والآثار المروية في كتب القوم من غير طريق ابن سبأ.

١٦ـ أن أهل السنة أخذوا جملة من عقائدهم وأحكامهم من بعض اليهود، مثل كعب الأحبار وغيره، إما بالمباشرة أو بالواسطة. وقد اعترف ابن تيمية بأن عقائد أهل السنة لا تختلف عن عقائد اليهود إلا في موارد يسيرة، وأن ما في التوراة من الصفات

الإلهية وغيرها مطابق لما في القرآن، كالتجسيم والرؤية والصورة وغيرها، وأن النبي كان يوافق أحبار اليهود فيما يذكرونه من عقائد، ولم يكن ينكر عليهم شيئاً من عقائدهم أو يصفهم بالتجسيم أو ما أشبه ذلك.

وكل هذه الأمور قد ذكرناها بالتفصيل، وأشبعنا الكلام فيها، وعضدنا كلامنا فيها بالنقل الصحيح من المصادر المعروفة عند الشيعة وأهل السنة، واعتمدنا على أقوال من يحتج بقوله من الفريقين.

خاتمة

بعد هذا البيان كله يتضح جليّاً أن قضية عبد الله بن سبأ ما هي إلا أوهام وخيالات لا واقع لها، ولم يقم عليها دليل ولا برهان.

إلا أنها مع كل ذلك أُعطيت أهمية كبيرة، فصار عبد الله بن سبأ سيفاً مصلتاً على الشيعة الإمامية، منذ أن ظهرت أسطورته في القرن الثاني إلى يومنا هذا، فترى علماء وكُتَّاب أهل السنة أول ما يواجهون به الشيعة هو أن مؤسِّس مذهبهم رجل يهودي مدسوس حاقد على الإسلام والمسلمين.

ومن المؤسف حقّاً أن تدان طائفة من طوائف المسلمين بشيء موهوم، وتُتَّهم بأمر مكذوب، ثم لا يُقبل لهم قول، ولا تُسمع لهم كلمة.

ودعوى القويِّ كدعوى السِّبا ... عِ مِنَ النابِ والظفرِ بُرهانُها

إن مسألة عبد الله بن سبأ ليست هي المسألة الوحيدة التي اتُّهم بها الشيعة الإمامية، فمثلها كثير، ونظائرها لا تُعَد.

وهو أمر لا نستغربه، فإن العاجز عندما لا يقوى على مقارعة الحجّة بالحجّة، ومواجهة الدليل بالدليل، يلجأ إلى كيل الاتهامات واختلاق الأكاذيب لنصرة مذهبه

ولتقوية جانبه.

وهذا منهج قديم اتبعه أعداء الحق على مرّ العصور، وسلكه المناوئون للأنبياء والمرسلين في جميع الدهور، وقد حكى القرآن الكريم ذلك عنهم في مواضع كثيرة، فقال عز من قائل ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ۝ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾[1]، ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[2]، ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[3]، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾[4]، ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾[5]، ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾[6]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[7]، ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[8].

وهكذا كان دأب علماء أهل السنة مع الشيعة الإمامية، فانظر إلى مفتريات ابن تيمية وغيره تجد العجب الذي لا يُصَدَّق[9].

---

(١) سورة الصافات، الآية ٣٦.

(٢) سورة يونس، الآية ٧٦،٧٧.

(٣) سورة الذاريات، الآية ٥٢.

(٤) سورة النمل، الآية ١٣.

(٥) سورة القصص، الآية ٣٦.

(٦) سورة الدخان، الآية ١٤.

(٧) سورة سبأ، الآية ٤٣.

(٨) سورة الحجر، الآية ٦.

(٩) قال في منهاج السنة ٢/ ١٤٣: لا نعلم طائفة أعظم تعصباً في الباطل من الرافضة، حتى إنهم دون سائر الطوائف عُرف منهم شهادة الزور لموافقهم على مخالفهم، وليس في التعصب أعظم من الكذب، وحتى إنهم في التعصب جعلوا للبنت جميع الميراث، ليقولوا: إن فاطمة رضي الله عنها ورثت رسول الله ﷺ دون عمّه العباس رضي الله عنه، وحتى إن فيهم من حرَّم لحم الجمل، لأن عائشة قاتلت على جمل، فخالفوا =

إن أهل السنة هداهم الله إلى رضاه اختلقوا ما شاؤوا من المفتريات التي حاولوا بها إدانة الشيعة الإمامية تارة، وتكفيرهم تارة أخرى، وتضليلهم تارة ثالثة، وجعلوها أدلَّة ضدَّهم، يحاولون بها تفنيد مذهبهم، وإبطال معتقداتهم، مرسلين لها إرسال المسلَّمات، مع أنها لا تعدو كونها أكاذيب ملفَّقة، وافتراءات منمَّقة، واتّهامات مزوَّقة، لا تثبت أمام البحث العلمي، فهي كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

إن مسألة عبد الله بن سبأ ليست لها أية أهمية عند الشيعة، سواء أثبتناه أم نفيناه، وسواء اقتنع أهل السنة ببراءة الشيعة منه أم لم يقتنعوا، فإن هذا لا يقدِّم ولا يؤخِّر.

والأيادي اليهودية كما مرَّ لما عبثت بمذاهب أهل السنة كثيراً، أراد أهل السنة التمويه على ما بهم من داء باتهام من هم أبرأ الناس منه، وهم الشيعة الإمامية الذين أخذوا مذهبهم من أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين أُمر المسلمون كافة بالتمسك بهم وترك من عداهم.

إن أسلوب كيل الافتراءات هو أقوى أسلحة أهل السنة التي استخدموها من أجل الغلبة على خصومهم، وإضعاف جانبهم، ما دام الدليل والبرهان يعوزهم.

لي حيلةٌ فيمن يَنُمُّ ... وليسَ في الكذَّابِ حيلهْ
مَنْ كانِ يخلقُ ما يقوُ ... لُ فحيلتي فيه قليلهْ

= كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الصحابة والقرابة لأمر لا يناسب... ومن تعصبهم أنهم لا يذكرون اسم العشرة، بل يقولون: تسعة وواحد. وإذا بنوا أعمدة أو غيرها لا يجعلونها عشرة، وهم يتحرون ذلك في كثير من أمورهم.

ثم قال ٢/ ١٤٥: ومن فرط جهلهم وتعصبهم أنهم يعمدون إلى دابة عجماء، فيؤذونها بغير حق، إذ جعلوها بمنزلة من يبغضونها، كما يعمدون إلى نعجة حمراء يسمونها عائشة، وينتفون شعرها، ويعمدون إلى دواب لهم فيسمّون بعضها أبا بكر، وبعضها عمر، ويضربونها بغير حق، ويصورون صورة إنسان من حيس يجعلونه عمر، ويبعجون بطنه، ويزعمون أنهم يأكلون لحمه، ويشربون دمه... إلى آخر هذيانه.

إلا أنه أسلوب فاشل أمام الأدلة الساطعة، والبراهين اللامعة، ولذا دأب علماء الشيعة الأبرار قدَّس الله أسرارهم على ردّ أباطيل أهل السنة وافتراءاتهم واتهاماتهم، فألّفوا المصنَّفات النفيسة، وكتبوا المؤلَّفات النافعة، التي كشفوا فيها الحقائق، وزيّفوا بها الأباطيل، فجزاهم الله خير جزاء العلماء العاملين عن الإسلام وأهله.

إن علماء أهل السنة في هذا العصر لا يزالون يجترّون ما كتبه الحاقدون السابقون منهم ضد الشيعة، كابن تيمية، والذهبي، وابن الجوزي، وابن كثير، وابن حجر الهيتمي، وأبي بكر بن العربي وأضرابهم، وكأنه لا قضية عندهم إلا تكفير الشيعة وتضليلهم، فهلا كتبوا ضد أعداء المسلمين الذين يعبثون بمقدّرات الأمَّة، ويسيطرون على ثروات المسلمين؟

وهلا كتبوا في ما ينفع شبابهم التائه في هذا العصر الذي احتوشته وسائل الإغراء والتضليل والفساد من كل جانب ومكان؟

إنهم شغلوا أنفسهم بيهودي لو كان له وجود فهو قد قام بدور ومات وانتهى، وتركوا ألف يهودي ويهودي لا يزالون يعيثون بالدين والدنيا فساداً.

إن الله أمر نبيه بقوله جل شأنه ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[1].

فتعالوا يا أهل (لا إله إلا الله) إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً...

إن ما اتفقنا عليه أكثر مما اختلفنا فيه، وما يجمعنا أكثر مما يفرّقنا، فإلهنا واحد، ونبيّنا واحد، وكتابنا واحد، وقبلتنا واحدة، وصلواتنا خمس، وصومنا في شهر رمضان، وحجّنا إلى بيت الله الحرام... و... و...

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

ونحن مع الوفاق أقوى منا مع الخلاف، ومع الالتئام أشد منا مع الخصام، كيف وقد أمرنا الله بالألفة ونبذ الفرقة فقال عزَّ شأنه ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾[١].

وبهذه المناسبة نحن ندعو إخواننا أهل السنة إلى شيء من الإنصاف في مناظراتهم مع الشيعة وأحكامهم عليهم، وندعوهم للنظر في مصادر الشيعة المعتمدة في العقيدة والحديث والفقه والتفسير وغيرها، وقراءتها بنحو صحيح، للاطلاع على الفكر الشيعي ودراسته دراسة بعيدة عن العصبيات الممقوتة والأهواء المذمومة، من أجل الخروج من دوامة العداء الموهوم الذي شتّت شمل الأمة وبدّد طاقاتها وأهدر كثيراً من جهود العلماء التي كان ينبغي أن تُصرف في ما يحقق العزة والكرامة للمسلمين كافة.

نسأل الله أن يجمع كلمة المسلمين على رضاه، ويؤلّف بين قلوبهم، ويوحّد صفوفهم، ويجعلهم كالبنيان المرصوص، يشدّ بعضه بعضاً، ويجعل بأسهم على عدوهم، وشدّتهم على من ناواهم، إنه قريب مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

المصادر

القرآن الكريم.

١- الآحاد والمثاني: أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني، تحقيق د. باسم فيصل الجوابرة، دار الراية، الرياض ١٤١١هـ.

٢- الإبانة عن أصول الديانة: أبو الحسن الأشعري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ.

٣- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: أحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق عادل بن سعد، والسيد بن محمود بن إسماعيل، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٩هـ.

٤- أجوبة مسائل جار الله: السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي، مؤسسة أهل البيت (ع)، بيروت ١٤١٠هـ.

٥- الأحاديث المختارة: أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الضياء المقدسي، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٤١٠هـ.

٦- الاحتجاج: أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، شركة الكتبي للطباعة والنشر،

بيروت ١٤١٤هـ.

٧- أحكام القرآن: أحمد بن علي الرازي الجصاص، مطبعة الأوقاف الإسلامية، دار الخلافة ١٣٣٥هـ.

٨- أحوال الرجال: إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، تحقيق صبحي السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ.

٩- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق حسن المصطفوي، جامعة مشهد بإيران ١٣٤٨هـ ش.

١٠- الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤٠٩هـ.

١١- الإرشاد: محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٣٩٩هـ.

١٢- إرشاد الأذهان: الحسن بن يوسف (العلامة الحلي)، تحقيق فارس الحسون، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٠هـ.

١٣- إرشاد الساري: شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، مصورة دار إحياء التراث، بيروت.

١٤- إرواء الغليل: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥هـ.

١٥- الاستبصار: محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق السيد حسن الخرسان، دار الأضواء، بيروت ١٤٠٦هـ.

١٦- الاستيعاب: يوسف بن عبد الله بن عبد البر الأندلسي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت ١٤١٢هـ.

١٧- أسد الغابة: عز الدين علي بن محمد ابن الأثير، تحقيق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨- إسعاف المبطأ: جلال الدين السيوطي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر

١٣٨٩هـ.

١٩- الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، تحقيق معوض وعبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ.

٢٠- أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٢١- الإعتقادات: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (الشيخ الصدوق)، ط حجرية.

٢٢- إعلام الورى بأعلام الهدى: الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٩هـ.

٢٣- الإكمال: علي بن هبة الله بن ماكولا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ.

٢٤- أمالي الشيخ الطوسي: شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

٢٥- الإمامة والسياسة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٧هـ.

٢٦- الانتصار: علي بن الحسين الموسوي (الشريف المرتضى)، دار الأضواء، بيروت ١٤٠٥هـ.

٢٧- أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي البلاذري، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٣٩٤هـ.

٢٨- الأوائل: أبو هلال العسكري، تحقيق د. وليد قصاب، ومحمد المصري، دار العلوم، الرياض، وطبعة أخرى لدار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ.

٢٩- أوائل المقالات: محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد)، دار الكتاب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣هـ، ط أخرى بتحقيق عباس قلي چرندابي، مكتبة حقيقت بتبريز ١٣٧١هـ.

٣٠- الإيمان: محمد بن إسحاق بن منده، تحقيق علي بن محمد الفقيهي، دار الرسالة، بيروت ١٤٠٦هـ.

٣١- بحار الأنوار: المولى محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٣هـ.

٣٢- بدائع الصنائع: علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٢م.

٣٣- بداية المجتهد ونهاية المقتصد: محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت ١٤١٨هـ.

٣٤- البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ.

٣٥- البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم البحراني، تصحيح محمود بن جعفر الزرندي، مؤسسة إسماعيليان، قم.

٣٦- بيان تلبيس الجهمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة ١٣٩٢هـ.

٣٧- تاج العروس من جواهر القاموس: السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، طبعة وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت ١٣٨٥هـ.

٣٨- تاريخ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٣٩١هـ.

٣٩- تاريخ الإسلام: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ.

٤٠- تاريخ أسماء الثقات: عمر بن أحمد بن شاهين، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ.

٤١- تاريخ بغداد: أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٢- تاريخ الثقات: أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ.

٤٣- تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ.

٤٤- التاريخ الصغير: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ.
٤٥- تاريخ الطبري المعروف بتاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٤٠٣هـ. ط أخرى لدار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ.
٤٦- التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٧- تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ.
٤٨- تاريخ المذاهب الإسلامية: الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٦م.
٤٩- تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر المعروف باليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤١٣هـ.
٥٠- تأويل مختلف الحديث: محمد بن عبد الله بن قتيبة الدينوري، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٠٩هـ.
٥١- التبيان في تفسير القرآن: شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٢- تبيين كذب المفتري: ابن عساكر الدمشقي، مصورة دار الكتاب العربي، بيروت عن نسخة الجزائري وغيرها، سنة ١٣٩٩هـ.
٥٣- التحرير الطاووسي: الشيخ حسن بن زين الدين (صاحب معالم الدين)، تحقيق السيد محمد حسن ترحيني، دار الذخائر، قم ١٤٠٨هـ.
٥٤- تحفة الأحوذي: محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٥- تذكرة الحفاظ: شمس الدين الذهبي، ط الهند مصورة دار إحياء التراث العربي،

بيروت.
٥٦- تذكرة الفقهاء: الحسن بن يوسف (العلامة الحلي)، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، إيران.
٥٧- ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ دمشق: علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٨هـ.
٥٨- الترغيب والترهيب: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ.
٥٩- التعديل والتجريح: سليمان بن خلف بن سعد الباجي، تحقيق أبي لبابة حسين، دار اللواء، الرياض ١٤٠٦هـ.
٦٠- التعريفات: الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ.
٦١- تغليق التعليق: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق سعيد عبد الرحمن القزقي، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥هـ.
٦٢- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم): إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ.
٦٣- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): محمد ابن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦٤- تفسير الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مصورة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
٦٥- تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.
٦٦- تفسير الصافي: المولى محسن (الفيض الكاشاني)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،

بيروت ١٤٠٢هـ.

٦٧- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت ١٤٠٥هـ.

٦٨- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): محمد بن أحمد القرطبي، دار الشعب، القاهرة ١٣٧٢هـ.

٦٩- تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، تحقيق السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب، قم ١٤٠٤هـ.

٧٠- التفسير الكبير: فخر الدين الرازي، مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧١- تفسير نور الثقلين: عبد علي بن جمعة الحويزي، تصحيح السيد هاشم المحلاتي، مؤسسة إسماعيليان، قم ١٤١٢هـ.

٧٢- تفسير النيسابوري: الحسن بن محمد القمي النيسابوري (بهامش تفسير الطبري)، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر ١٣٢٣هـ.

٧٣- تفسير الواحدي (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز): علي بن أحمد الواحدي، صفوان عدنان داوودي، الدار الشامية بدمشق، دار القلم ببيروت ١٤١٥هـ.

٧٤- تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، حلب ١٤٠٦هـ.

٧٥- تكملة الإكمال: محمد بن عبد الغني البغدادي، تحقيق د. عبد القيوم عبد رب النبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤١٠هـ.

٧٦- تلخيص المستدرك: شمس الدين الذهبي، مطبوع بحاشية المستدرك للحاكم النيسابوري، طبع حيدرآباد بالهند.

٧٧- التمهيد: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب ١٣٨٧هـ.

٧٨- تنقيح المقال في علم الرجال: الشيخ عبد الله المامقاني، المطبعة المرتضوية، النجف الأشرف.

٧٩- تهذيب الأحكام: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق السيد حسن الموسوي الخرسان، مصورة دار صعب ودار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٤٠١هـ.

٨٠- تهذيب الأسماء واللغات: محي الدين بن شرف النووي، مصورة دار الكتب العلمية، بيروت.

٨١- تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت ١٤٠٤هـ.

٨٢- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: جمال الدين يوسف المزي، تحقيق د. بشار عواد معروف. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦هـ.

٨٣- التوحيد: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق د. عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٨هـ.

٨٤- التوحيد: محمد بن علي بن بابويه (الشيخ الصدوق)، دار الإرشاد الإسلامي، بيروت.

٨٥- التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر بدمشق، دار الفكر ببيروت، ١٤١٠هـ.

٨٦- الثقات: محمد بن حبان أبو حاتم البستي، طبعة حيدرآباد الدكن، الهند ١٣٩٣هـ.

٨٧- الجامع الصغير: جلال الدين السيوطي، دار الفكر ـ بيروت ١٤٠١هـ .

٨٨- الجرح والتعديل: عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ط الهند.

٨٩- الجزء ٢٣ من حديث أبي الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله: علي بن عمر الدارقطني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت ١٤٠٦هـ.

٩٠- جزء فيه أحاديث ابن حيان: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مردويه، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٤هـ.
٩١- الجمع بين الصحيحين: محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق د. علي النواب، دار ابن حزم، بيروت ١٤١٩هـ.
٩٢- جمهرة أنساب العرب: علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ.
٩٣- جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: الشيخ محمد حسن النجفي، تحقيق الشيخ عباس قوجاني، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٦٧هـ.
٩٤- الجواهر المضية في طبقات الحنفية: عبد القادر بن أبي الوفاء، طبع مير محمد كتب خانه، كراتشي.
٩٥- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود: محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ.
٩٦- حاشية ابن عابدين على رد المحتار على الدر المختار: محمد أمين بن عابدين، دار الفكر، بيروت ١٣٨٦هـ.
٩٧- حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح: أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي، مكتبة البابي الحلبي، مصر ١٣١٨هـ.
٩٨- الحدائق الناضرة: الشيخ يوسف البحراني، تحقيق محمد تقي الإيراواني، دار الأضواء، بيروت ١٤٠٥هـ.
٩٩- حلية الأبرار في فضائل محمد وآله الأطهار عليهم السلام: السيد هاشم البحراني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤١٣هـ.
١٠٠- حلية الأولياء: أبو نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ.
١٠١- الخرائج والجرائح: سعيد بن عبد الله بن الحسين (قطب الدين الراوندي)، تحقيق السيد محمد باقر الأبطحي، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت ١٤١١هـ.

١٠٢- الخصائص الكبرى: جلال الدين السيوطي، حيدرآباد بالهند ١٣٢٠هـ.
١٠٣- الخصال: محمد بن علي بن بابويه (الشيخ الصدوق)، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤١٠هـ.
١٠٤- خطط الشام: محمد كرد علي، مكتبة النوري، دمشق ١٤٠٣هـ.
١٠٥- خلاصة عبقات الأنوار: السيد علي الميلاني، دار الكتاب الإسلامي، بيروت.
١٠٦- الخلاف: شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤٠٧هـ.
١٠٧- در السحابة في مناقب القرابة والصحابة: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق د. حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر ببيروت، ودار الفكر بدمشق ١٤١١هـ.
١٠٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت ١٤٠٣هـ .
١٠٩- درء تعارض العقل والنقل: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، الرياض ١٣٩١هـ.
١١٠- الدروس: محمد بن مكي العاملي (الشهيد الأول)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٢هـ.
١١١- الدعاء: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٣هـ.
١١٢- دقائق التفسير: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق ١٤٠٤هـ.
١١٣- دلائل النبوة: أحمد بن حسين البيهقي، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥هـ.
١١٤- ذخائر العقبى: أحمد بن محمد الطبري، تحقيق أكرم البوشي ومحمود

الأرناؤوط، مكتبة الصحابة، جدة ١٤١٥هـ.
١١٥- رؤية الله: علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، تحقيق مبروك إسماعيل مبروك، مكتبة القرآن، القاهرة.
١١٦- رجال ابن داود: الحسن بن علي بن داود الحلي، جامعة طهران، ١٣٤٢هـ.ش.
١١٧- رجال البرقي: أحمد بن أبي عبد الله البرقي، جامعة طهران، ١٣٤٢هـ.ش.
١١٨- رجال الطوسي: شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٨١هـ.
١١٩- رجال العلامة (خلاصة الأقوال): الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٨١هـ.
١٢٠- رجال النجاشي: أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي، ط حجرية، إيران.
١٢١- رجال صحيح البخاري: أحمد بن محمد بن الحسين الكلاباذي، تحقيق عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٧هـ.
١٢٢- رجال صحيح مسلم: أحمد بن علي بن منجويه، تحقيق عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٧هـ.
١٢٣- رسائل السيد المرتضى: السيد المرتضى، دار القرآن الكريم، قم ١٤٠٥هـ.
١٢٤- روضة الواعظين: محمد بن الفتال النيسابوري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤٠٦هـ.
١٢٥- رياض المسائل: السيد علي الطباطبائي، دار الهادي، بيروت ١٤١٢هـ.
١٢٦- زاد المسير: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤١٤هـ.
١٢٧- الزهد: الحسين بن سعيد الأهوازي، تحقيق غلام رضا عرفانيان، المطبعة العلمية، قم ١٣٩٩هـ.
١٢٨- الزهد: عبد الله بن المبارك المروزي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار

الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩هـ.
١٢٩- سبل السلام: محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق زمرلي والجمل، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٧هـ.
١٣٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض ١٤١٥هـ.
١٣١- السنن: سعيد بن منصور، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند ١٩٨٢م.
١٣٢- سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
١٣٣- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
١٣٤- سنن أبي عوانة: يعقوب بن إسحاق الإسفرائني، دار المعرفة، بيروت. وطبعة أخرى محققة: تحقيق أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة، بيروت ١٤١٩هـ.
١٣٥- سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.
١٣٦- سنن الدارقطني: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني، تحقيق عبد الله هاشم يماني، دار المعرفة بيروت ١٣٨٦هـ.
١٣٧- سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق زمرلي والعلمي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ.
١٣٨- السنن الكبرى: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ١٤١٤هـ.
١٣٩- السنن الكبرى: أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ.

١٤٠- السنن المأثورة: محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ.

١٤١- سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي: أحمد بن شعيب النسائي، دار المعرفة، بيروت ١٤١٤هـ.

١٤٢- سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وجماعة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٠هـ.

١٤٣- السيرة النبوية: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، مكتبة البابي الحلبي، مصر ١٩٧٣م.

١٤٤- شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام: جعفر بن الحسن الحلي، تحقيق السيد صادق الشيرازي، انتشارات استقلال، طهران ١٤٠٩هـ.

١٤٥- شرح الأخبار: القاضي النعمان بن محمد التميمي المغربي، تحقيق محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم.

١٤٦- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، الرياض ١٤٢٠هـ.

١٤٧- شرح الزرقاني على الموطأ: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ.

١٤٨- شرح السنة: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق زهير الشاويش، وشعيب الأرناؤط، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣هـ.

١٤٩- شرح العقيدة الطحاوية: محمد بن علي بن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٤هـ.

١٥٠- شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية: محمد خليل هراس، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة ١٩٨٧م.

١٥١- شرح العمدة: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق د. سعود صالح

العطيشان، مكتبة العبيكان، الرياض ١٤١٣هـ.
١٥٢- شرح النووي على صحيح مسلم: محي الدين بن شرف النووي. مصورة دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ.
١٥٣- شرح فتح القدير: محمد بن عبد الواحد السيواسي، دار الفكر، بيروت.
١٥٤- الشرح الكبير على متن المقنع: شمس الدين عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (بحاشية كتاب المغني لموفق الدين ابن قدامة)، دار الفكر، بيروت ١٤٠٤هـ.
١٥٥- شرح معاني الآثار: أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الحنفي، تحقيق محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ.
١٥٦- شرح نهج البلاغة: عبد الحميد هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد، دار الكتب العربية الكبرى، مصر ١٣٢٩هـ. وطبعة أخرى بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر ١٣٨٧هـ.
١٥٧- شعار أصحاب الحديث: محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الحاكم أبو أحمد، تحقيق صبحي السامرائي، دار الخلفاء، الكويت.
١٥٨- شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٠هـ.
١٥٩- شيخ المضيرة أبو هريرة: محمود أبو رية، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
١٦٠- صحيح ابن حبان: محمد بن حبان أبو حاتم البستي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤هـ.
١٦١- صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٠هـ.
١٦٢- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الدليل، الجبيل بالسعودية ١٤١٨هـ.

١٦٣- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، مطابع الشعب، مصر ١٣٧٨هـ، وط مرقمة، مراجعة القطب والبخاري، المكتبة العصرية، بيروت وصيدا ١٤١٨هـ.
١٦٤- صحيح الجامع الصغير: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٦هـ.
١٦٥- صحيح سنن ابن ماجة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٤٠٨هـ.
١٦٦- صحيح سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٤٠٩هـ.
١٦٧- صحيح سنن النسائي: محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٤٠٩هـ.
١٦٨- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
١٦٩- صحيفة همام بن منبه: همام بن منبه الصنعاني، تحقيق علي حسن علي عبد الحميد، المكتب الإسلامي ببيروت، دار عمان بعمان ١٤٠٧هـ.
١٧٠- الصفات: علي بن عمر الدارقطني، تحقيق عبد الله الغنيمان، مكتبة الدار، المدينة المنورة ١٤٠٢هـ.
١٧١- الصلة بين التصوف والتشيع: كامل مصطفى الشيبي، مطبعة الزهراء، بغداد ١٣٨٢هـ.
١٧٢- الصواعق المحرقة: أحمد بن حجر الهيتمي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط بيروت، وط محققة، تحقيق التركي والخراط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٧هـ.
١٧٣- الضعفاء: محمد بن عمرو بن موسى العقيلي، تحقيق حمدي بن عبد المجيد

السلفي، دار الصميعي، الرياض ١٤٢٠هـ.
١٧٤- الضعفاء الصغير: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ.
١٧٥- الضعفاء والمتروكون: علي بن عمر الدارقطني البغدادي، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٤هـ.
١٧٦- الطبقات: خليفة بن خياط الليثي العصفري، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض ١٤٠٢هـ.
١٧٧- الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، مصورة دار صادر، بيروت.
١٧٨- طبقات المحدّثين بأصبهان: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، تحقيق عبد الغفور البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٢هـ.
١٧٩- طبقات المدلسين: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق د. عاصم بن عبد الله القريوتي، مكتبة المنار، عمّان ١٤٠٣هـ.
١٨٠- عبد الله بن سبأ: السيد مرتضى العسكري، المكتبة الإسلامية الكبرى، طهران ١٣٩٢هـ.
١٨١- عبد الله بن سبأ: دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة: د. عبد العزيز صالح الهلابي، صحارى للطباعة والنشر، ط الثانية لندن ١٩٨٩م.
١٨٢- عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام: سليمان بن حمد العودة، دار طيبة، الرياض ١٤٢٠هـ.
١٨٣- العبر في خبر من غبر: شمس الدين الذهبي، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ.
١٨٤- العدد القوية لدفع المخاوف اليومية: علي بن يوسف الحلي، تحقيق السيد مهدي الرجائي، مكتبة آية الله المرعشي العامة، قم ١٤٠٨هـ.
١٨٥- عقائد الصدوق: محمد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، ط حجرية.

١٨٦- العقيدة: أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق عبد العزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة، دمشق ١٤٠٨هـ.

١٨٧- العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق أحمد أمين والزين والأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٣هـ. وطبعة أخرى تحقيق د. عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٤هـ.

١٨٨- علل الشرائع: محمد بن علي بن بابويه (الصدوق)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤٠٨هـ.

١٨٩- العلل ومعرفة الرجال: أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، المكتب الإسلامي ببيروت، ودار الخاني بالرياض، ١٤٠٨هـ.

١٩٠- علي وبنوه: طه حسين (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين)، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٣م.

١٩١- عمدة القاري في شرح صحيح البخاري: بدر الدين العيني.

١٩٢- العهد القديم (التوراة).

١٩٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود: أبو الطيب محمد شمس الدين العظيم آبادي، دار الفكر، بيروت.

١٩٤- عيون المعجزات: الشيخ حسين بن عبد الوهاب، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٦٩هـ.

١٩٥- الغارات: إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي، تحقيق السيد عبد الزهراء الخطيب، دار الأضواء، بيروت ١٤٠٧هـ.

١٩٦- غنية النزوع: السيد حمزة بن علي بن زهرة الحلبي، (ضمن الجوامع الفقهية) ط حجرية.

١٩٧- الغيبة: محمد بن إبراهيم النعماني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤٠٣هـ.

١٩٨- فتح الباري: أحمد بن علي بن حجر، المطبعة البهية المصرية، القاهرة ١٣٤٨هـ.
١٩٩- فتح العزيز شرح الوجيز: عبد الكريم بن محمد الرافعي، دار الفكر، بيروت.
٢٠٠- فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.
٢٠١- الفتح الكبير: يوسف بن إسماعيل النبهاني، عناية محمد وهيثم ابني نزار تميم، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، بيروت.
٢٠٢- الفتن: نعيم بن حماد المروزي، تحقيق مجدي بن منصور بن سيد الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ.
٢٠٣- الفتنة ووقعة الجمل: سيف بن عمر الضبي الأسدي، تحقيق أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت ١٣٩١هـ.
٢٠٤- فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم: رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٦٨هـ.
٢٠٥- الفردوس بمأثور الخطاب: شيرويه بن شهردار الديلمي، تحقيق السعيد ابن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ.
٢٠٦- فرق الشيعة: الحسن بن موسى النوبختي، المكتبة المرتضوية، النجف الأشرف ١٣٥٥هـ.
٢٠٧- الفَرْق بين الفِرَق: عبد القاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مصورة دار المعرفة، بيروت.
٢٠٨- الفرقان بين الحق والباطل: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ضمن كتب ورسائل وفتاوى شيخ الأسلام ابن تيمية)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، مصر.
٢٠٩- الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل: محمد بن علي بن حزم، ط مصر ١٣٢١هـ. وط محققة، تحقيق نصر وعميرة، دار الجيل، بيروت ١٤٠٥هـ.
٢١٠- فضائل الصحابة: أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق وصي الله بن محمد عباس،

جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٠٣هـ.

٢١١- فضائل الصحابة: أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ.

٢١٢- الفهرست: محمد بن عيسى بن النديم، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٨هـ.

٢١٣- الفهرست: شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، النجف ١٣٨٠هـ.

٢١٤- الفوائد: تمام بن الرازي، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٢هـ.

٢١٥- فيض القدير: محمد عبد الرؤوف المعروف بالمناوي، ط مصر ١٣٩١هـ.

٢١٦- قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة: جلال الدين السيوطي، تحقيق الشيخ خليل محي الدين الميس، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥هـ.

٢١٧- الكاشف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت ١٤١٨هـ.

٢١٨- الكافئة في إبطال توبة الخاطئة: محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد)، تحقيق علي أكبر زماني نزاد، إيران.

٢١٩- الكافي: محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٨٨هـ.

٢٢٠- الكامل في ضعفاء الرجال: عبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ١٤٠٩هـ .

٢٢١- كتاب السنة: عمرو بن أبي عاصم الضحاك، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٠هـ.

٢٢٢- كتاب الضعفاء والمتروكين: أحمد بن علي بن شعيب النسائي، (بذيل كتاب الضعفاء الصغير للبخاري)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ.

٢٢٣- كتاب الضعفاء والمتروكين: عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ.
٢٢٤- كتاب العظمة: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض ١٤٠٨هـ.
٢٢٥- المجروحين: محمد بن حبان أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق محمود إبراهيم زايد، مصورة دار المعرفة، بيروت ١٤١٢هـ.
٢٢٦- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٠٩هـ.
٢٢٧- رسالة في التقليد المذموم: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ضمن كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في العقائد)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد النجدي، مكتبة ابن تيمية، مصر.
٢٢٨- الكشاف: جار الله الزمخشري، مصورة دار المعرفة، بيروت.
٢٢٩- كشف الخفا ومزيل الألباس: إسماعيل بن محمد العجلوني، مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت عن ط سنة ١٣٥١هـ.
٢٣٠- كشف الرموز في شرح المختصر النافع: الحسن بن أبي طالب بن أبي المجد اليوسفي(الفاضل والمحقق الآبي)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
٢٣١- كشف الغمة: علي بن عيسى الإربلي، دار الأضواء، بيروت ١٤٠٥هـ.
٢٣٢- كمال الدين وتمام النعمة: محمد بن علي بن بابويه (الشيخ الصدوق)، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة أهل البيت، بيروت ١٤٠٨هـ.
٢٣٣- كنز العمال: علي المتقي بن حسام الدين الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٩هـ.
٢٣٤- كنوز الحقائق من حديث خير الخلائق: عبد الرؤوف بن علي المناوي الشافعي، تحقيق صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ.

٢٣٥- اللباب في تهذيب الأنساب: عز الدين ابن الأثير الجزري، دار صادر، بيروت ١٤٠٠هـ.

٢٣٦- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت.

٢٣٧- لسان الميزان: أحمد بن حجر العسقلاني. ط حيدرآباد، الهند ١٣٣١هـ.

٢٣٨- لقط اللئالئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ.

٢٣٩- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، شرح محمد بن صالح العثيمين، مكتبة طبرية، الرياض ١٤١٥هـ.

٢٤٠- لوامع الأنوار البهية: محمد بن أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥هـ.

٢٤١- المبسوط في فقه الإمامية: شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق محمد تقي الكشفي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، إيران ١٣٨٧هـ.

٢٤٢- المبسوط: شمس الدين السرخسي، مصورة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٤هـ.

٢٤٣- مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل بن الحسن الطبرسي، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٢٤٤- مجمع الزوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث بالقاهرة، ودار الكتاب العربي ببيروت ١٤٠٧هـ.

٢٤٥- المجموع: محي الدين بن شرف النووي، تحقيق محمود مطرحي، دار الفكر، بيروت ١٤١٧هـ.

٢٤٦- المحلَّى: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، تحقيق عبد الغفار البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ.

٢٤٧- مختصر إتحاف السادة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: أحمد بن أبي بكر بن

إسماعيل البوصيري، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ.
٢٤٨- المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب: العميد عبد الرزاق محمد أسود، الدار العربية للموسوعات، بيروت ١٤٠١هـ.
٢٤٩- المدونة الكبرى: مالك بن أنس الأصبحي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ.
٢٥٠- المراسيل: سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٨هـ.
٢٥١- مسالك الأفهام: زين الدين بن علي العاملي الجبعي (الشهيد الثاني)، طبعة حجرية.
٢٥٢- مستدرك الوسائل: الميرزا حسين النوري الطبرسي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت ١٤٠٨هـ.
٢٥٣- المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ط حيدر آباد.
٢٥٤- المسترشد في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام: محمد بن جرير الطبري الإمامي، تحقيق الشيخ أحمد المحمودي، مؤسسة الثقافة الإسلامية، قم ١٤١٥هـ.
٢٥٥- المسند: أحمد بن محمد بن حنبل، مصورة دار صادر، بيروت عن طبعة بولاق، ط مرقمة رقّمها محمد عبد السلام عبد الشافي،
٢٥٦- مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود أبو داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.
٢٥٧- مسند أبي عوانة: يعقوب بن إسحاق الإسفرائني، دار المعرفة بيروت.
٢٥٨- مسند أبي يعلى: أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق ١٤٠٤هـ. ط أخرى بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا،

دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ.
٢٥٩- مسند إسحاق بن راهويه: إسحاق بن إبراهيم بن راهويه، تحقيق عبد الغفور البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة ١٤١٢هـ.
٢٦٠- مسند البزار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن ببيروت، ومكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة ١٤٠٩هـ.
٢٦١- مسند الحميدي: عبد الله بن الزبير أبو بكر الحميدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي بالقاهرة.
٢٦٢- مسند الربيع بن حبيب: الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي، تحقيق محمد إدريس، وعاشور بن يوسف، دار الحكمة، بيروت ١٤١٥هـ.
٢٦٣- مسند الشاشي: الهيثم بن كليب الشاشي، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٤١٠هـ.
٢٦٤- مسند الشافعي: محمد بن إدريس الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٦٥- مشاهير علماء الأمصار: أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، دار الوفاء، المنصورة ١٤١١هـ.
٢٦٦- مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥هـ.
٢٦٧- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة: أحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق موسى محمد علي، ود. عزت علي عطية، دار الكتب الإسلامية، القاهرة.
٢٦٨- مصباح الفقيه: آغا رضا الهمداني، (طبعة حجرية) مكتبة الصدر، قم.
٢٦٩- المصنف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣هـ. ط أخرى بتحقيق أيمن نصر الله الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ.

٢٧٠- المطالب العالية: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار المعرفة، بيروت.
٢٧١- معالم العلماء: محمد بن علي بن شهراشوب، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٨٠هـ.
٢٧٢- معاني القرآن: للمرادي.
٢٧٣- معاني القرآن: أبو جعفر النحاس، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٠٨هـ.
٢٧٤- المعتبر في شرح المختصر: المحقق جعفر بن الحسن الحلي، مؤسسة سيد الشهداء (ع)، قم ١٤٠٦هـ.
٢٧٥- معتصر المختصر من مشكل الآثار: يوسف بن موسى الحنفي أبو المحاسن، عالم الكتب ببيروت، مكتبة المتنبي بالقاهرة.
٢٧٦- المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق عوض الله والحسيني، دار الحرمين، القاهرة ١٤١٥هـ. ط أخرى تحقيق محمد حسن الشافعي، دار الفكر، عمّان ١٤٢٠هـ.
٢٧٧- معجم الصحابة: عبد الباقي بن قانع بن مرزوق، تحقيق صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة ١٤١٨هـ.
٢٧٨- المعجم الصغير: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق محمد شكور، المكتب الإسلامي ببيروت، دار عمار بعمان ١٤٠٥هـ.
٢٧٩- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار العلوم والحكم، الموصل ١٤٠٤هـ.
٢٨٠- معجم رجال الحديث: السيد أبو القاسم الخوئي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف ١٣٩٨هـ.
٢٨١- معجم ما استعجم: عبد الله بن عبد العزيز البكري، تحقيق مصطفى السقا،

عالم الكتب، بيروت ١٤٠٣هـ.
٢٨٢- المغني: عبد الله بن أحمد بن قدامة، دار الفكر، بيروت ١٤٠٤هـ.
٢٨٣- المغني في الضعفاء: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق أبي الزهراء حازم القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ.
٢٨٤- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، صححه هلموت ريتر، مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٨٥- المقالات والفرق: سعد بن عبد الله الأشعري، مطبعة حيدري، طهران ١٣٤١هـ ش.
٢٨٦- مقباس الهداية في علم الدراية: الشيخ عبد الله المامقاني، تحقيق الشيخ محمد رضا المامقاني، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم ١٤١١هـ.
٢٨٧- المنار المنيف في الصحيح والضعيف: محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب الفرافرة، ١٤٠٣هـ.
٢٨٨- مناقب آل أبي طالب: محمد بن علي بن شهراشوب، تحقيق د. يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت ١٤١٢هـ.
٢٨٩- مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: أبو الحسن علي بن محمد الشهير بابن المغازلي، دار الأضواء، بيروت ١٤١٢هـ.
٢٩٠- مناقب أمير المؤمنين: محمد بن سليمان الكوفي، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ١٤١٢هـ.
٢٩١- مناقب وفضائل الإمام علي عليه السلام (الفضائل): شاذان بن جبرئيل القمي، طبعة حجرية، مصورة دار العالم الإسلامي، بيروت ١٤٠١هـ. طبعة أخرى مصورة لدار الكاتب للجميع، بيروت.
٢٩٢- المنتخب من مسند عبد بن حميد: عبد بن حميد بن نصر الكسي، تحقيق

الصعيدي والسامرائي، مكتبة السنة، القاهرة ١٤٠٨هـ.
٢٩٣- من عاش بعد الموت: الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا، تحقيق علي أحمد علي جاب الله، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ.
٢٩٤- من لا يحضره الفقيه: محمد بن علي بن بابويه (الشيخ الصدوق)، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤٠٦هـ.
٢٩٥- منهاج السنة النبوية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ١٣٢٢هـ.
٢٩٦- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ومحمد رضوان العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤هـ.
٢٩٧- الموطأ: مالك بن أنس الأصبحي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ.
٢٩٨- ميزان الاعتدال: شمس الدين الذهبي، دار المعرفة، بيروت. طبعة أخرى تحقيق معوض وعبد الموجود، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٦هـ.
٢٩٩- الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٣٩٣هـ.
٣٠٠- نظم المتناثر من الحديث المتواتر: جعفر بن إدريس الشهير بالكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ.
٣٠١- نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق حسن السماعي سويدان، دار القادري، بيروت ١٤١١هـ.
٣٠٢- نهاية الإحكام في معرفة الأحكام: الحسن بن يوسف (العلامة الحلي)، تحقيق السيد مهدي الرجائي، مؤسسة إسماعيليان، قم ١٤١٠هـ.
٣٠٣- النهاية في غريب الحديث: مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير، تحقيق الزاوي والطناحي، ط مصر .
٣٠٤- النهاية في مجرد الفقه والفتاوى: شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي،

انتشارات قدس محمدي، قم إيران.
٣٠٥- نهج البلاغة: محمد بن الحسين الموسوي (الشريف الرضي)، شرح محمد عبده، تعليق عاشور والبنا، دار ومطابع الشعب، القاهرة .
٣٠٦- نوادر المعجزات لمحمد بن جرير الشيعي، دار الإرشاد الإسلامي، بيروت.
٣٠٧- نيل الأوطار: محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ.
٣٠٨- الهداية بالخير: محمد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، ط حجرية ضمن الجوامع الفقهية، إيران.
٣٠٩- وسائل الشيعة: محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي، دار إحياء التراث، بيروت ١٤٠٣هـ.
٣١٠- وعاظ السلاطين: الدكتور علي الوردي.
٣١١- اليمين واليسار في الإسلام: أحمد عباس صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٢م.

الفهرس